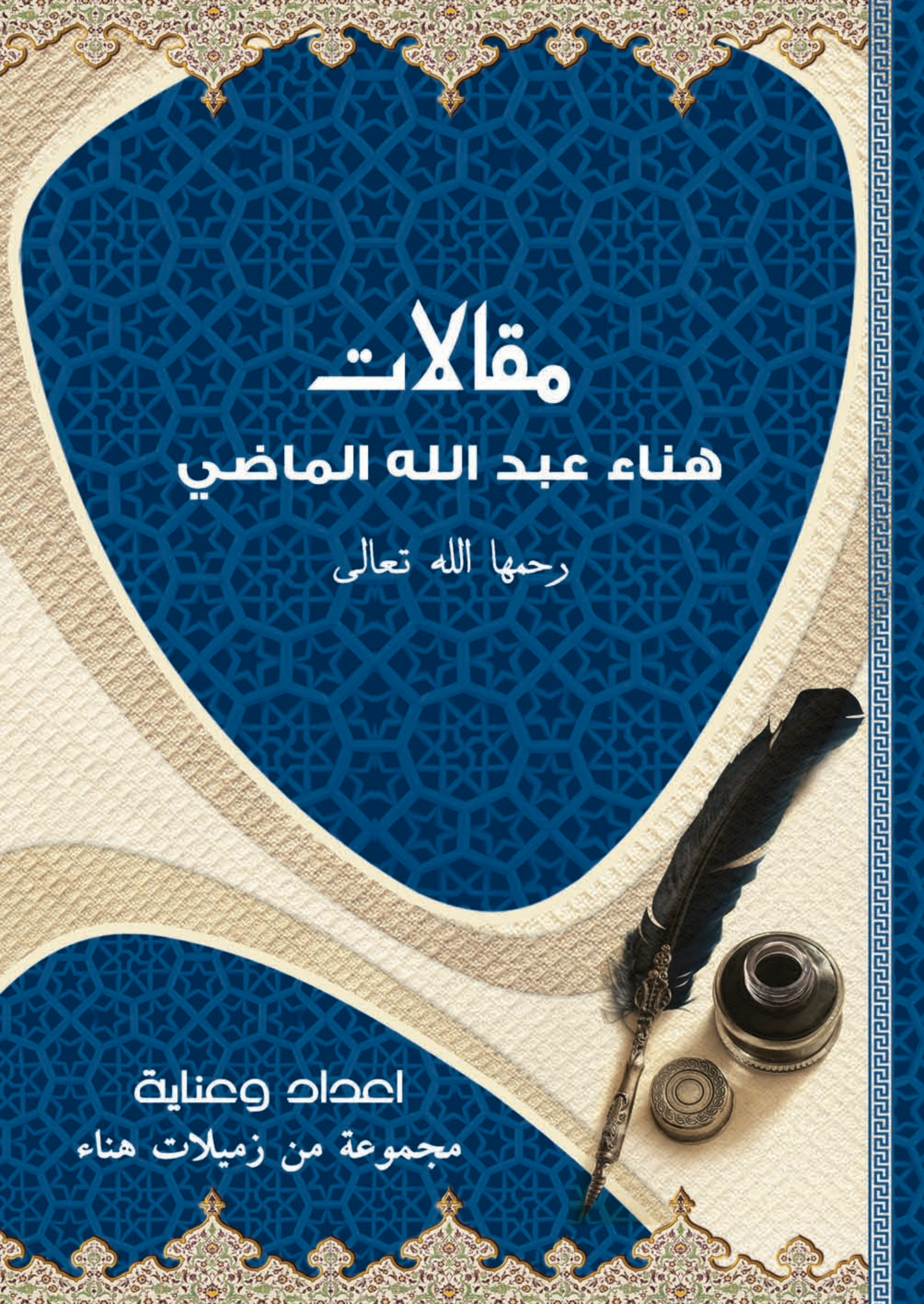

مقالات
هناء عبد الله الماضي
رحمها الله تعالى
اعداد وعناية
مجموعة من زميلات هناء

اضغط هنا للذهاب إلى فهرس المحتويات

مقالات
هناء عبدالله الماضي

رحمها الله تعالى

الطبعة الأولى
1443هـ - 2021م

مقالات

هناء عبد الله الماضي

رحمها الله تعالى

اعداد وعناية

مجموعة من زميلات هناء

قالوا عن هناء ..

د. سلطان العميري

قال د.سلطان العميري : رحم الله الأخت هناء الماضي، وغفر لها ورفع درجتها في عليين.

كانت الأخت هناء - رحمها الله- من أنشط الأخوات في دعوة وتوجيه الفتيات، ونشر الوعي بينهن.

ولها مقالات مفيدة في نقد الخطاب النسوي، وكذلك مقالات في نقد الخطاب الذكوري.

كانت رحمها الله تتميز بالوعي والفهم ومعرفة تفاصيل كثيرة من المظاهر الفكرية لدى النساء.

وتحمل هما كبيرا في نصرة الحق والدفاع عنه.

رحمها الله وغفر لها وأسكنها فسيح جناته.



قالوا عن هناء..

د. فهد العجلان

عرفت قلم هناء -رحمها الله- من خلال حضورها المميز في شبكات التواصل الاجتماعي، كانت قارئة جيدة، محبة للعلم، ولها مساهمة بارزة في نشره، مع حرص على الدعوة إلى الخير، والدفاع عن أحكام الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد عرفها كثير من الناس بعد وفاتها لما شاع لها من ذكر حسن، وثناء طيب، ودعوات صالحات، وأعمال فاضلة، مما يرجى أن يكون بشرى صالحة للقبول عند الله.

د. فهد العجلان

قالوا عن هناء..

فيصل بن تركي

«لم تكن هناء في عرف شبكات التواصل وبمعيارها من المشهورات، كان أعداد الذين يتابعونها في حسابها وقنواتها مجتمعة ربما لا يتجاوز الثلاثين ألفًا، أقول هذا حتى لا يسبق لذهنك أن هناء كانت مشهورة في تلك الشبكات، وأن وفاة المشهور (في الأرض) من الطبيعي أن يتفاعل معه هذه الأعداد؛ لكنني أحسبها والله حسيبها ولا أزكي على الله أحدًا أنها كانت مشهورة (في السماء)، مشاهير السماء -مع التجوز في العبارة- هم أولئك الذين يُعرِّف بهم سيد الملائكة وأفضلهم جبريل عليه السلام ينادي في أهل السماء هذا فلان يحبه الله؛ فأحبوه... هم أولئك الذين قال الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾، يعني: حبًّا في قلوب الخلق. لا أتألى على الله؛ لكن هكذا أحسبها!

... هناء -رحمها الله- كانت في حياتها قد أعطتْ دروسًا عديدة لكل من عرفها، لكنها بعد موتها أعطتْ درسها الأخير لمن عرفها ومن لم يعرفها، كان درسًا صامتًا؛ لكنه كان بليغًا، مؤثرًا، مدهشًا...

كان من مفردات هذا الدرس الأخير: أن الالتزام بشرع الله تعالى مهما فسد الزمان ممكن، وأن الاعتذار بالظروف المحيطة والواقع المعاش كذبة إبليسية، وأن التذرع بكثرة الملهيات والمغريات ومشاكلة أهل الزمان حيلة شيطانية، وأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وأنه ما كلفنا بهذا الدين إلا وهو في وسعنا وقدرتنا.

فيصل بن تركي.

مُقَدِّمَة

حديث تحت ضوء القمر تتقاطر حروفه جواهر الأنجم . .

لتنتظم في سلك تباريح الاختيار ...، وعناقيد الفجر التليد في راية أمتي .. بالاصطفاء..: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ .

«أرواحٌ أطهرُ من الغيم، نفوسٌ أندرُ من الكبريتِ الأحمر، بريق عيون يَعدُ بالفجر، طاقات تزحزح الرواسي!»

بددت ظلام الغربة، وأشعلت فتيل الهمة، وأيقظت شباب الأمة، ترفع راية : نحن أمة لا تموت ...، أنت الجماعة ولو كنت وحدك .. ومنهم هناء بنت عبد الله الماضي-رحمها الله تعالى- ..

كم يطول الحديث عنك .. وليس المقام مقام إطالة ..

بل تسطر حروفك أحاديث فجرك ..

هنا .. العشرينية في عمرها .. الحقيقي ميلادها تحت الغيث، وموتها تحت غيث، وكأنها بين غيثين، قالت : وسألت الرحمن أن لا يجعل المطر ذلك اليوم ينتهي إلا وهدايتي للحق أول بشرى، ثم دخلت المنزل وأنا ذلك العصفور المبلل بالمطر، والمطأطئ الجناح. والعجيب أنه وقع في نفسي كاليقين أن الله استجاب الدعوات، وبالله أنه استجابها حتى لم أعد أعرفني في نفس الليلة، ليست هذه أنا؟»

فانسكبت روحها في مقامات الصدق . .

فتنفست الحب الإلهي:

«تنفست الحب بشكل عميق، حينما عرفت الله، كان حبي من النوع المتراكم، فكل يوم كان رصيد جديد بمشاعر أخرى واكتشاف جديد لألطاف لم ألحظها، فتراكم في صدري لدرجة المسؤولية، كان نداء المسؤولية تجاه ديني هو نداء الحب تجاه ربي، أحببته حبًا لو أعلم أن الحياة الباقية ستكون خالية منه لبغضتها، وتمنيت مغادرتها، فكل أحلامي وآمالي ارتبطت بهذا الحب لدرجة أنه أصبح الغاية والوسيلة معا»

هكذا هنا كانت تسير في مقام الإحسان ..

«إذا تقرب العبد إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة».

فبذلت في سبيل الله عن أمة ..

وروي أنها كانت تقرأ فيما يقارب الخمس ساعات يوميًا، وأشرفت على الكثير من حلقات التحفيظ، وأشرفت على الكثير من القنوات الدعوية والعلمية، وتولت النصح والإرشاد والدعم لجميع الأخوات، ومجموعات رحيق، ودوائر حية، وإضاءات معرفية، وخبايا الصدقات في إرسال اللباس الشرعي للمسلمات الجدد في أسبانيا، والكثير مما نجهله ويجهله أقرب الناس إليها، هناء التي كانت حريصة جدًا على طلب العلم الشرعي والتحقت في معهد آفاق العقدي، وبذلت في سبيل العلم وتحرير المسائل وكتابة المقالات ما تفتد بها الشبهات والظواهر الاجتماعية السلبية، ورجحت كفتي العلم والعبادة، فجعلت لها أوتادًا خفية ترتشف منها عبق الثبات، من من روائع الأسحار، وفقه

الاستغفار، وديدن الذكر، وظمأ الهواجر، وفقه جبر الخواطر، والإصلاح ذات البين، وتنفيس الكربات وتفريجها، والعفو والصفح الجميل، وباب معرفة الله الأكبر الدعاء .. فقيل أنها كانت حريصة جدًا على مواطن الإجابة بالثلث الأخير من الليل، وبين الأذان والإقامة، ويوم عرفة، وساعة الجمعة .. ونزول المطر . .

حتى قضى الله أن تجتمع مع أخوتها جميعهم فترفع يديها تحت المطر .. فسألها أخوها ما دعاءك؟ فقالت: ما اعتدت عليه «ربي لا تردني إلى أرذل العمر» . .

فقدر الله أن يتوفاه .. بعد هذه الدعوة .. قائلًا أخوها: كانت تنظر إلى شيء مرعب، فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله ... ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة ..

تالله لو رأيتم توافد الجموع في برها ومدحها والثناء عليها ونشر محاسنها وفيض عطائها وبذلها في سبيل الله تبارك وتعالى لأدركت أن هذا محض توفيق الله تبارك وتعالى للصادقين من عباده . .

فهذا الذي يتصدق عنها لأربعين معتمرًا عنها، وأولئك الذين تصدقوا عنها بريال سعودي صك وقفي لمساجد طريق الحرم المكي عنها، وذاك الذي يبذل كيلو لحمًا صدقة عنها، وذاك بئر في بنغلادش وذاك الذي يجمع مقالاتها على هيئة كتاب فينشر علمها ..

وذاك وذاك .. وما لم نعلم عنهم بعد . .

وهي القائلة أفلت يدي = كم أحياني هذا اليأس وحررني = مركزية الله في قلب المسلم = تحقيق التوحيد بتمام الحب والذل ..

لله الواحد القهار.

أزعم أني أجد التوحيد حاضرًا في حرفها ..

«ألا كل ما خلا الله باطل»

فقالت:

«لو سُئلت عن أجمل ما تعلمته على الإطلاق من أيامي المكتضة بالدروس لكان بلا تردد أني تعلمت أن أفلت يدي!. نعم أفلت يدي؛ من الناس والدنيا والأمل فيهم والرجاء منهم والتعلق بهم.

أن أقاوم إغراء الظواهر فلا يصرع قلبي شكل أو رمز أو فكرة، أن أفلت يدي وأفرغها حتى من نفسي؛ أن لا أبني في عقلي صور مختزلة، ضيقة، وأتوه فيها وأغرق رغم علمي بأن كل شيء ليس إلا وهم ما عدا وجه الله.

وكم أحياني هذا اليأس وحررني !.»

«أقاموا بظهرِ الأرضِ فاخضرَّ عُودُها

وصاروا ببطنِ الأرضِ فاستوحشَ الظَّهرُ»

«ما كنتُ أحسبُ قبل دفنك في الثرى

أنّ الكواكبَ في الترابِ..تغورُ.»

هذه هناء . .

قَد مَاتَ قَومٌ وَمَا مَاتَت فَضَائِلُهُم ... وَعَاشَ قَومٌ وَهُم فِي النَّاسِ أَموَاتُ

الإمام الشافعي

«أعظم ما يفعله رحيل الصالحين وبقاء جميل آثارهم ؛ أنه

يوقظك من غفلة الرضا عن نفسك، وطول أملك بامتداد أجلك، والتأجيل والتسويف للصلاح والتوبة والتقديم لهذا الدين والتحرر من أثقال المغريات ..

قظة تضعك أمام محاكمة نفسك:

ماذا قدمتِ لله حتى الآن؟ وهل أعددتِها لرحيلٍ لا يستأذن؟!

رحم الله من كان وجوده وعظاً ويقظة لنا حياً وبعد رحيله.»

ثلم جبل الرماة يا هناء

وإليكم مقالات هناء وقد اعتمدنا في تصنيف المقالات على التصنيف الذي ذكرته الأخت هناء في مدونتها، وأضفنا في كل صنف ما يناسبها من المقالات الأخرى التي ليست موجودة في المدونة الحديثة.

كتبه

زميلات هناء ..



١- النسوية الإسلامية.

٢- هل دافعت النسوية عن حقوق المرأة فعلا؟!

٣- لماذا تشكل النسوية خطر على المجتمعات؟!

٤- النسوية ونظام الحشود.

٥- تشكلات النسوية في الواقع المعاصر.

النسوية الإسلامية



سميت النسوية الإسلامية بهذا الاسم، لأنها تعتمد على هذين القطبين في مخرجاته االنضالاتية، وخطاباتها الحقوقية..

فهي حركة جعلت من القرآن والسنة مرتكزات فكرية ومرجعية، بشرط أن يُحدد من الإسلام ما الذي يحتاجه هذا الشعار، فالإسلام عند أصحاب هذا التيار لا يقف في وجه الحرية الشخصية، ولا المساواة بين الجنسين، ولا أي من الحقوق التي تدافع عنها النسوية.

يأتي العائق في نظرهم من التأويلات الشرعية، التي تم بها تشويه الخطاب الإسلامي بحيث جعلته يخرج على أنه خطاب ذكوري، أو يدعو إلى التمييز، وعلى هذا أبرز الحركات الميدانية لها، نشر الوعي (النسوي) بين الأوساط النسائية، أخذ حقوق المرأة من السلطة الدينية الذكورية، ومحاولة النحت والتغيير في عقلية المجتمع، تجاه

قضايا طالما تعامل معها على وتيرته الخاصة، والتي بها حفظ تفرده.

يقلق النسوية الإسلامية أن يتمدد عين الاسترسال في المعالجة لمشكلات المرأة على خط المؤسسة الدينية المعهود، فهي ترى أن فقه الماضي لا يتواءم مع مستجدات الحاضر، ولابد من مراعاة مطالباتها بالشكل الذي تحدده هي، وبالطريقة التي تفهم بها النص، فهي اكتشفت أنه تم التلاعب بها، وتضليلها بأحكام ليست من مراد الله - كما تزعم.

النسوية الإسلامية لا تسير على نمط واحد، بل أنماط عدة..

من بين الأنماط، نمط أسميه النسوية «العمشاء» .. هذه -بالذات- لا ترى بنفسها، ولا تبصر حتى مفاهيمها بعقليتها ومبادئها التي تبنتها، إنما تسير على نمط تساؤل ما الذي يمنع المسلمة أن تفعل؟! لم يمنعها الدين؟!.

ما يميز هذه الفئة، الجهل؛ ليس بالدين فحسب إنما بالنسوية أيضًا، فهي لا تدرك على ماذا تنادي تلك، ولا ما يأمرها دينها على وجه التفصيل، فتعاني من انفصالية التطلعات مع شح التصورات، فترى أن للواقع مستلزمات يجب مراعتها، وليس الأمر متعلق بالخروج عن رحاب الدين وأوامره، إنما مراعاة لجو الحداثة وحقوق المرأة التي فرضها معه.

لذلك إذا تم مواجهتها بأدلجتها الفكرية، تصرح بأن الأمر لا يتعلق بالتبني بقدر عدم فهم المسلمين لإسلامهم، والتشديد على المرأة بسبب الفهم المغلوط، وفرضهم عليها ما ليس لهم به بسلطان.

قد يُشك في نسويّة هذا النوع، وقد تُعتبر خارجة عنها، أو فقط متأثرة من بعيد، مع أني لا أحب إخراجها عن التيار الكلي وإن كانت فقط متأثرة به، وذلك لأن التأثر أو التبني الجزئي لا ينفي حقيقة الاتباع، خاصة إذا أقر من يقع عليه التعريف، بأنه مؤيد لهذا النظام ومقر به، بغض النظر عن تجلياته فيه ..

لذلك عند النظرة الكلية على النسوية الإسلامية نجد أنها متفرعة إلى نسوية إسلامية متطرفة، نسوية إسلامية نشطة - يشغلها ترويج الأفكار حتى لو بلغة علمية تحاول فيها الرزانة -، نسوية إسلامية عمشاء.

الفرق بين المتطرفة والنشطة، أن المتطرفة تقفز فوق النصوص بشكل صريح، ولا تهتم كثيرا هل أقنعت، أم لم تقنع، فهي الواجهة الثائرة للموجة، -ومع الثورة العمياء يغيب العقل.

أما النشطة، فهي عند ذوات التعليم الجيد أو العالي، من يحملن هم التطوع في تغيير الفكر النسوي، ونظرة المرأة لنفسها وبيئتها حتى لو تم التدليس على نصوص الوحيين بطريقة توحي للمتلقي أنها كانت غائبة عنه وللتو اكتشفها، فهذا النوع يُعيد باستمرار قراءة الأحكام والفقه بلغة عصرية لا تتصادم مع أفكاره الحداثية المرتبطة بخلفيته الفكرية.

ميزة هذا النوع الذكاء في الإقناع والتدمير بالتخفي، وينتشر في أوساط أستاذات الجامعات أو مدعيات الإلتزام الشرعي في بعض المحاضن أو الناشطات الحقوقيات اللاتي يدافعن عن حقوق المرأة الشرعية أو من هن في سدة التأثير والنجاح والثقة عند الكثيرات،

وخطر هذه الفئة يتركز بالدرجة الأولى على «النسوية العمشاء» فهي تستمد الطريق من نظر غيرها فيه، وتسيركما يُفَضّل لها، أو يقنعها أكثر، لأنها واقعة فريسة الجهل، والأهواء المتلاطمة، مع واقع تراه مضطرب ولا مخرج فيه إلا بالتمسك بالفئة القوية، التي تُعلل سبب توجهها، وتمنحها الأجوبة دون عناء.

- السؤال الأهم: هل في الإسلام نسوية؟، وهل تستمد النسوية أفكارها منه حقا؟.

الجواب الصادم : لا.

فالنسوية فلسفة دين مستقلة، تبتعد عن الدين، أو عن مناهجه التقليدية، لتخترع لها منهجا خاصا، يساعدها على التحرر من بعض القيود الدينية أو كلها، لذلك إذا توغلت النسوية في نسويتها اتجهت إلى الإلحاد، لأنها ستجد في منعطف ما أن النص الإسلامي لا يخدم رؤيتها العلمانية في تحرير الجسد الحرية الكاملة.

فالمنهج علماني، والعلمانية نظام يستبعد الأسس الدينية، في كافة الشؤون الاجتماعية أو غيرها .. وعلى هذا الأساس تتروح النسوية فيقربها وبعدها عن العلمانية، ولكنها في الأساس تُقصي الدين بطرق متنوعة إما بالتأويل أو النقد والتصحيح أو الهجوم إذا تطلب المجتمع ذلك.

فمع الأسف العلمانية كان لها التأثير على كثير من الفلسفات، والتيارات والتي تعتبر بمثابة الأم لها، سواء كانت علمانية سياسية أو فلسفية أو ثقافية.

«ترى النسويات عمومًا أن هناك حاجة ملحة إلى بديل مباين تمامًا للأديان التقليدية، ويُبنى هذا البديل عن طريق آليات النقد التي عُرِضت آنفًا، إضافةً إلى الاستفادة من التقاليد الدينية المختلفة في التاريخ والثقافات المختلفة، لإبراز الموقف الأنثوي من المقدس، ومن ثمَّ تمكين النساء من اختيار أصيل في التعبير عن علاقتهن بالإلهي وبحياتهن الروحية، التي تتضمن كذلك حياتهن الجنسية، فلا تقصيها أو ترى فيها دنسًا من أي نوع» .

«ترى غالبية النسويات أن الدين متداخل مع البنيات الأبوية وطرق التفكير الذكورية بشكل يصعب جدًّا التراجع عنه، إذ يهيمن الرجل عليها بشكل كلي لذلك، حاولت الفلسفة النسوية الحديثة وضع طريقة لبيان أن إيثار الرجل في النصوص الدينية وتفسيراتها، وتماهي المعتقدات والشعائر الدينية مع وجهة نظره، همَّشت المرأة وأقصتها عن مجال السلطة، واخترقت حياتها بطريقة جعلت منها غير مستقلة وفي مرتبة أدنى منه».

– النسوية والدين

هل دافعت النسوية عن حقوق المرأة فعلا؟!

1 فبراير، 2021



سؤال يستشري في الأوساط النسائية، فكرة اندمجت وتشكلت منها أفكار أخرى، ونتائج ..

هل دافعت النسوية حقًا عن المظلومات، وكان التحسين الواقعي -كما يتردد- بفضل الجهود النسوية؟

وهل تتفق مع فكرة مفادها أحارب دينك، وأتهم مقدساته بالمخلفات، ثم أزعم أني من أنقذك من وطأة واقع إجتماعي تم سحقك به؟

ما يغيب عن كثير من العقول، إدراك أن النسوية بحد ذاتها، حرب على الإسلام نفسه، سلاح تم رفعه في وجه الدين، وهذا السلاح تم زخرفته بقضايا ادعى أنه جاء من أجلها، وتخفى بجماليات شكلية

تخفي آثاره الفتاكة.

فكثير من العيون أغراها الشكل عن المضمون، وأشغلها عن تحليل ما نتج عنه من كوارث، أو على الأقل لأي دافع كان.

فالنسوية رؤية أيديولجية لا تمتنع من الدفاع عن حقوق المرأة ولكن من منطلقات ليست شرعية، قيم غربية لا تستند إلى ما جاء به الوحي، ثم وحتى في دفاعها ستركز على ما يخدمها من قضايا، وتتجاهل وتصم الآذان عن مشكلات المرأة المسلمة عالميا، لأنها في الأساس متحيزة لعرفها الوافد، والفاسد.

لن تجد تلك النسوية التي تبكي على إضطهاد مسلمات الهند والصين وسوريا وفلسطين .. حتى لو من قبيل الصدفة أو سقطة لسان عابرة، لأنها لا تعرف أن لهن حقوقا -هناك- من الأصل، وأن الحق الفعلي هو ما وافق مبدأ اللذة، المادي، من علاقات غير شرعية، أو حقها في الإسقاط أو الشذوذ أو حريتها بجميع صورها، حتى لو تتعارض تماما مع الدين الإسلامي.

توجد فجوة تأمل للواقع مع الأصول الشرعية، وهذا ما جعل الكثير ممن هو على حال مستقيم، وبعيد كل البعد عن الفكر النسوي، يعتقد ولو بشكل جزئي أن النسوية ساعدت في الدفاع عن حقوق المظلومات، وأنها عملت على تحسين الواقع، وإن كان يرفض أكثر ما جاءت به.

وهذا خلل في التصور، في أن النسوية دافعت أصلا عن شيء، وذلك لأن التغييرات الحقيقية فيواقع المرأة اليوم يعود في الأساس لأسباب سياسية كانت العامل الأول في تغيير هيكلة توزيع، الحقوق والمحظورات والمقبولات، حتى مطالبات النسوية نفسها كانت غطاء

متدرج للتغيير السياسي، بأن تتدخل القرارات بما هو من مطالب المرأة نفسها، وشكواها التي رفعتها بشكل ضاغط.

أي موجة علمانية ستستصحب معها آثارها، والتي ستخرج بأشكال عدة فيها من تأثيراتها فيالعزل الديني بمستوى النموذج العلماني المفروض.

فحقوق المرأة تتأثر -في الأصل- بتعريف الحقوق والمرجعية الحاكمة لتلك الحقوق، فقد يكون ذلك الحق الذي يتم التعزيز له، نابع من فلسفة تنفصل عن النموذج الإسلامي أو بالأحرى تتخالف معه، وهي حق للمرأة -بزعم الحركة العالمية- ولكن ليس بالضرورة أن كلحق يتم التصريح عنه والمطالبة فيه، أن يكون حقا ملائما، متفقا مع الشريعة.

ما تريده العولمة، إذابة الفوارق الحضارية والدينية، والنزوع حول الفردانية المتساوية.

فهي تضمن حرية انتقال المعلومة، وتعميم الأفكار وتوسيع دائرتها، بما في ذلك «مفهوم الحقوق» ذاته.

فحق المرأة دوليًا يتضمن: «الحق في السلامة الجسمانية، والاستقلال، وعدم التعرض للعنف الجنسي، والتصويت، وشغل المناصب العامة، وإبرام العقود القانونية، والحصول على حقوق متساوية في قانون الأسرة، الأجور العادلة أو المساواة في الأجور، والحقوق الإنجابية، والحق في الملكية، التعليم».

وهذه الحقوق قد تبدو مقبولة نوعا ما، لمن لا يدرك مراميها، أو

اتجهات الدفع والتغيير التي تأخذها مطية للاكتمال.

فقانون المساواة بحد ذاته، يطمس في طريقه كل أمر شرعي جاء بالتفاوت أو بفرض أمر على جنس دون الآخر، فالمساواة هنا تكون بمثابت تحديث للأحكام الشرعية، وإعادة تشريع لما يتعلق باختلاف التكاليف والواجبات من المكلفين.

فحينما تتدخل المساواة بالإرث والشهادة والقوامة وأحكام الطلاق... سينتج عن ذلك دين جديد، لا يحمل من الإسلام إلا اسمه.

وأن تسعى منطقة ما، تحت أي مظلة كانت، لتحديث الحقوق بما يوافق حقوق المرأة العالمية، هي تسعى إلى عزل الدين عن الواقع، وفرض دين آخر لا يمت له بعلاقة، سوى أن الأول هو دين العالم الجديد الذي يسعى إلى ربط جميع الحضارات بمبادئه مهما كانت معارضتها.

لابد أن ندرك أن حقيقة نصرة التيار النسوي للمظلومات هو من أوهام العقل الشكلي، الذي لا ينفذ إلى حقائق الأمور على ما هي فعلا، فأن يتم الصراخ حول قضايا معدودة تندرج تحت الفكر العلماني وشروطه، لا يعني أن الصارخات قدمنا لحلول المناسبة لجميع النساء أو أن تدخلهم سيجدي من أساسه لولا تسهيل الحكومات -المسؤولة- لمثل هذه الهتافات بالبزوغ وبضوابط مسموحة لا تتعادها ..

«وفيما يدعو خطاب النسوية لتحرير النساء وتمكينهن، يغفل في الآن ذاته شرائح من مختلف طبقات المجتمع من السود والمضطهدين والمشردين والمسحوقين في العالم الثالث. إذ تنعم النساء الأرستقراطيات بخيرات سحاب الحركة النسوية بعيدا عن مآسي عالم

نساء الطبقة العاملة. وبهذا ترتقي الأرستقراطيات السلم الوظيفي وينتهي بهن المطاف في مناصب عليا، في الحين الذي تنظر إليهن النساء الأفقر بحسرة دون أمل بارتقاء درجة منه. ومصداقا لهذا، أشارت كالكين إلى أن النسوية تواجه اتهامات بالانحراف عن مسارها. لكن الخطاب النسوي خيب آمال الكثيرمن النساء واصطبغ بصبغة اقتصادية، ليسخر نفسه في خدمة سوق العمل ويسلم رقاب النساء لمقصلة المؤسسات النيوليبرالية. خطاب يُقصي كافة الفئات المهمشة الأحق بالرعاية، بدءا من النسوية السوداء ونسوية العالم الثالث والنسوية الغرائبية» . –النسوية الجديدة.|. مزنة حسناوي

«أن النسوية النيوليبرالية تشجع النساء على الالتفات لهمومهن الفردية وطموحاتهن لتثبيت مكانتها في السوق برعاية الرأسمالية النيوليبرالية التي تتبنى خطابا إقصائيا يتفاخر بأنه لا يأبه لمصير سوى النساء الأرستقراطيات، في صورة تعيدنا إلى ما قبل قيام الموجه الأولى من الحركة النسوية، حيث كانت تصب المكتسبات في مصلحة البيض والطبقات الاجتماعية الميسورة والمعيارية الغيرية.. وأجندات المحافظين الجدد». – روتينبيرغ / النسوية الجديدة



لماذا تشكل النسوية خطر على المجتمعات؟!

1 فبراير 2021



قبل البدء في الحديث عن خطر النسوية؛ وما الذي زرعته في صدور الغالبية، نتطرق لنقطة مهمة هي من صميم بنية الفكر النسوي، وهي .. لماذا النسوية أصلا؟!

حين العودة لبداية الحركة، نجد أنها تشكلت وصيغ المصطلح لأول مرة في عام ١٨٩٥ ليعبرعن تيار تقوده اتجاهات معينة، خرج لمقاومة تبعية النساء للرجال، وكان على مستويات ثلاثة، الأولى: للتسوية القانوية، والثانية للتسوية الاجتماعية، الجندرية، والثالثة لإتمام أعمال الموجة الثانية.

وهي في ذلك تخرج من مجرد ثورة قامت لانتزاع حقوق وتحقيق مطالب إلى غضب دائم لا يتوقف حتى لو تحققت جميعها أو معظمها.

على صعيد آخر، ماذا فعلت النسوية في الغرب؟.

- سعت إلى إلغاء الفروقات بين الجنسين.
- تبنت الانتقاد العام للرجال (وإظهار أن المرأة ضحية بشكل مستمر).
- التحيز في المقالات والكتب لتأكيد عدم وجود فوارق بين الذكور والإناث.
- زرع مصطلح الجندر للقضاء على العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة، والسماح بعلاقات شاذة عن الزواج التقليدي.
- ترويج أن الأمومة والزواج التقليدي عبء ثقيل وظلم للمرأة.
- تكريس مفهوم الضحية، والظلم الناتج عن الهيمنة الذكورية.
- وضع حدود جديدة للعلاقات وأن ما لا يخضع لرغبتها هو من التعدي، والاغتصاب حتى لو كان زوجها.
- الحصول على الحرية المطلقة في العلاقات، وترويج الإباحية بين النساء.
- المطالبة بحماية الزواج من نفس الجنس دوليا.
- محاولة تغيير وإعادة صياغة اللغة.

ولا نسأل عن أثر هذا كله على المجتمع فهو واضح وبيّن لكل ذي عقل، إنما عن أثر هذا التيارعلى النسويات الأخرى، وهل هي تتبنى

نفس المنطلقات أم توجد فوارق ما؟

من الطبيعي -كما ذكرت سابقا- أن لكل مجتمع خصوصية ما، حتى في ظل الانفتاح العالمي واندماج الثقافات، هناك حدود لا نتصور -في الوقت الحاضر- غيابها، لذلك ليس من العدل أننضع الجميع في نفس القالب ..

ولكن يخفق من يظن أن التبني مختلف بالكلية، لا؛ هو ليس كذلك، توجد نقاط مشتركة أساسها المنبع، والفكرة الأساسية لم تمت في رسائل المنظرين لها والداعين إليها، بل هي نفسها باختلاف حدود المجتمع المتاحة، عاداته، قيمه، وجود المصلحين، الثقافة السائدة، تركيبة المجتمع نفسها وبعده أو قربه من بلد التخريج والولادة.

ولكن مع ذلك الخطر على المجتمعات الإسلامية أكبر، لأنها ملتزمة بعهد وميثاق سماوي، ودين خالد لم يُلوث، أو يُحرف.

ولأنها مجتمعات سليمة الفطرة، وبعيد كل البعد -سابقا- عن كل ما يشوه جو الألفة، والحب.

وبغض النظر هل كانت النسوية استعمارية أملا، هي نقلت الكثير من أفكارها للأمة الإسلامية وهذا هو الخطر الذي يحدق بنا لو لم نتداركه جميعا.

يقول الدكتور خالد قطب: «الفكر النسوي فكر استعماري بطريقة أو بأخرى؛ حيث يستخدم المستعمر الفكر النسوي لتبرير هيمنته وسيطرته على البلاد التي يستعمرها، وقد لعب الفكر النسوي دورًا بارزًا في الحملات الاستعمارية التي استهدفت العالم الإسلامي في

القرن التاسع عشر، كما لعب هذا الفكر وما زال يلعب حتى الآن نفس الدور مع الاستعمار الغربي الجديد الذي يستهدف عالمنا الإسلامي... إن الإسلام في نظر الحركة النسوية الاستعمارية هو العدو منذ الحروب الصليبية، فقد انصبت نظرية الخطاب الاستعماري الجديد والذي يتمحور حول المرأة - على أن الإسلام بطبيعته يضطهد المرأة، وأن الحجاب والتفرقة يرمزان إلى هذا الاضطهاد».

❐ ما السر في كون النسوية خطر على المجتمعات الإسلامية؟ وما الذي نقلته تلك الضريبة لنا؟

مما بدى ظاهرا من أثرها، حركات عدة تدعو إلى أمور لم نعهدها من بينها ..

- إثارة الشك الديني، واتهام الفقه الإسلامي بأنه ذكورى.
- نقد نظام الزواج الإسلامي، والسخرية من الأمومة والتربية واعتبارها مرتبة منخفضة مقارنة بالعمل خارج المنزل.
- تسليط الضوء على مشكلات تتعلق بالمرأة وإظهار أنها مضطهدة ومظلومة -وتمثيل دور الضحية الغربي بشكل يوائم المجتمع أكثر- وانتقاء جرائم العنف ضد المرأة بشكل يخدم الأجندة النسوية.
- التأكيد على المساواة المطلقة.
- تقييد دور الشريعة وحصره فيما يوافق الهوى.
- تكوين الحشود والسعي لتوسيع دائرة المتأثرات، واحتقار كل من يخالفها والتعرض له بالإساءة.

- رفض الزواج بحجة أنه درجة ثانية أو أخيرة فيسلم الرغبات الأنثوية، وحتى في حال قبوله لابد أن يكون وفق مزاجها ورغبتها وشروطها المتأثرة بخلفيتها.
- تهميش دور الرجل سواء كان أب أو زوج، والتأكيد على أنه لا يدرك مصلحتها أو يسعى إلى تدميرها بهيمنته غير المرغوبة.
- إثارة النزاع والحساسية من أي نقد يتعلق بامرأة، أو قضية أو موضوع .. وذلك لاحتقانها تجاه هذه الأمور بشدة.
- تشتت الكثير من الأسر المتأثرة بالفكر النسوي، وصعوبة تقبلها الإندماج بشكل كامل مع مبادئ مجتمعاتها ورغبتها المستمرة بالخروج من هذا السقف الخانق لذلك تهرب للخارج إما حقيقيا، أوفكريا، كأن تبقى في مجتمعها وبين أهل دينها جثة بعقل تم السيطرة عليه، يهيم مع حضارةأ خرى، ويتعطش لحرياته.
- انتشار العلاقات غير الشرعية، وموافقتها ودعمها معنويا، والسعي للترغيب فيها وجعلها النموذج الأمثل.
- تفكيك منظومة القيم وتعزيز قيم الفوضى بالمقابل.
- تقديس الأنثى للأنثى مما يزيد من نسبة الإعجاب والحب بين الإناث.
- السعي لتشويه صور الملتزمات وذلك لأنه خطر يهدد منظومة

النسوية الفكرية ورغبتها فيالتمدد والاستحواذ.

- نشر فكرة أن جسدي ملكي وأتصرف فيه كما أشاء، وأنت حر في ما تريد أن تفعله وغيرك حر كذلك بشرط أن يوافقك على أساسك الفكري، لو اختلف معه فهو ليس بحر.

... هذه بعض آثار الخطورة الناتجة عن زرع هذا الفكر المسموم في المجتمعات الإسلامية وخلخلة لحمتها بصراعات ليست من صراعاتها المقدسة، بل النذير لخرابها المشؤوم والله المستعان.

❊ ❊ ❊

النسوية ونظام الحشود

1 فبراير، 2021



تتوقف لبرهة فتفكر ما الذي يستقوي به الآخر حتى يفرض الهيمنة لأفكاره؛ قد يكون بالمنطق الصائب في أحسن أحواله، وبالصوت العالي إذا تأكد من خلو رأيه من الحجج المقنعة. وهذا الأخير هو ما تفعله النسوية أثناء تخوين، وتخويف الآخر، وبعبارة أخرى .. (هي تعلم أن حجتها قد تبدو ضعيفة، وسهلة الدحض، ولكن توجد دعامة الاستقواء النفسي).

دعامة الاستقواء النفسي: وسيلة فعالة وليست بالضرورة فردية، خاصة وأن الحركة تؤمن بقوة المجموعة والتكاتف الأنثوي لتغلب الكثرة الفكرة والآخر معا.

ومع أنها كانت ترفض أن تُساس الأفكار من خلال الجماعات، أو يتم ترويجها على فئات، وفي ذلك كانت أول ما بدأت ترفض التقليدي

بالفريد، إلا أنها تذوب هي فيما كانت ترفض مسبقا، وتناقض نفسها كما تفعل في كل مرة.

تدعيم المشهد بالحشود فكرة قديمة حديثة، تعتمد عليها الحركة منذ بدايتها، فهي لا تستمر إلا بالتكاتف الشرس والتمسك بالأعداد الكبيرة، وهذا ما جعلها تستمر حتى في أشد البيئات محافظة، أنها تتغذى على المساندة، وتقوم على أكتاف التآخي تحت اللواء، فيشتد هجومها على كل مخالفة لموجة التحدي الشرس، وتبصق إن لزم الأمر وقد تتكلم بكلمات لم يشهد لها المجتمع مثيل لأنها تعلمت أنها تفعل ما تشاء حتى لو كان ما تشاؤه خارج سياج الأخلاق.

من خلال الاستقراء لشريحة ليست بالصغيرة، من واقعنا اليوم، الكثيرات قد لا يفهمن حقيقة الحركة، بقدر فهمهن أنها لا تقوم لها قائمة إلا على أكتافهن، فيسعين للتعزيز والدعم وتنشيط الأفكار، بجهاد من يؤمن أشد الإيمان بعقيدته، حتى لو لم يدرك تفصيلاتها، وهذا سبب جهل الغالبية بأبعاد الموجة، وقلة فهمهن لتاريخها وسبب ظهورها وعلاقة كل هذا بمطالبهن.

أذكر مرة تم اتهامي بعدم الاهتمام بقضايا المرأة والمظلومات والمضطهدات، وأن الكثير من الأسر تسيء التعامل إلى النساء وترتكب الجرائم بحقهن، وكل هذا لأني رفضت أدلجة الخطاب الحقوقي. ونددت برؤية أن النسوية قد تنصر مظلومة أو تسترد حق مغصوبة على أصول إسلامية، سوية دون انتهاك واستغلال للموقف والظهور فوقه، وأخذ ميدالية بطولة لم تحققها.

وكما قلت في إحدى التغريدات السابقة: «كثير من التيارات

حاكميتها ليست إسلامية، لذلك إذا حاكمتك على الفروع، لا تجيبها إلا بتذكيرها بانحراف الأصول، فالأصل المنحرف لا يشفع له فرع فيه جانب من الصواب.

لذلك حينما تتشكى (النسوية) بأنك لا تقف خلفها رغم اهتمامها بنصرة المظلومات، ذكرها بأصولها المنحرفة، وأن الفرع تبع لمزاجية الأصل».

تستخدم النسوية نظام الحشود ليكون للكلمة صدى، وللضربة أثر، وللسلوك أبعاد عميقة، على مستوى الموافقين والمخالفين ..

فأما على مستوى الموافقين فيزداد الإيمان بقوتها وصمودها أمام المختلفين معها.

وأما مع المخالفين فعملا على جانب التخويف والترهيب وزرع الهيبة في الصدور، ولا يحتجن إلى هيبة الإجلال فهي لا تعنيهن، بقدر هيبة المواجهة، أن تهاب أن تتقدم بكلمة أمام هذه الصفوف الغاضبة والمتعطشة للشتم والسب، وبهذا تؤكد أنها قائمة على الترهيب أكثر مما تكون على معانٍ صلبة متينة تقاوم الآخرين بنفسها وإن تطلبت حماية فهي حماية التجلية لا الاعتداء.

«أهم الصفات المطلوبة في قائد الحركة الجماهيرية الشجاعة، والإيمان المطلق بقضيته المقدسة، وإدراكه أهمية قيام كيان جماعي متلاحم، وأهم من ذلك القدرة على خلق ولاء أعمى عند مجموعة من المساعدين الفاعلين».

«إن العضو الذي انصهر في الجماعة يظل، دائما وأبدا، يعاني من

شعور بعدم النضج وغياب الثقة بالنفس».

«إن آلية غرس الاستعداد للقتال والموت تتكون من فصل الفرد عن نفسه، عن شخصه المكون من لحم ودم، وعنه من أن يكون ما تريده نفسه الحقيقية أن يكون، ويتحقق هذا الهدف بتذويب الفرد في المجموعة الموحدة المترابطة؛ بإعطائه نفسا جديدة متخيلة؛ بأن تغرس فيه اتجاها إلى احتقار الحاضر وشغفا بالأشياء القادمة التي سوف تجيء في المستقبل؛ بأن نضع حجابا بينه وبين الحقائق؛ بأن نشحنه بالعواطف المتفجرة على نحو يجعل من المستحيل عليه أن يعيش مع نفسه».

-المؤمن الصادق/إيريك هوفر.

❊ ❊ ❊

تشكلات النسوية في الواقع المعاصر

31 يناير، 2021



الذي لابد أن نفهمه بعقلية متبصرة؛ أن النسوية ليست وليدة يوم وليلة، ولا ظاهرة كونية طبيعية، جاءت في اللحظة، إنما مسار تيار فكري استغرق الكثير من الوقت لإعداده في مصانع الغرب أولًا، وكانت التجارب الأولى من هناك، وامتدت في أثير الكون إلى هنا.

النسوية إيديولوجية غير محددة التعريف، فهي متنوعة الدوافع بتنوع التشكلات الرسمية لهذا الكيان الغاضب، والممتعض على أتفه شيء.

وهذا الامتعاض المستمر صاغ المفهوم النسوي بالكراهية والرفض، الذي قد يحدث بشكل عشوائي أو منظم، لكنه لن ينتهي ما

دامت النسوية قائمة وتسير بين الناس.

فمن طبيعة الأفكار أنها لا تدوم، ولم يثبت لتيار ما أن بقى في البشرية بقاء الدين، إنما هي زوابع تثور وتهدأ، تموج وتضطرب، ثم تعود لسكونها أول مرة.

وهذا ينطبق على هذا الفكر، الذي أقصى آماله أن يبقى مدة أطول لا ينمحق قبل استغلال أعضائها تمام الاستغلال.

وتأتي كلمة استغلال (في النفس) مع مصطلح النسوية كلما ذُكر وهذا لأنه في الأساس قائم على استغلاله للكثيرات ودون أن يشعرن بذلك، تحت سكرة المطالبات التي لا تنتهي، واستغلال لدول بعينها لتنفيذ مطالب نسوية، حتى لو كانت تتعارض مع تراثها وبنيتها.

من خلال قليل تفكر في واقعنا العالمي المعاصر، نجد أن النسوية ليست منعزلة عن باقي الظواهر الاجتماعية الحديثة، بل ما جعلها صالحة لهذا الوقت تحديدا، تمهيد النظام العالمي الحديث، أو الحداثة بالمفهوم الشمولي وأثره في نحت المجتمعات وتغيير الهيكلة الشكلية من الداخل والخارج.

فمن مفرزات الحداثة، وسبلها في تخدير الشعوب، وزرع مفاهيم وتشذيب أخرى، جاءت نظم حديثة غيرت من عقول الأفراد والمجتمعات.

الفردانية، واحدة من أهم السبل التي تغذت عليها النسوية، فمصلحة الفرد تأتي في المرتبة الأولى، مع غياب الأطر التي تحدد تلك المصلحة العائمة، والدفاع عن مصالح الفرد مسألة متجذرة وفوق

اعتبارات الدولة والجماعات، مع دفع كل تدخل خارجي أو تحكم في مصلحة الفرد من قبل المجتمع أو المؤسسات.

تقوم الفردية؛ على فرضية «أن الفرد البشري هو العامل الأولي الأهم في النضال من أجل التحرير» وهي عينها الثورة النسوية والتقوقع حول الأنثى إلى درجة العبادة، فهي فردانية مؤدلجة، وبحث عن الذات في كل ما يصوغ تلك الذات حسب مفهومها المسبق عنه وكيف لابد أن يكون.

أما ما يتعلق بتأثير السياسة على دور المرأة في الثورة، وتنميط الحياة العامة بأسس تم تفصيلها مسبقا، فهو بارز إلى درجة أن الجميع يلاحظ أن النسوية لن تقوم لها قائمة إن لم تكن مدعومة من الخلف، فهي من حيث هي لا شيء لولا دعم الحكومات، أو لجنة القضاء على أي تمييز ضد المرأة.

فتأثير الهيئات الدولية والضغط على الدول العربية تحديدا، ساهم في إحداث تغييرات حقيقية، كانت كالنواة لما سيأتي بعد، فكثير من التيارات لا يتم دعمها عبثًا إنما لأهداف سياسية محورية من صميمها إعادة تشكيل بعض المناطق بطريقة ناعمة وسلمية.

لا تسألني عن ضعف الذكورية إلى درجة التقلص أمام طوفان الفكر النسوي؟!

بل اسأل عن أيهما هو اللعبة -الحالية- في يد السياسة، وبقاءه يشكل أهمية في التغيير المستقبلي.

لذلك تذوب الذكورية في كل مرة، ويبقى علم «المرأة الحرة»

يرفرف على قمة الإعلام والقرارات الإدارية والتسهيلات والمنظمات والندوات..

على وجه الخصوصية، والتحديد، من بين النسويات العربية، النسوية السعودية تصاعدت الفترة الأخيرة، بنماء فوق طبيعة النمو نفسه، فهي تتكاثر تكاثر سرطاني يشل الكثير من الأسر ويعطل استقرارها.

لم تحدث التغييرات بتدريج وبطء نفس ما حدث في بعض الدول الأخرى، إنما صعد سهم التوترات عاليا وتم استغلال وسائل التواصل الاجتماعي بعد الاستهداف الإعلامي وتوعيته -المزعومة- وتضليله كذلك بحقوق المرأة.

جاءت برامج التواصل خطوة لاحقة بعد مقدمات أخذت من الوقت أكثر بكثير من نتائج الإنفجار المرتقب، وها نحن نشهد شظايا الضحايا، والهدم والتخريب في كل ناحية.

لفهم النسوية السعودية، يجب دراستها بشكل مستقل أولًا ثم ربطها -بعد ذلك- بغيرها، لأن لها خصوصية المكان، والزمان، والتأثيرات، وتعجيل الأثر، ما لم يسبق له مثيل -في رأيي- إلا كما كانت سرعة بناء (داعش) المتطرف، وهجومه على كل ما يخالفه.

ومن التجرد أيضا أن لا نخلط الجميع في نفس الخلاط، فهنا لا زال تأثير الدين والأسرة حاضرا، ومع ضعف الدين وضعف لحمة البيت، إلا أن حنين المرأة لازال يصرخ في أعماقها لقرب العهد، وعدم الابتعاد بشكل كلي وإن ظهر فساد الفكر.

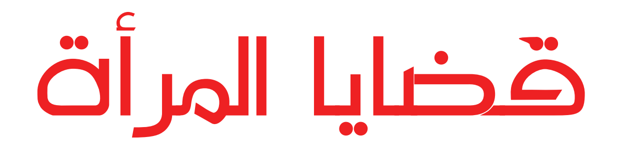
يقول المفكر الفرنسي أوليفيه: «لولا الإسلام لكان كل شمال أفريقيا جزءا لا يتجزأ من أرض فرنسا الجديدة، ولذهبت شعوب هذه المنطقة أدراج الرياح وأصابها ما أصاب الهنود الحمر».

أيضا توزعه على مستويات ومراحل وتقسيمات ينبغي مراعاتها.

فالنسوية السعودية ليست هي تماما النسوية العالمية، ولكنها فرع مختلف، بما هو منه وفيه.

وأخطر فئة من بين فئات النسوية الجديدة، ليست تلك القديمة المدبرة، فهي تعلم في قرارة نفسها أنها محملة بفكر خارج السياق العربي، ولكن تلك الصغيرة التي تبدلت منذ وقت مبكر، وتشاركت مع الصديقات نفس الميول، وتربت بلا حشمة، وتصلبت وهي طرية، وتغربت وهي قريبة، هذه بالذات الخطر القادم منها حتى لو ضعف التيار.





١- هوس الجمال

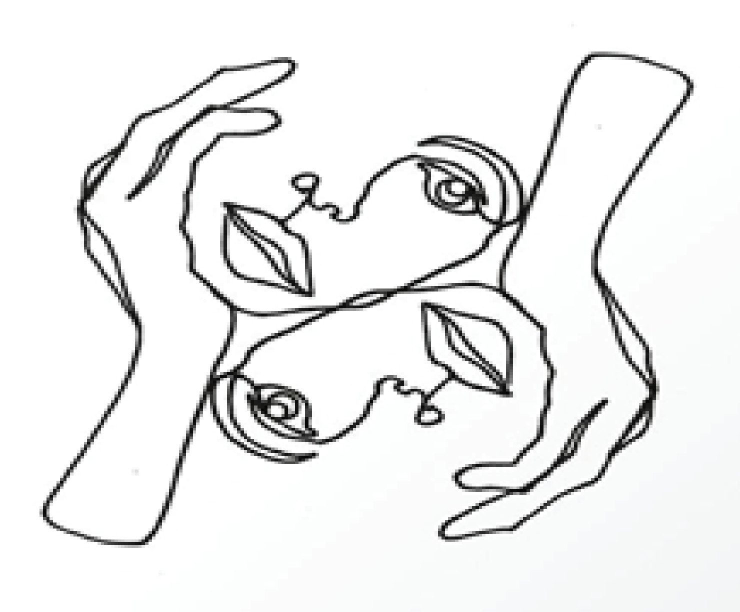
٢- لماذا هي ليست جميلة

٣- طاحونة العمل واستلاب سكينة المرأة

٤- هبة الاستقلالية المادية

هوس الجمال

1 أبريل، 2021



الهوس، طرف من الجنون وخفة العقل. نزعة لا تُغلب، توق شديد، تنقل سريع مضطرب. في الهوس لا يكون المرء على طبيعته، تدفعه رغبة لا يملك مقاومتها، تستولي على عقله ووجدانه وتتحكم فيه، لذلك هو رسول الانهيار في الحاجات التي تثيره، وسيلة البقاء في أفكار مضخمة تُضخ في عقل المهووس وكيانه حتى كأنه لا يوجد غيرها، فلا ينظر لجوانب الحياة الأخرى بقدر ما يشده ذلك الشيء الذي هوس به، ولا يجذبه شيء بقدر ما يجذبه ويستدعي انتباهه.

أما الجمال فصفة الحسن والفتنة، دافع من دوافع سرور النفس لشعورها بانتظامه وقدسيته، فهو سحر وبهاء، ورونق متناغم، فأن تحكم على جمال شيء أنت تحكم بحيازته لشيء من الحسن والتناسق، وإذا كان في المرأة كان حسن ودرجة رفيعة من الزين، ألبسها الله إياها.

لماذا الهوس بالجمال بالذات؟. لأن النفس -وتحديدا المرأة- فطرت على حب الحسن والأحسن، تتطلع باستمرار لأن تكون المنافسة الدائمة فيه، فمتع الحياة وبهرجتها سماها الله «زينة» والمرأة التي هي من زينة هذه الحياة وصفها بأنها منشأة في «الحلية» والحلية هي الزينة، فهي لا تستطيع العيش بلا زينة، تُزين طفلة، شابة، في زواجها، بيتها، أمام الناس، وقد لا تفارقها الزينة بحال من الأحوال لما تَكْمُل به منها، وتدعم به أنوثتها، لأن الأنوثة تستمد قوتها من حسنها، ولا تكون بالشكل الآسر حتى تكون على الشكل الجميل، فلا أنوثة بلا جمال، ولا أنوثة بلا تجمل. ولكن في حالات قد تخرج حالة التجمل عن وضعها الطبيعي وتدخل في دائرة الهوس التي تستدعي منها أن تحاول التحسين بشكله وسي مضطرب، فتستغل ما تصادف من أدوات للتجميل بما يوافق إمكانيتها المادية وقد يتجاوز هذا طاقتها الجسدية لما ترغب فيه من التحسين الأسبوعي أو الشهري ولنفس الملامح والتفاصيل فتبحث ما تغير به طبيعتها لما يتفق مع أذواق المجتمع الجمالية فتجري باستمرار خلف التعديلات التي قد تضر الجمال نفسه من حيث لا تشعر لأنها واقعة تحت تأثير الهوس الذي لا يريها حجم الضرر بالشكل الكافي .. «الغيرة تزيد حماس السيدات، كما أن الوضع المادي يلعب دورًا سيئًا، كونه يساعد على التغيير

الخارجي بسرعة»[(١)].

تنصاع المرأة لتأثير الدعاية في ذلك، وقد يشدها النهم إلى التشكيل المستمر لمظهرها بما يتفق مع السائد والمنتشر حتى دون مسائلة داخلية، هل هذا ما أرغب به فعلاً؟!

«إعلانات الجمال تلعب على فكر الفرد خاصة إذا كانت شخصيته هشة تتقبل الايحاءات كما أنعدم النضج والوعي يدفع الفتيات إلى مثل هذه الخطوات التي لها آثار اجتماعية تظهر في نشاطاتها الاجتماعية والوظيفية والمدرسية والأسرية»[(٢)].

وهذا المنتشر في صف النساء من أسبابه الرئيسية السعي الدؤوب إلى الكمال، أما محددات الكمال بالنسبة لها ما يشرحه الإعلام بمظاهر السيدات فيه، فهي لن تخرج عن الجو العام والسائد الذي تم تعزيزه -أيضا- في مخيلتها وأعماقها حتى أثناء الحكم عليه وليس لاختياره فحسب. فلن ترى أنها على مستوى عالٍ من الجمال وإن كانت تتحلى به حتى يرتبط بالنموذج العالمي المثالي. لذلك تُزْهَق الكثير من النساء ويعانين الإحباط إلى أن يصلن إلى ما يردن، ومشكلة الهوس أنه لا إرضاء له، فلا يتم الرضى أبدًا، وإن حصل الثبات على مستوى رفيع، ذلك لأن الرضا يعني الثبات، ولا ثبات في جمال اليوم فهو مضطرب باضطراب السوق الاستهلاكي وحاجته، والصور التي يرشحها للبروز فيه كل مرة.

«بدأت تلك الثقافة مع انتشار واسع ووفرة للسلع الاستهلاكية في الحياة اليومية للناس من مختلف الطبقات الاجتماعية، وأشعل هذا

(١)، (٢) مقالة هوس التجميل ماذا يقول علم النفس.

الاستهلاك تغيرات الذوق العام في الأزياء والمظاهر، ورسخت من خلال تطوير البنى التحتية والمؤسسات والممارسات التي استفادت من الأسواق الجديدة، مثل: الإعلانات، والتسويق»(١).

«تتلاعب الإعلانات بـ«صورة الجسد» فتضع الناس تحت ضغط صور مثالية، ثم تقدم عروضا ترويجية للجسم بإفراط في التبسيط والتخييل، تصور تقنيات التخسيس وجراحات التجميل والملابس وأدوات الزينة وغيرها على أنها ستجعل الناس ينظرون للشخص نظرة مختلفة، وستسهل طريقه للمتعة المنشودة»(٢).

ومما يحفز عدم الرضا هو ارتفاع سقف المثالية، فهي تملك تصورات مبالغ فيها عن الشكل الخارجي المنشود وستسعى له بكل اندفاع، ومما سمعت وقرأت خوف كثير من البنات من الشيخوخة وعجزهن أمام طرد الأفكار السوداوية تجاهها رغم أنهن في أول مراحل الشباب، مما جعلهن في حالة هوس تجاه الاهتمام وتوجس شديد من مرور الزمن وكأن الزمن عدو لا آلة امتحان. وكأن الحياة كلها في هذه الدار. ولكن يأجد العذر لما تتعرض له المرأة من خلال ترويج النماذج البصرية عليها باستمرار، فهي ترى أن لذة الحياة ومتعتها لن تكون إلا إذا كانت على درجة خيالية من الجمال والنضارة الفائقة طوال الوقت، مع سحبها لأوضاع النساء المروجة -وهن بكامل زينتهن بتضليل وإخفاء للعيوب- على حياتها الخاصة بحيث تشعر أن مجرد استدعاء ظهور علامة صغيرة دليل على أنها لم تعد تصلح لشيء، وأن السعادة ستفارقها للأبد.

---

(١)، (٢) مقالة غزو ثقافة الاستهلاك لمجلة البيان.

يوجد ضغط شكلي يتم به تحطيم الكثير من النفسيات التي تعودت أن تراها بابا للذة والفرح، وأن فقدان جزء منها ما هو إلا بداية البؤس والشقاء، مع أن لكل مرحلة عمرية طابعها الفريد، وكل تفصيلة في الشكل تحمل من الدلالات ما يعجز عن فهمه صُنّاع الجمال الوهمي، الجمال البلاستيكي، الذي يختزل المرأة في الدمية، ويلغي الروح وانعكاسها بنورانيتها وجاذبيتها وفرادتها.

«إن الملامح التي تبيح أسرار الذات المعنوية تكسب الوجه جمالًا وملاحة مهما كانت تلكالأسرار موجعة وأليمة. أما الوجوه التي لاتتكلم بصمتها عن غوامض النفس وخفاياها فلا تكون جميلة مهما كانت متناسقة الخطوط متناسبة الأعضاء»(١)..

«الجمال هو ما نراه فنودّ أن نعطي لا أن نأخذ. هوما نشعر عند ملقاه بأيد ممدوة من أعماقنا لضمّه إلى أعماقنا. هو ما تحسبه الأجسام محنة والأرواح منحة. هو أُلفة بين الحزن والفرح. هو ما نراه محجوبًا ونعرفه مجهولاً ونسمعه صامتًا»(٢).

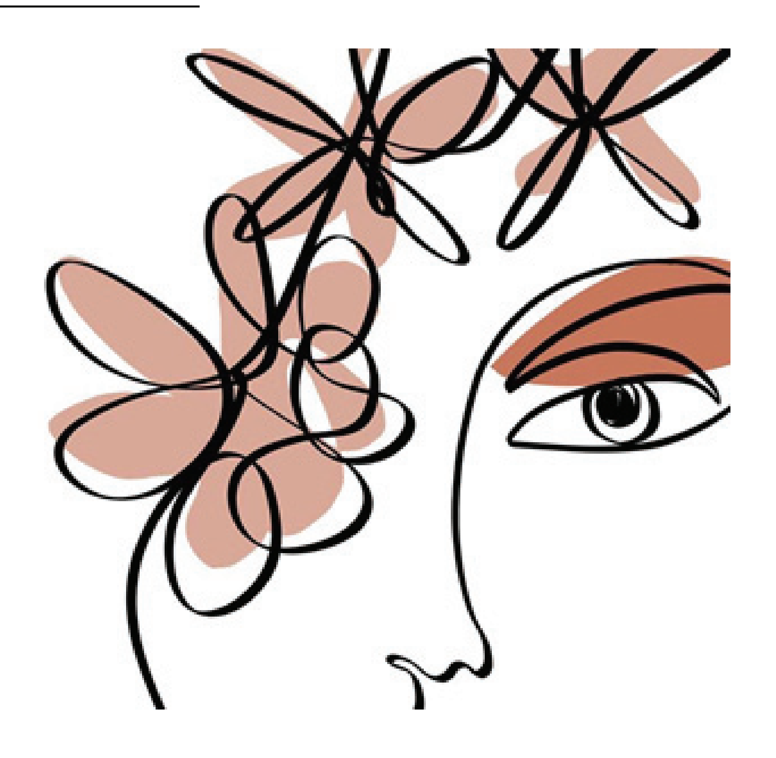
هذا الجمال ليس موردا للاستهلاك، أو موضعا للهدم والإنشاء، هو امتزاج بين نقاء روحي خالص، ومسحة جمال ربانية صافية، يستمد الوجه نضارته الأبدية مهما تقدم العمر، وتستمر جاذبية الشكل والروح وكأنها تغتسل بأنوار السماء كل عام، المهم جَمِّل قلبك وركز في العناية به وهو لن يخذل صورتك.

* * *

(١)، (٢) جبران خليل جبران.

لماذا هي ليست جميلة؟

7 فبراير، 2021



خلق الله النفس على هيئة فريدة، وجعل الأرواح تتشابه في أنواعها ولكن لا تتطابق، فالفرادة محور رئيس يستمد جوهره من جوهر الكائن الإنساني. فالإنسان نفس وصورة، والصورة لا تنفك عن ذات صاحبها، فحينما تراها تتوصل من خلالها لأعماقه إما معرفة أوشعورا ..

(كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه، عرفناه في وجهه)

(كان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر،

وكنا نعرف ذلك منه).

تعكس الملامح باطن النفس، وهذا الانعكاس يشبه تلافيف البصمات، فحينما تدقق، تسلبك الدهشة لتقول: يوجد شيء جديد هنا، يوجد ما هو حصري، وهذا من تجليات اسم الله (الواسع) الذي جعل لحكمته لكل خلق خواص، ولكل مخلوق مميزات لا يشترك معه فيها غيره، حتى على المستوى الدقيق جدا.

لو تأملت بديع ما في الصور الشكلية من معانٍ، أدركت كم أن هذا الإنسان يعكس نفسه بطريقة رقراقة تنساب للأعين بمثابة الشفرات، ممكنة الفهم، وسهلة التمييز للمتوسمين.

دائما ما تقول التعابير الشكلية شيئا، بل وتقوله بشكل مختلف في كل مرة، وإني أجد أن من رسائل الحكمة في اختلاف الصور والتعبيرات أن يدرك الإنسان كم هو «حر» وكم هو مسؤول عن اختياراته وحده، ومطالب بها، ومحاسب عليها، فالتطابق سمة آلية ليست لهذه الروح السماوية ذات الكرامة والعناية الخاصة.

أنت أمام إلهام الروح المفكرة، المتفاعلة بالعقل، المستجيبة للانفعالات، المتأثرة بالرسالات، المختارة، المتحيزة، المتصدرة، المتكلمة ببديع الكلمات.. أنت أمام ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾. لذلك هذا التميز أول ما يريد الشيطان طمسه لأنه يذكره بكرامة آدم، كرامة الإنسان الأول الذي منحه الله امتيازات فقدها هو، وازداد خسرانه مع عصيانه، وازداد لذلك حنقه على ذريته، فثار في داخله تحدي الطمس والتشويه ..﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ ما الذي أزعج إبليس في صورتك

إلى هذا الحد؟! لعله يعرف أكثر منك أنه لن يصل إلى تشويه الصورة إلا بتشويه النفس، وأن تشويه الصورة مؤثر في النفس كذلك، فهو عدو والعدو لا يقدم على عداوة من يجهل، إنما عن معرفة حقيقية. والصورة لن يختار تغييرها عبثا، فمن يعلم حق العلم أنه في النار لا وقت لديه للعبث، هو يريد منك هويتك، وتزوير الهوية جزء لا يتجزأ من تزوير الإنسان، بالتالي ضمان كائن جديد مزور، ومعزول عن خالقه بلبس ملامح مكررة، سميكة، بليدة، ليدخل بها لعالم بعيد يؤله ذاته ويعجب بها لحد التيه، إعجابا لا يريد خلفه أن يرى آثار خلق الله فيه.

حينما أتصفح صفحات المشهورات في برامج التواصل الاجتماعي، ينتابني هذا السؤال كثيرا، لماذا هي ليست جميلة؟. قد يبدو السؤال غريبًا ولكنه حقيقي، فالصورة حينما تتدخل اليد البشرية للتغيير منها وتستمر في التغيير إلى درجة نفي الأصلية بشكل شبه كامل تمنحك عدم الارتياح، تشعر بأن فيها أمرا غير طبيعي، وأن صاحبها تنازل عن معانٍ أصيلة حتى تمكن من الحصول عليها. تنظر ببصرك فترى معالم مرسومة بدقة، وتنظر بقلبك فترى خلف هذه الدقة فوضى، وقلب مظلم. لا يستطيع التزوير إخفاء ظلام الروح خلفه.

وفي ظني أنها تعلم أنها ليست جميلة بشكلها الجديد المنتحل، فليس من المعقول أن ترى أنوجهها أصبح مهترٍ من كثرةالاستعمال والانتشار بين جنسها، وأن الشفاة الكثيرات أصبحن يمتلكن نفس امتلائها والذقن أصبح أشهر من اقتباس على حائط شارع معروف، والتوصيلات في شعرها والرموش وتحديد الوجة والخدود المنتفخة

والملامح المتورمة المعجونة بالمساحيق -وبنفس الطريقة- قد أصبحت صناعة نسائية تُشترى وتباع وتُنحت ويتم التلاعب بها ونسفها كتلاعب الصغار بالرمال على الشواطئ، ثم تتفاخر بها وهي موضع سخرية وامتهان؟!.

كنا في زمن سابق نتعرض لضغط التحديث على الملابس والاكسسوارات، أما اليوم فدخل التنميط كل شيء وتمت إعادة صهر العالم وتشكيله وفق كتالوج مستورد، يصمم مقاسات المرأة بالكامل، حتى كيف ينبغي لها أن تمشي وما الوزن الذي لا تخرج عنه، واللون ونوع الجلد ونوع الشعر وطريقة تناول الطعام والقهقهة ونغمة الصوت.

نسخ إبليسية تتكاثر كل يوم وتفرض حضوره الدرجة أن الفريد يحزن لفرادته ويرى أنه دخل دائرة مشكوكة، أو يعيش فوق كوكب الزهرة.

وللأسف تم ترويج القلق لما يحدث، بكثافة، ولأن الملامح مصهورة ومكوية ومنمقة بترف أصبحتا لشيخوخة هاجس المرأة أو أن تخرج عن الصورالمحددة في كتالوجها المفروض، فتضطرب، ولاتهدأ، وتتساءل لماذا لم يعد هذا العالم يقبلنيكما أنا؟!.

قلق الملامح ولد تساؤل بصري، نوعي .. هل يحتاج الجمال إلى برهنة؟. هل عمليات التشطي بوالحذف والإضافة، تعكس جوهر الإنسان وقيمته؟. بالتأكيد لا، ومن نعم الله أنه هو موزع الجمال، وإذا تدخلت يد مخلوقة فيما هو ليس إلاله وحده محق عملها بركته، وخرج التحسين تقبيحا، وقد لا يشعر الضحية بهذا لغبش الرؤية أمام عينيه.
﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾.

الغرق في الشكليات والمبالغة الشديدة في التجمل وطمس الصور الأصلية يخلق الحواجز بين الأرواح، ويعزل أصحابها في صناديق تضعف معها الفصاحة ولغة التواد والتآلف، يرتسم البغض رغما عن تصنع الشفاة وتترهل العواطف ويصيبها من برود البعدوأخلاق الصور الجديدة. وإذا كان اللباس يؤثر على شخصية اللابس، فما بالك بمن يلبس وجها جديدا يمحو به القديم؟!.

توجد مسببات لانشراح النفس؛ لصاحبها ومنحوله تجاهه، من تلك الأسباب طبيعيته، لذلك دائما ما يجذبنا صاحب الشخصية الطبيعية والشكل الطبيعي الصادق المنسجم مع ذاته،وهذا ما يفقده أصحاب التزوير الشكلي «فقدان الطبيعية»، حتى انعكاس الروح على الملامح يبدو مشوشا مضطربا كأنه خرج من ذات مسحوقة أوآلة متحركة، لا تشعر بأن ابتسامتها من قلب، أوأن الحزن بادٍ عليها أو الفرح والرضا والحب .. معزولة متصنعة مفبركة بشكل مستنزف.

لماذا لا أراها جميلة؟!. لأنها ليست جميلة حقا،استجابة لصناعة إعلامية، وضغط الصورالمقبولة، والموضات، تنفخ هذا العام، وتفرغ مانفخت العام المقبل، تصل شعرها هذا الشهر،وتفصل ما وصلت الشهر القادم، تظهر هذاالأسبوع بلون فضي، والأسبوع القادم، بنحاسي أوذهبي، متلونة كالحرباء، ممجوجة، تعيش بجسددمية ويستهويها التلاعب البصري وتداعيات الحركة، وكل هذا على روح كالجثة هامدة.

❋ ❋ ❋

طاحونة العمل واستلاب سكينة المرأة

1 فبراير، 2021



«في بعض الأيام، أجد من الصعب أن أكون أما غير موجودة في المنزل. لكن، أحاول أن أنجح في عملي رغم أني أشعر بحزن كبير عندما يمسك أطفالي بساقي بينما أغادر المنزل إلى العمل». -روزي بوب

الرأسمالية هدفها الأيدي العاملة، لا استقرار الأسرة وسعادتها، وتفكيكها ليس بالأمر المقلق لها، بقدر ما هو وسيلة من وسائلها لاستمرار تدفق الأيدي بلا رحمة.

وهذا ما جعل كثير من الأسر حول العالم، تنشد الراحة والاستقرار ولا تجدها في الأنماط المنعكسة لمثل هذا النظام الذي

يخدم أهدافه.

أول مراحل التحول في عمل المرأة الغربية كان خلف الثورة الصناعية والتي كانت سببها هجرة الرجال للمدن، فكانت هي اليد البديلة عنه في الأرياف.

لم يكن الأمر مثير للبهجة، بل كان سبب تعاستها وزيادة الأعباء، ولم يكن عملها اختيارا بكامل رغبتها بل إلزاما لتخلي الرجل عن مكانه ومسؤولياته.

أما مفهوم عمل المرأة فتشكل عند إضر اب عمال المصانع بسبب طول مدة العمل، فما كان من أربابه إلا إحلال المرأة لتسد فراغ نقص العمال لإنقاذ المصانع من الخسارة.

من هنا فتحت الرأسمالية قيود العمل التي كانت مقتصرة على الرجل، ولم تراعي مصالح المرأة في الأعمال الجديدة ولا اختلاف جنسها عنه وما يستلزم ذلك من فوارق تتطلب مراعاة كبيرة.

فالتاريخ العمالي الغربي يؤكد بأنها كانت الخيار الثاني عند ضعف الانتفاع من الخيار الأول (الرجل)، ودخولها لم يكن إلا رهينة مرحلة ضغط وضعف وظروف، ولم تخرج من أجل رفاهيتها المعيشية بل من أجل أن تكلف نفسها طاقة غياب، وتكون المنتج القوي في سوق لا ترى سوى المادة.

ظهرت بعد ذلك الكثير من الوظائف والتي مهمتها امتهان هذه المرأة لأقصى حد، واستغلال جسدها وأنوثتها لترويج أي سلعة.. ولم يكن العالم الغربي على رضى بهذا التحول السريع، وكان لهذا التحول

ردة فعل من الكثير منهم ..

«إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة، وتأبى أن تظل وفية لزوجها إذا تحررت اقتصاديا».
-برتراند رسل

«إن السبب الحقيقي في جميع مفاسد أوروبا وفي انحلالها بهذه السرعة هو إهمال النساء للشؤون العائلية المنــزلية، ومزاولتهن الوظائف والأعمال اللائقة بالرجال في المصانع والمعامل والمكاتب جنبا إلى جنب».
-سوليفان

«لأن تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاءً من اشتغالهن بالمعامل، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيه االحشمة والعفاف والطهارة رداء.. نعم إنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال، فما لنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها».
-أني رورد

«في الشرق تنام المرأة وتحلم، وتحقق ما تريد ؛فالرجل قد وفر لها خبزا، وحُبّا وراحة ورفاهية.

وفي بلادنا حيث ناضلت المرأة من أجل المساواة، فماذا حققت؟!».
-كريستين

«إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل، مهما نشأ عنه من الثروة، فإن نتيجته هادمة لبناء الحياة المنزلية، لأنه يهاجم هيكل

المنزل، ويقوض أركان الأسرة، ويمزق الروابط الاجتماعية».

-ساموبل سمايلس

هناك قانون يجب الاعتراف به، وهو أن حدود الطاقة الإنسانية تتفاوت بحسب العمر والجنس والهبة الربانية، وأنه بقدر أخذ حيز من هذه الطاقة في جانب ما، سيتم فقدان الكثير منها في جوانب أخرى، فالمرأة لن تكون خارقة في سد تجاويف احتياجها في جوانب عدة في وقت واحد، وإن كانت قادرة على التغطية فسيكون مع التضحية بجزء كبير من الجودة، فمن تتقن وظيفتها ستخسر من وقتها ونشاطها مع أسرتها ولابد.

وهذا الحيز الآمن الذي تم استلابه من الأسر، كانفي أن تخرج المرأة لتحقق ذاتها في أماكن ليستلها، وتنسى المكان الحقيقي لتحقيق الذات، فيأن تكون أمًا بما تعنيه الكلمة .. فلا يوجد عمل هو أشرف للمرأة من تكون المدبرة لمنزلها، المسؤولة عن رعاية من فيه والاهتمام بهم.

وهذا بالضبط ما تم سرقته من الغربية، شعور السكينة والراحة، والأمان، ومعرفة الغاية، والإحساس بالانتماء، واستفراغ الجهد العقلي والنفسي في محله.

فمع ظهور موضة العمل في الفترة الأخيرة، والشعور بضياع البوصلة في حال غيابه، خرج عمل المرأة من الوسيلة إلى الغاية، فهي في هذا الوقت تشعر باضطراب فقدان الهدف إذا لمتخرج من منزلها، بل لا ترى مشوار التعليم ذا قيمة إلا إذا ارتبط بمهنة تدر عليها المال وتعطيها الإحساس بالأهمية، وإذا تغافلت المرأة عن هذه

الأحاسيس رمقتها نظرة ازدراء مجتمعية، هل من المعقول أن تقضين معظم وقتك في منزلك؟!. ألا يوجد لديك وظيفة ما .. تحقق أحلامك؟!.

زعزعة ثبات الأنثى بمعايير مادية، جعلت منها تحتقر كل ما يرتبط بحقيقة أن تغذية روحها وعقلها أهم من تعبئة جيبها، وأنا الحياة لا تتعلق بوظيفة تمتص كل حيويتها وتبقيها كالجثة الهامدة عند دخولها المنزل.

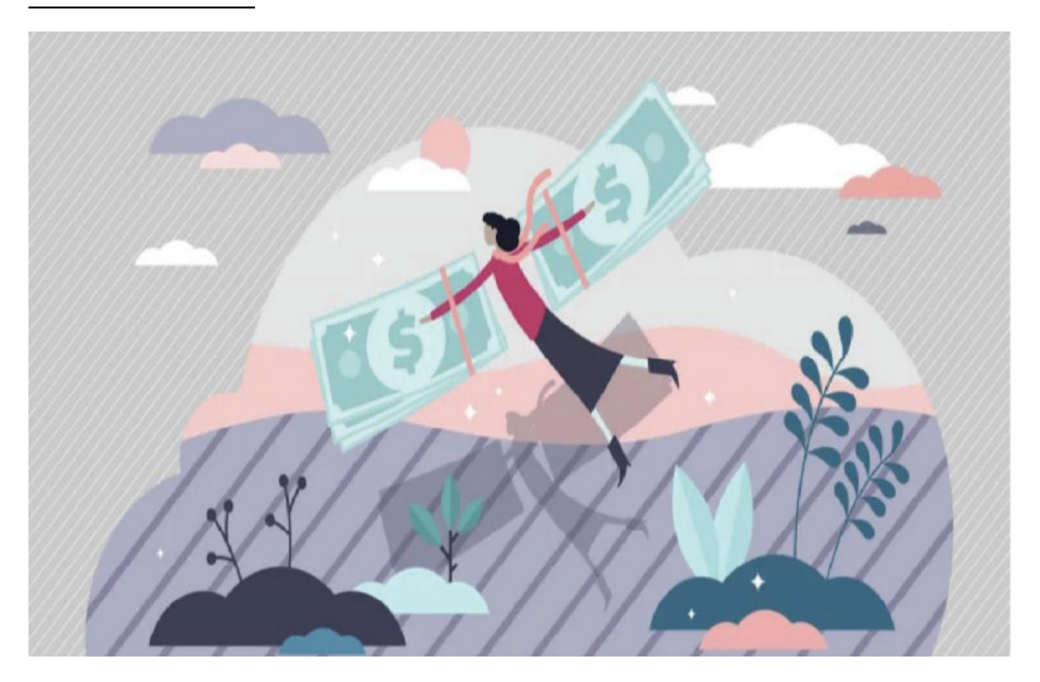
هذا السباق المحموم على المظاهر والشكليات أول ضحاياه هم من شارك فيه، فهي الآن تحت سكرة الأعمال بصورها المتعددة، ولكنها غدًا ستصحوا وقد تكون صحوتها متأخرة، وسترى كالغربية أن هناك شعور ناقص وسط ركام هذا السعي .. وأن طبيعة الأشياء وصلاحها يتطلب استراتيجة ما إذا تم خرقها تم تشويهها.

هذا السرد لا ينفي وجود الأسر المحتاجة، التي تعمل نسائها لسد حاجتها حقا، وهؤلاء هن ضحايا تفريط رجل، أو نتيجة ظروف، ومستوى مادي، جعلهن في حالة بحث عن الاستقرار والأمان، وإلا فالقاعدة الأساسية أن عمل المرأة إذا لم يكن لحاجتها، فهو لاستنزافها من أجل رغبات كمالية، استهلاكية .. لا ولن تنتهي.

❊ ❊ ❊

هبة الاستقلالية المادية

1 فبراير، 2021



تأتي كلمة هبة على الألسنة مؤخرًا للتعبير عن اجتياح الشيء، بطريقة قد تكون شمولية، عامة، تأخذ بها الكثير من الناس في طريقها، وكأنها تأخذهم كهبوب الريح بشكل عشوائي غير مخطط له على وجه الدقة، لسرعة الانتشار والتفشي.

هبّة الاستقلالية المادية لدى المرأة اليوم، نموذج عصري، يُبرز حجم الرغبة الفردانية، الاستقلالية، لإثبات الذات بعيدًا عن القيود، والتعقيدات، والنموذج التقليدي في الاعتماد على الرجل في النفقة.

أصبح العمل لأجل العمل ذاته، وتحقيق المنفعة المادية، حتى لو كانت العاملة لديها ما يكفيها فيحاضرها، ومن يهتم بتدبير مصاريف

معيشتها، وذلك كي لا يكون ذلك الاعتماد بشكل كلي ..

يقول المثل الصيني «الرجل الذي يدخر المال، يصبح رجلًا حرا».

المرأة اليوم تدرك أن للمال قوة، وهذه القوة منحتها الجرأة لدخول قطاعات لم تدخلها من قبل، والجبروت في الدفاع عن اختيارها، مما جعلها في حالة دفاع مستمرة، أو لنقل في حالة الوقوع تحت تأثير السحر المادي، كما يقول باولوكويلو «إن للمال فعل السحر، مع المال لا يكون المرء وحيدًا على الإطلاق».

منحتها الاستقلالية المادية، شيء من التفرد والحضور اللافت، والهيمنة، وهذا الإشباع جعلها في تعطش للمزيد لأن كل زيادة منه تعني اكتساب نقاط أكثر تجعلها تعيش كما تشاء.

«إن المال قوة جبارة لا حدود لها قد تنتصر للملأ ضد العدم، والغنى ضد الفقر والحاجة والعوز والحرية ضد الجبر والإلزام والضرورة العمياء، لذلك أصبح المال هو المثل الأعلى لكثير من الأسوياء والمرض على حد سواء، ظنا منهم أن قوة المال قوة مطلقة تجعلهم متمكنين، متفوقين، ناجحين، وقادرين على كل شيء».

-صالح بن علي

هذه التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، شكلت نفسية جديدة للمرأة، ترجح فيها التمرد على الصورة النمطية في التعامل مع الرجل، وتحاول أن تنمذج الشكل الذي اختارته على كل العلاقات، فكل امرأة ليست مستقلة ماديا ليست -فقط- قاصرة عن الطموح المهني العالي، بل وذليلة كذلك وخانعة لديهن، ولابد من محاربة هذا النموذج القديم الذي يعرقل فهم الأنا والآخر بالشكل المثالي.

الثقة التي اكتسبتها المرأة خلف العمل والقوة، كانت الوقود لحرب شعواء تؤدي إلى التخلي عن أي علاقة قد تكون مزعجة بالنسبة لها.

وهذا ما ضاعف اليوم نسب الطلاق فإن لم يكن (البحث عن الاستقلالية) العامل الرئيسي فهومن بين العوامل المسيطرة، على كلا الزوجين، وذلك أن المرأة لم تعد كالسابق ستسمح للمشاكل العميقة أو السطحية مدتها الكافية للعبور، إنما ستجتثها من الأساس لأنها ستفضل الراحة والرفاهية، والحرية، على أن تكون سُلّمًا لنجاح أسرة، تستطيع متى ما أرادت التخلي عنها والفوز بسعادتها ولذتها.

الاستقلالية المادية، سبب للتخلص من التبعية للرجل، فصاحب المال، المتصرف فيه، هو صاحب القرار في المنزل، وهي لا ترى نفسها إلا ندا له، وشريكا، فحتى لو تم توفير كامل احتياجاتها، ستطالبه بالمستقبل والذي لن يوفره لها إلا عمل مستقل، تريد الاستظلال به عن السير خلف هذا القائد.

«المرأة التي حققت ذاتها في عملها وتفوقت مهنيا تضيف إلى شخصيتها أبعادا جديدة تجعلها ترفض واقع التبعية للرجل، الأمر الذي يجعلها تفضل العزوبية على أن تخضع لإرادة الذكر الذي يستفيد من هذا التصنيف الاجتماعي لقيادة أمر الأسرة». -عبدالباسط الفقيه

اللهاث خلف الأعمال -اليوم- لا يندرج خلف تطور الإنسان، وارتقائه في سلم الحضارة الإنسانية، بقدر ما هو في معظمه جري مستمر خلف الأهداف المادية، التي عرقلت مسيرة أهدافه الروحية، المتطلعة إلى الآخرة وسعادة الأبدية.

لم يعد الإنسان يفكر في مصير هذا الجشع، من خلال الرغبة

بتحقيق نتائج خلف أخرى ليس لها إلا أن تسعده جسديا، وتضمن له الحياة الرغيدة.

أصبح مع الوقت انفصال واضح بين حياة القيم، وحياة المصالح، وضاع الكثير من الناس في دوامات دهست في دربها أطرافا لا علاقة لها.

البيت الذي يُهدم بسبب امرأة ورجل، لا يهدم فوق شخصين وانتهى الأمر، إنما يطول أفرادًا هم في غاية البراءة وقلة الحيلة والفهم لكل ما يدور حولهم عوضا عن العالم الخارجي.

فالمنزل الذي تدوسه المادية حتى تمحقه، هي تدوسه بكل من فيه، تعبر فوق جميع الأفراد، وتشكل من ركامها نفسيات مشوهة جديدة.

«إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة» متفق عليه

لابد أن تكون دفة القيادة لأحد الزوجين، ولابد أن يكون الآخر تابعًا له ووزيرًا، شاء أم أبى، لأنه حينما يأبى لا يكسب من تحدي الفطرة إلا خسارة الأمان والسكينة، وكسب نشوة سعادة موهومة، مصيرها الانمحاق لأساسها المزيف.

المجتمع الإسلامي تعاوني لا فرداني، السعادة تحقيقها مشترك، والتطلعات والهموم والقضايا، يعتمد فيها كل شخص على الآخر وهذا ليس في الأسرة الواحدة فحسب، بل على الأمة كلها، وحينما يتم التعامل بالأنا والصراع مع الغير، لن تهدأ موجات الصراع وستبقى

ترdداتها تتذبذب فترة ليست بالقصيرة.

الاستقلالية المادية، صراع ضد الفطرة، وحاجة استقواء، وضمانة تحد، وذخيرة كماليات، ورصيد وهم، بمصلحة شخصية أنانية، لا تفكر إلا بأن تكون الحياة بحرية المزاج، لا حقيقة الظروف، وأن تبقى في لهاثها حتى لو حققت لنفسها واد من ذهب، لأن القوة أصبحت لا مشروطة، في زمن الحب فيه مقيد.





١- اغتراب الروح

٢- الاتزان النفسي في عالم يموج

اغتراب الروح

25 مارس، 2021



قلب الإنسان مستودع أسراره وأفكاره وعواطفه التي يحركها أكثر من باعث، ويستثيرها أكثر من مثير، ويصنع من مواقفه انتماءات، ويخلق من ركام الذكريات توتر الحنين، وانتفاضة الشوق والرهبة والرغبة والغربة ..

لا شيء يربط الإنسان بحاضره وماضيه قدر معرفة الذاكرة، وانطباع التاريخ بتفاصيله في العقل والوجدان واستدعاء صوره التبوح بقصص الاستمساك بهذا الحبل الممتد والقادم من بعيد، منذ الإنسان الأول وشعوره بأنه لم يعد من أهل السماء بل منسكان الأرض، وأن

التحولات أكبر نقلة كانت لهمنذ أن انبثقت آثار الحياة فيه.

حينما هبط آدم، أدرك منذ الوهلة الأولى أن طبيعة الأرض قاسية، حتى التنعم فيها مشروط بالكثير من الشروط الصارفة عن اكتماله، فيغدو الحب مدعوما بما هو خارج عنه ليبقى، والوفاء محاوط بطاقة تحتاج منه البذل، والعطاء تعوقه أزمنة الشح ومطبات تحويل المسار. أدرك أن خشية الأول، مع صعوبة السبق بالسير على الطرق غير الممهدة، وحداثة العثرات المصاحبة، تحثه في كل ذلك خبرات لم ير ثمرتها بعد، فيبدأ ويُعَلّم، ويكون الفلاح والراعي والتاجر وصاحب الثمرة متنقلا في أدوار فرضها عالمه الجديد والذي هبطت معه دوافع الاكتشاف مغلفة بقدرات تشابه صعوبة هذه الحداثة التي في قلبها مكتوب «أن النهوض مستمر» .. فإمكانية الانسجام مع كل ما يواجهه، ومعرفته بأنه ما خلق للشقاء، وأن بداياته مرآة للنهايات، تميزت مرحلة جزءها الأول تعب والآخر تضحيات قادتها معرفة.

كانت في بداية استقبال الأرض بركة منح لا تتكرر في الأزمنة، تنقل الإنسان في أحضانها عالما بأنها تحاول أن تجذبه للموائمة، فالتكيف كان بحاجة منها إلى استسلام، واستدراج بالعطايا حتى ينسجم مع قصته ويكتب معها سطره الأول بجرأة من عرف اللذائذ بقلب طري لم يتصحر بعد..

غاص القلم في بحر من الحبر وكتب على جبين الوقائع، أن هذا المخلوق لا يسعد إلا إذا اقترب من طبيعته أكثر، وتشكل بالشكل الذي يناسبه حقا، فعرف حينها أنه لا يستطيع التمثيل وإن أجاده كموهبة قابعة فيه، فهو يعتلي المسرح ومع ذلك يختنق إذا عاش نفس الدور

خارجه، أو استمر بأن يكون الممثل يطارده الجمهور في كل مكان، وكأن هالة الحزن تقول بأن الابتسامة منتحلة والقلق فيه الأصل.

لا يملك هذا الإنسان أن يراوغ حقيقته، لم يُخلق كائن الليل للنهار ولا مخلوقات البحر لليابسة، ولاما وجد لهذا الكوكب لما هو في السماء، تتجلى الطبائع فرض إلزام وتثبيت، فيبقى ما هو عليه لما هو عليه كما وجد عليه، وإن تزعزع شيء عاد إلى الأصل بعد زوال التأثير أو تحرك من حيز الراحة والسكينة إلى محل الفوضى وانحسار الطمأنينة والأمان. ولذلك يقلق ويضطرب ويغترب.

اغتراب الروح لا ينفصل عن اغتراب اختيارات الإنسان فحين لا يميز بين ما وجد له وما كان وسيلته وبين ما هو غايته وانتهاء محطاته أجمع، ثم يجمع من هنا وهناك ما يرقع به ثوب حياته حتى لو لم يشاكلها، فيتمزق به الثوب ولا تحمله قواه، ويعرف أن الغربة تطول الأرواح كما تطول الأزمنة والأمكنة. فيخفق كثيرا، وينسى أنه أهبط من جنته، وأنها في انتظاره لاعتلاء الضوضاء وانغماسه فيها حتى لم يعد يسمع أي صوت في أعماقه يقوده لها.

تتحطم جميع الصخور أمام جبروت طغيان المادة، فيمد الغريق يده متشبثا بسبل النجاة التي هي للهلاك، ولا يخرج من أنقاض وقته إلا بركام ما لا يحتاج فيجعله يغرق أكثر. فمسيرة من بدايتها لم يكن في الحسبان هذا الهلاك، وإن حصل كعارض لم يستشعر أن نفس الوسائل التي يهرب بها هي التي تزيد من إيغاله. وهذه مفارقة أخرى من سوى مفارقة ابتعاده عن جوهره ليسعد فيشقى. وعلى ضفاف تقصي الواقع تلامسه ضرورة التغيير وهو لم يتعلم بعد أن التغيير إن

لم يتبع وجهته الصحيحة كان سببا لفقدان جديد.

الإنسان حينما يطلق العنان لنفسه، تستولي عليه رغبة الكمال، تعجبه أقصى الحالات فلا يرى من المساحات الشاسعة، واللذائذ، والجماليات إلا حقوقا، لا تكتمل حتى لو اكتمل نصيبه منها، لذلك لا يملأ عينه شيء، ويبقى رهين الطلب، ولعل هذا ما يجعل من منغصات السقم والألم فصلا يحتاجه ليشذب به زوائد تطلعاته، والتي كان من بين أكبر سلبياتها أن أخرجته عن بشريته إلى آليته. وجعلته نسخة من نسخ كان ظنه منها الاختلاف فتاه في محيط لا نهاية له من التشابه. وكيف لا يتشابه من هو تحت رحمة الصور والأفكار حولها حتى استعبدته بزواياها الحادة، وحدودها الفاصلة بصرامة، وتلقائيتها اللاتلقائية، لدرجة توقع جميع الاحتمالات والحركات والأشكال قبل معرفتها.

غالب ما ينتاب هذا القلب الحي يدور في فلك «الأحسن» أي الصور أحسن، أي الطرق، أيا لمستغرقات، ولا يكون هذا البحث لأيها «أجدى» فيعود بالحرمان كما ذهب، ويمشي النقص خلفه كظل. ومن هنا تأتي رحمة الفهم لحقيقة الروح والحياة وأنها على خط سير عظيم كان منذ تماس القدم التي دخلت عالمها السفلي، ورأى الكائن البشري أنه أتى لأسباب محددة لنتطول ولن يطول معها بقاؤه، لذلك عليه أن لا يشقى كثيرا فيما لم يُسأل عنه، ويتمالك نفسه أمام طفح خفيف لمسرات عاجلة، لو التهمهابكل قوته التهمته بكل شراستها وفَرّط بفرصته الأخيرة لتصحيح خطه الأبدي ..

من الشقاء العاجل أن تستلهم النفس مما يسرق من ركودها

الإيجابي انجذاب لما سيكون سببا لعذابات مبطنة، فيأخذ صاحبها وسائل التسارع والشحن والضغط والتشويه والتدمير على أنها منح جاءت لإسعاده في رتابة أيامه، فيغضب على ما لا يستحق الغضب، ويبكي على هوامش لا يستقبلها أي كتاب كوني إلا في أدنى الدرجات، هذا بالإضافة إلى الصراعات وقوالب التشويه المتكاثرة وطمس الحقائق ونزع الكلمات عن معانيها وقلب الأفكار والمهمات لدرجة انتكاسة تستعصي على طبعه الفطري أن يفسرها، فلا يدري بأي الشرور يبدأ من مجملها أم تفصيلها الدقيق الذي قاد للمجمل وعكر النقاء بكامله.

لا يصمد لما يحدث لكائن اليوم كائن الأمس رغم صلابته، فهو لن يفهم كيف انحدر كل شيء وتشرذم عن ذاته بصور يصعب تفكيكها، سيبقى عالقا في نقطة (كيف حدث كل هذا؟ أيعقل أن يضر هذا الإنسان نفسه بنفسه، وفوق هذا يبتسم؟) ثم لن يتجاوزها لأنها الأساس فيكل ما يحصل، فمتى ضر الإنسان نفسه، ولماذا يضرها بهذا البرود، يعني على وجه الدقة متى تحجر قلبه في أي وقت؟.

تستوقفني الكثير من العبارات لتجسيد مأساة الجسد والروح وألمح التشابه بينها، كأن الإنسان يئن في كل مكان من نفس المرض. فهو يشكو الوحدة، يبكي السرعة، يتأوه من عدم الفهم، ينادي لمن ينقذه من أوجاع الحيرة المزمنة، وتدمع مُقَله على رؤية صور الانفصام بينه وبين صفاء الطبيعة الوادعة. يتلوى ولا يجد المهرب، ضحية سعيه الدؤوب في فجاج شاسعة تأخذه إلى الحيرة واليأس، ثم يعود لنفس ما توارى عنه بذاكرة تقوده للحظة تصديق الشيطان حينما حلف ولميكن

يتصور حينها أنه سيحلف كذبا، وها هو اليوم يحلف له في اليوم أكثر من عدد أنفاسه ويجزم له بسعادة تخفي خلفها سبب اغترابه الجوهري.

ومما لا شك فيه أنه إذا فقد إيمانياته كلها وزاد ضغط الجذب وترائى له حلف الشيطان في كل خطوة لن يتحمل بقاؤه على هذه الدنيا سيرغب بانعتاق الروح عن الجسد بأي ثمن، المهم أنتخفّ عن أحمالها وتطير .. ثم كتوقيع أخير .. لاتطير ! هنا المأساة الأبدية ..

«لماذا يصبح الناس نفسيا أقل شعورا بالاكتفاءعندما تتوافر لهم متع الحياه المادية أكثر من ذيقبل؟ لماذا تزداد حالات الانتحار والأمراض العقليه مع ارتفاع مستويات المعيشة والتعليم؟ ولماذا لا يعني التقدم مزيدا من الإنسانية أيضا؟»[١] .

«تتألم الروح مثل الجسد .. في بعض الأيام تظهر جميع الندوب على الروح، وكل الأوجاع القاسية، والتي هدأت مع مرور الوقت، كما تظهر قبل الأيام العاصفة، بعض الرضات القديمة، أو يتوجع العظم من ضربة كانت قد حدثت أثناء الحياة الطويلة، ونسيت... في تلك الأيام تكون بمزاج سيء، ومحاصرا بذاتك وروحك التي فتحت جروحها، لكي تذكرك بأن لا شيء يضيع ولا شيء يختفي حتى أقل الآلام والذكريات البشعة .. إنها تخبو فقط، وتنسحب إلى أعماق مجهولة، كما سوف تنسحب هذه المرة، وسترونها بأعينكم في المناسبة القادمة»[٢] .

---

(١)، (٢) علي عزت بيجوفيتش

«إن الحياة الإنسانية تكتمل فقط عندما تشتمل على كل من الرغبات الحسية والأشواق الروحية للكائن البشري. وترجع كل الإخفاقات الإنسانية لإنكار الدين الاحتياجات البيولوجية للإنسان أو لإنكار المذهب المادي لتطلعات الإنسان الروحية»[(١)].

«إذا صح أننا نرتفع من خلال المعاناة وننحطب الاستغراق في المتع، فذلك لأننا نختلف عن الحيوانات. إن الإنسان ليس مفصلا على طراز داروين كما أن الكون ليس مفصلا على طراز نيوتن»[(٢)].

❊ ❊ ❊

(١)، (٢) علي عزت بيجوفيتش

الاتزان النفسي في عالم يموج

1 فبراير، 2021



الاتزان النفسي أو الثبات الانفعالي هو حالة من التوازن والاستقرار العاطفي، الشعوري، تجاه تقلبات المحيط السريعة والمضطربة.

حالة من حالات التماسك المستمر وتقديم الرضا على التسخط وتجنب الاختلال في المستقبلات النفسية -المؤثرة على الفعل أو ردة الفعل- المنهكة للجسد والروح.

أهم ما يحتاجه الاتزان النفسي لتستقر وتيرته على خط من التموجات الصاخبة، أن يكون بمتانة إصابات العوامل المتوترة، والمفزعة للسكون والبهجة.

فالعمل على المستويات الدنيا لراحة النفس، يتطلب في المقابل

تركيز ودقة في رصد الهجوم الخارجي ومدى قوته لمقاومته بنفس القوة، أو ستصل إلى حالة من الفتور المصاحب للاستسلام المبكر، فتتحول من منفعلة باعتدال للمثيرات إلى معتلة بالانفعال على هوامش التأثيرات، وهذا إنما يدل على أن الإنسان قد يكون في حالة ما كالاسفنجة فعلا باختلاف أنه إذا أخرج ما بداخله كان ذلك بشكل غير متوقع.

وإذا كان الإيمان بحاجة إلى جهاد حتى يثبت أو يزيد، لا شك بأن استقرار النفس تابع من توابع استقرار الإيمان، الذي يستند على رواكز معرفية لابد وأن تكون صلبة.

«والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله».

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾

فجهاد النفس يتدخل في ما تتطلبه النفس من الاعتدال والاستمرارية التي تحتاج عناية خاصة حتى لا تفقد أهم خواصها الإيجابية الفعالة.

«..وطيب النفس من النعيم» -صححه الألباني

فالنفس تصح وتعتل وعلتها تعطلها عن مناشطها، وتقيدها عن كل نافع لها في الدنيا والآخرة.

والثقة بالله والإيمان به، وبذل الأسباب، والتوكل عليه من أقوى ما يعين على راحة البال بشكل دائم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ

عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴿٢﴾﴾ ، فصلاح البال هبة ربانية، يمنحها من يستجلبها من عباده، بالإيمان الصادق، والعمل الصالح.

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ .

من مهددات الاتزان النفسي، صعوبة الحصول على قرار بخصوص السلوك الأمثل، أو الطريق الأكمل، أو التوهان بين المتشابهات، والضياع بين المسميات دون التوصل إلى قرارة حقائقها.

عندما يشعر الشخص أنه يتلقى باستمرار، وليس لديه الاستعداد لذلك مسبقًا، فيبقى في كفة الحيرة أو الضغط على مكتسباته المحدودة، ليفقدها كلها وفي أحسن الأحوال يكون مكتوف اليدين عن فعل شيء يناسب هذا الكم الهائل والمتداخل من المعطيات.

نحن نحيا في عالم فوضوي، كثيف، يخلق طبقات على الوعي المستقر الهادئ، ويقلق سكينة النفس بشكل يجعلها في حالة مستمرة من الاضطراب أو النزوع حول العنف، والشك، والإساءة في الظن.

«الحياة السائلة حياة محفوفة بالمخاطر يحياها المرء في حالة من اللايقين الدائم. وأشد هاجس يساور المرء في تلك الحياة هو الخوف من أن تأخذه على حين غرة، ومن الفشل في اللحاق بالمستجدات المتسارعة، ومن التخلف عن ركب السائرين، ومن إغفال تواريخ نهاية الصلاحية، ومن الاحتفاظ بأغراض مهجورة، ومن فقدانا للحظة التي تدعو إلى تحول في اتجاه السير قبل عبور نقطة اللا عودة».

–الحياة السائلة / زيجموند باومان

تستوقفني كارثية المشهد المتلاحق، المنحدر من أساسه كلوحة مائلة يُخيل إليك أنها تسكب ما في داخلها من صور، رفضا منها لهدوء

الثبات، واستقامته. وهذا الرفض قد يتطور في واقعيته إلى أن يكون حالة من الهيجان والصخب.

«فالحياة في المجتمع الحديث السائل هي نسخة مخيفة من لعبة الكراسي الموسيقية تحولت إلى واقع حقيقي. ويكمن الرهان الحقيقي في هذا السباق في النجاة المؤقتة من الاستبعاد والإدراج في صفوف الهالكين، ويكمن كذلك في اجتناب الإلقاء في سلة المهملات».

-الحياة السائلة / زيجموند باومان

هذا العصر ميدان القلق، حالة التوتر من مظاهر الحياة اليومية، وقد يكون للظروف الاقتصادية، الاجتماعية، المعرفية، السياسية. الأثر البارز في النفس البشرية، إما باكتئاب وصعوبة تأقلم، أو تقييد للروح..

«فالإنسان المعاصر يحتاج إلى وقت يستطيع معه هضم واستيعاب التطورات، بشكل يوازي معدل سرعتها ونموها، مما يضعه يوما بعد يوم إزاء المشاكل والهموم التي تفرضها هذه التطورات، وينشأ نتيجة لعدم التكيف السريع المطلوب نوع من الصراع النفسي، وهو أحد أهم مظاهر القلق والاكتئاب».

-القلق والاكتئاب داء العصر / محمد فرج

عملت التكنولوجيا -خاصة برامج التواصل- على إظهار مشكلات نفسية منها الأرق والاكتئاب والخوف الزائد والتشتت والتوتر والقلق وضعف الدافع وتحرك الهواجس والوساوس السيئة.

يتلقى الإنسان الكم الهائل من المعلومات يوميا وبشكل متضارب أو متناقض أو على مواضيع كثيرة مما يؤدي إلى تسريع وتيرة الأحداث والحياة مما يصعب على الشخص الفصل بينها أو التفكير بدقة، أو التفكير فيما ينصب في إنجازه الخاص، فيبتلعه بحر هائج ومتلاطم

من النوافذ المفتوحة على كل شيء، حتى لو كان لا يجيد العوم أو يملك فرص واقعية للنجاة.

يؤثر إدمان البرامج على مستوى التركيز والنوم واستقرار المزاج، بل والتحكم بالذات وحسن إدارتها، مما يجعله كالورقة في عرض الريح، مرة على الأرض، وأخرى في السماء.

ومن أبرز خواص التقنية أنها تعمل على الجذب الحسي مع التشتيت النفسي في نفس الوقت، فالمرء يجد نفسه منجذب إلى هذا العالم بشدة، رغم أنه ليس مرتاحا ولا سعيدا، يريد أن يفارقه ولكن لا يستطيع، وقد يدخل لهذا العالم بهدف، ويجد نفسه يعمل على هدف آخر لا يشبه الأول، وقد يصعب عليه الاندماج بشكل طبيعي مع الحياة الواقعية مع مرور الوقت.

«إننا نعيش في عصر الخوف والسلبية والأخبار السيئة، فلا سوق للأخبار السارة، لأنه ليس هناك من يهتمون بها. وهذا هو ما يؤدي إلى الانتشار الشامل للذعر وصناعة الخوف، ومع أن بعض التعليقات تكون ثاقبة ومنطقية أحيانا، فإن أغلبها هستيرية وسوداوية».

-الشر السائل / زيجموند باومان

«في هذا الزمن، ينتابنا شعور بعدم الأمان في علاقاتنا، وشعور بالقلق بشأن الصداقات الحميمية، ونلتمس في التكنولوجيا طرقا حتى ندخل بها في علاقات، وحتى تحمينا من العلاقات في الوقت نفسه».

-المراقبة السائلة / زيجموند باومان

❊ ❊ ❊

قضايا فكرية

١- ما مشكلتنا مع كتب التطوير

٢- القابلية التيارية

٣- الرقي الإسلامي

٤- عقلنة الرغبات

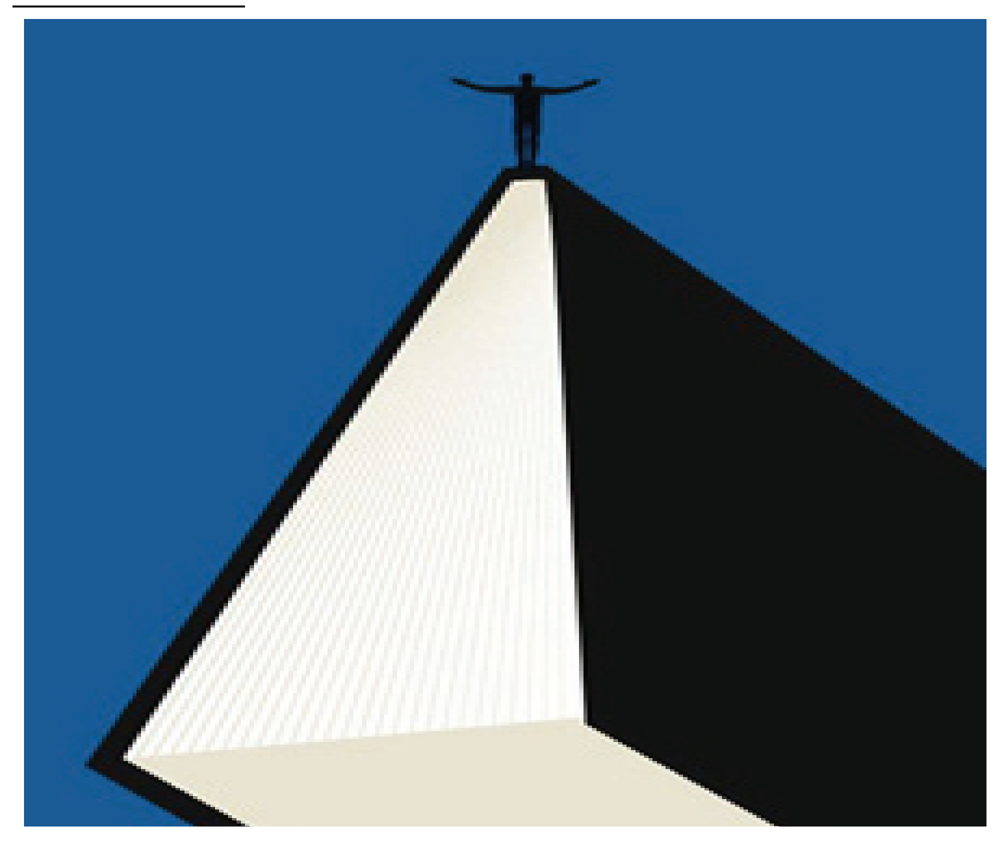
٥- تضليل الصورة

٦- ضغط المادية

٧- جدليات التسوية، وإنسان الآلة.

ما مشكلتنا مع كتب التطوير؟!

6 مارس، 2021



قبل أيام تحدثت مع رفيقة في كلوب هاوس بنفس العنوان -خصَصَت الغرفة لأن أتحدث فيهذا الجانب- ووجدت الحاجة بعد الحديث عنه إلى الكتابة فيه والتفصيل، فقبل أن تنبذ أمرًا ما، عليك قبل ذلك أن تعرف أسبابك جيدًا، ومن خلال الفهم الجيد تكون ردة الفعل المناسبة (فليس دائمًا ردود الأفعال غير مستحبة، فهي نتيجة وتأثر طبيعي تأخذ سلبيتها من سلبية التصرف نفسه لا من كونها ردة فعل بحد ذاتها).

وحتى نكون منصفين كتب التطوير أو التنمية الذاتية ليست دائمًا سيئة، أو تجارية، ولا يعني النقد لأكثرها أنها مرفوضة بالمجمل، ولا يعني النقد لكتاب ما، أنه كتاب غير مقبول من الجلدة إلى الجلدة، بل له ما له وعليه ما عليه وهذا في جميع الكتب، ثم نحن لا ننقد لأجل مؤلف أو مؤلفين، بل لظاهرة تجتاح كتب التطوير عمومًا، وأسلوب عرضي يحتاج إلى مراجعة حاذقة، خاصة من أتباع ديننا الحنيف الذي لا يعزل النفس والروح عن تشريعاته، فهو يوليهما أكبر الاهتمام والعناية، فنحن نملك المصباح الكاشف، ونعرف المستوى الذي يليق بأنفس هذبها الإسلام، وقرأت نصوصه السامقة وتأملت أمثلته العظيمة في المبنى والمعنى ..

مما لا شك فيه أن كتب التطوير العربية تأثرت بالكثير من تلك الغربية، وحاكتها إن لم يكن في الإسلوب ففي المنهج العلاجي للنفس، بداية من ذكر رحلة الكاتب في عالم النفس والتعامل مع الكثير من الحالات التي استدعت تدخله فيها، ثم ركون كل من حوله إليه واستشارته، وتقديم أفضل الحلول وأنسبها بما يتفق مع فكرة الكتاب ككل، ولا أذكر خلال اطلاعي على كتب التطوير خلوها من الأمثلة من واقع حياة الكاتب، أو قواعد كلية تم استنتاجها من عرض القصة كخاتمة أو مقدمة لها.

هذا النوع من الكتب يخدم فئة من الناس بأعمار صغيرة -غالبا- (كما حدث معي)، تجد في هذا النوع من الكتب امتصاص لمشكلات حياتها، أو طبطبة نفسية لما تشعر به من تخاذل المقربين أو فشل وتقصير أو تفريط في الفرص، أو للخروج من أجواءها المشحونة لعالم يقول لها سوف يكون المستقبل مختلف حتميا، سوف تخرج أجنحتك

قريبا وستحلق عاليا، وتحصل على ما تريد.

تغفل كتب التطوير أمر جوهري -لعلها اهتمت بما يجذب الناس عن الأثر- وهو أنه الإفراط في التفائل له آثاره السلبية كالإفراط في التشاؤم، وأن الكلمات الحالمة لا تصنع حياة سعيدة، بل وحتى السعادة لا تعتمد على الراحة والنجاح فحسب، إنما على جانب من الشقاء والحزن، ولهذا يتقلب الإنسان بين المسرات والمنغصات بل وقد يبتلى وهو ليس بتلك التعاسة مما ابتلي به، لأن طبيعة الدنيا تصقل بقدر ما تلسع، وتعطي بقدر ما تأخذ، ملتبسة بين عواطف الحب والبغض، والسكينة والمحنة، والراحة والعذاب، والفرح والحزن، وكل ما فيها هو لصالح هذا الإنسان، إما أن يعلمه، أو يردعه، أو يجعل منه قدوة، أو عبرة، أو ذكرى، أو فكرة ..

«إن أفظع مرض يمكن أن يُصاب به الإنسان هو ألا يتألم وليس أن يتألم، فانعدام الإحساس بالألم هو مرض قائم بذاته يصاب به العديد من الناس، فيموتون بسرعة بسبب غياب الألم المحذر الموقظ المنبه، وهذا هو أحد أسباب فتك السرطان، لأنه يبدأ وينتشر ولا يعلن عن نفسه ولا يؤلم إلا متأخرا عندما يكون قد انتشر في الجسم، أما الالتهاب فإنه يوقظ ويوجع ليُعالج ويزول، إلا إذا أهمل ودخل مرحلة مزمنة»[١].

وكما يقول دي موسيه «لا شيء يجعلنا كبارا كالألم». وكما يقول ليو تولستوي «إن الإنسان في أوقات اللذة يطفو على سطح الحياة، وأما في ساعة الألم فيدخل في العمق».

(١) مقالة أن نتألم أو لا نتألم-الوطن.

كثير من كتب التطوير تعتمد في عرضها على نصائح معلبة جاهزة، مطاطية، سطحية، قد يربطها القارئ بحياته بشكل خاطئ، وقد يأخذها بشغف اللحظة فيجعلها حاكمة على تعاملاته وحياته، فيستثني الأشخاص لراحته، ويقطع رحمه الصعب معه، كي لا يتغير عليه مزاجه، ويبالغ في التفائل لدرجة تمني المستحيل وانتظاره لسنوات، وكم غرّ قانون الجذب من إنسان، ظن أن استدعاء أفكاره لرغباته، الفانوس السحري الذي يمكن أن يطلبه أي أمنية، ويخاطبه بكل حلم.

فمن بين ما أبرزته كتب التطوير تأثير العقل الباطن، إلى درجة تقترب من تأليهه، وكأن المقادير تحت تصرف هذا العقل، ولا علاقة لها بالظروف الخارجية أو أي تأثير خارجي، ومن مساوئ تكهنات مؤلفي التطوير أن نفس النصائح لم يتم اختبارها بالشكل الكافي لتخرج كنموذج مستقر في المعالجة أو التعديل، ومن قبل أنفسهم قبل غيرهم، فأحيانا يجزم لك بصحة ما يسرد وأثره على النفس والنجاح أو زيادة الثروة، ومع ذلك هو عالق في مشاكل لا عد لها، أو فاقد لعين الشيء الذي جزم بحصولك أنت عليه. كما يقول المثل «باب النجار مخلّع!».

نحن أمام صناعة نفسية يخالطها الخلل في كثير منها، وهذا الخلل شكل نفسيات مشوهة، حالمة إلى حد المرض، متقاعسة، متواكلة، تنتظر نتائج عقلها الباطن وكأن القدر سيستشير العقل الباطن أترغب بهذا؟. انتظر كلها أيام وسيأتيك الطير الذي تمنيت على طبقك مشويا. كل ماعليك الانتظار!.

وبعض العبارات تفقد بريقها خاصة حينما يتأكد الإنسان بأن الواقع ليس تماما كما تؤكد، خاصة إذا كانت تملك سجعا ما، أو مستوى إنشائي عالي يجعلك تنبهر بها ثم لا تغدو أكثر من زبد يذهب جفاء.

وليست مشكلتنا -فقط- ضعف العبارات، فهذا قد يكون مما يغفر إذا قل، ولكن الذي تتركه مثل هذه العبارات، هو بأن ترفع السقف الطموحي تجاه الحياة الدنيا، فيظن الشخص أنه ينبغي أن يعيش حياته كاملة هنا، مستحقا لكل ما يريد، وليس فقط باحثا عما يريد، وجميع أحلامه لا يصيبها الخطأ لأنه اختارها بكامل رغبته، وتقوّت في أعماقه، وتملكت شغاف نفسه، فهو يريد العيش بفرح مستمر لأنه يستحق الفرح الذي اختار، ويختار المنزل الفلاني لأنه يستحق هذا النوع من المساكن، ويرفض الفقر لأنه لا يستحق سوى الغنى، ويتحسر من المرض لأنه يستحق في الأصل الصحة والعافية. فيتم علمنة الرؤية للحياة بسبب تأثر كتبنا بمنبع علماني جاء ليخفف من الحزن الذي يتركه شره الدنيا على أهلها، لذلك إذا تبناها مسلم خرج بهذا الاستحقاق المتضارب مع ذل العبودية والتسليم لأمر الله وتدبيره، وقد ينتكس في مرحلة ما إذا زاد التضارب وكان تشبعه لقيم الاستحقاق بشكل أكبر، وربما أدى به هذا إلى أن يذم الدهر والقدر ويشكك في حكمة الله، فينقلب التعزيز بنتائج عكسية كان من أعظم أخطارها أنها غذت عظمة الذات بشكل متطرف.

لن أتكلم عن السبب التجاري لانتشار الكتب الغربية ولا عن ضياع البوصلة الدينية والتعطش لها لتغذية الروح وإحلالها محل الدين في النفس فهذا لا يتعلق بنا نحن كما يتعلق بهم، إنما عن أمر ملحوظ

وهو تأثر الكتب العربية بالمذاهب الباطنية وبعض الفلسفات الغربية، التي تخرج نظرتها للمستقبل بما يشبه الكهانة والسحر، ويضر العقيدة، فالمجتمع حينما يلجأ إلى تصيد الإشارات هنا وهناك والبحث عن دليل فيما لا علاقة له به، قد يتحول تدريجيا إلى مجتمع واهن منفصل عن فكره وواقعه، وإذا قرأه قرأه بالأنفس المختلفة لا بالقيم الثابتة.

حينما وصى الرسول ﷺ أمته خرجت الوصايا ملائمة لطبائع البشر فعجنتهم بعجينة التواضع، لينظر المسلم من زاويته الخاصة إلى السماء مباشرة، عارفا حجمه الحقيقي وأنه خطآء، نساي، عاجز، وهذا العجز هو ما منحه القوة في العمل، والعظمة في التعامل، والتوازن في النظر بين أثر الخالق والمخلوق.

الإقبال بشغف على كتب التطوير المعلمنة، دليل توهان في رحلة الفهم، مكن لنوع من الكتب هزيل أن يكون المرشد والقائد، خاصة إذا كان التطوير لا يتعدى سقف الحاضر أو المستقبل القريب، متناسيا أن الإنسان لم يخلق لهذا، ولا لراحته، ولا توجد حياة بلا مرض أو فقر أو ظلم .. وأنه لو تم تحديث عقلية كل البشر بمثل هذا النوع من الوصايا سيبقى العجز كما هو ليكشف بشكل صارخ حقيقة هذا الإنسان. وأنه خلق متنقلا منطور إلى طور، وعجز إلى عجز.

ولتفهم الحياة من فوق تأمل قول النبي ﷺ: «مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها..» وقول الخليفة عمر بن عبدالعزيز: «أيها الناس، إنما خلقتم للأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار». وقول بعض الحكماء: «كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فإن عيشها نكد

وصفوها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية أو منية قاضية».

هي رحلة عابرة تستحق التضحيات الكبرى لهناك وليس لهنا، وما كان نقص الإنسان عيبه، بل طغيانه الإنساني رغم كل العيوب.

* * *

القابلية التيارية

19 فبراير، 2021



قبل الولوج في الحديث عن التيارات عموما، والقابلية الفردية لها خصوصا، نحن بصدد موجات فكرية تنتهجها جماعات هدفها التغيير باتجاهاته وأبعاده المختلفة لنظام سابق، واستبداله بنظام جديد ولا يعني الاستبدال الكلي، فهذا يحدده التيار نفسه بنسبة التغيير فيه، الذي يتميز بأنه غير مستقر أو ثابت.

فالتيار في اللغة هو الحركة السطحية التي تحدث في ماء المحيط،

وتتأثر باتجاه حركة الرياح، أو شدة جريان الماء، والتِير تيه وتكبر. وتأخذ التيارات في معناها الاصطلاحي من الحركة والانتقال، والتأثر بِمُوّجه ما، وعدم الثبات، والسرعة، وهذه السمات تنعكس على التيارات الفكرية عموما.

والفكر تحديدا هو من التفكر أو تردد القلب في الشيء أو التأمل. فهو جملة النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة، وما يتم به التفكير من أعمال ذهنية. والتيارات الفكرية حركات فكرية تنتهجها مجموعة من الأفراد أو الجماعات التي تتبنى فكرا معينا أو اتجاها واحدا، فهي تيارا تحركية، لها حمولة فكرية مستقلة، تقوم تحت إطار معين، وكل ذلك في المجال الذي حددت التحرك فيه. يضم التيار مختلف الأطياف والتوجهات والأديان التي تشترك في هدف واحد فيما بينها سعيا لتحقيقه، فهي تضامنية، تشاركية، مشغولة بالهدف المنشود.

وفي التاريخ الفكري الغربي والإسلامي يمكن القول أن بداية نشأة مفهوم التيار الفعلية كانت مع تكون الاتجاهات الفكرية، وهي الاتجاه العلماني في الغرب، والعقلاني في المجتمع الإسلامي.

فقد برزت في الساحة الفكرية الغربية عدة تيارات كالديموقراطية، والوجودية، والعصرانية، والليبرالية، وغيرها. والتي انتقلت بدورها إلى الدول العربية وتأثرت بها في القرن العشرين.

ومما انطوى خلف مسببات النهوض لتلك التيارات في المجتمع الغربي، الشعور بالتخلف والظلم والقهر، وإحياء الفلسفات اليونانية، ومكائد المؤامرات اليهودية المحرضة أيضا.

أما في المجتمع الإسلامي، فالتيارات انقسمت إلى تيارات تزعم أنها تدعو للمنابع الإسلامية الأولى، وأخرى تدعو لاحتذاء الغرب، وثالثة تريد إسلاما حضاريا متطورا.

وليس يعنيني في هذه المقالة السرد التاريخي للتيارات فهذا لم أتعمده حين حددت العنوان والذي قد يكون أُشبع طرحا أو على الأقل قد تم التفصيل فيه بشكل لا تستوعبه مقالة، إنما القابلية التيارية، وهذه القابلية الفردية أو الجماعية هي موضع التركيز، فأنت حينما تتحدث عن التيارات بشكل مجرد وتغفل عن العوامل النفسية والآنية المصاحبة للتشكل تكون قد أغفلت جانبا مهما هو من صميم الحركة الدافعة لمثل هذا الانبثاق .. ولا يستحضرني حين الكتابة إلا عنوان كتاب مصطفى حجازي «التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور» لأنك حينما تحلل عوامل التأثر بالطغيان أو آثار الظلم والقهر ونتائجها على الشعوب تجد أنها نفسها هي المسبب الرئيس لأمور أخرى تندرج منها وتنعزل عنها في الوقت ذاته وكأنها لا ترتبط بها، وهنا يكمن السر في أن التحليل الجيد قد يساند في فهم العوامل المتلبسة، والمتشعبة، التي قد تتنكر بظواهر أخرى وعند البحث والدراسة تجد أنها أساس لها. (ولا يعني إعجابي بكتاب مصطفى حجازي وإن قربته كمثال لجذور التحليل).

يوجد اشتباك فعلي بين نفسية الفرد التياري والقابلية التيارية، تقف أمام أفراد لديهم القدرة على الثورة والمناداة بشعارات لم تُعرف من قبل، على الأرجح في بداية التأسيس، فتصدمك الجُرأة والإرادة الحرة، والمحاولات الجادة أو الطائشة أحيانا أخرى.

فالفرد التياري فرد تمت إعادة صياغته من جديد بمفاهيم يريد لها الحضور والانتشار، فهو متحمس، ونشط، وصاحب تأملات مستقبلية يستدعيها في تصور الواقع المطموح له بعد رواج التيار.

وغالبا يصاحب الحماس فئة الشباب، فيكون الاستدعاء الشبابي والجاذبية للجماعات التجديدية قنبلة شبابية تنفجر من وقت لآخر، ولكنها لا تدار من الشباب إنما تساس بهم، فالمحرك الرسمي للموجة هم أصحاب الخبرة والمعرفة ثم تكون سرعة الانتشار والحماس الشبابية تابعة لقدوات وشخصيات رمزية يلحق بها المستجدين.

لذلك للتيارات أقطاب من حيث أنهم محط الاهتمام والرؤية، وموجهين هم في الأساس اليد الفعلية للتيارات، ومن ثم المنفعلين بها الداعين، النشطين أو المؤمنين.

أما عن العوامل النفسية المساندة، فمن أبرزها الإحباط بالواقع، وعدم الرضا به، أو الثورة عليه على أنه هو العائق أمام النجاح والفوز أو التقليد لعوالم أخرى انتشر فيها بشكل كبير وغيّر من أساساتها الحضارية.

وبعض المنتمين لا يحمل من كل هذا شيء في البداية، إنما يخوض فيها لقوة حضورها الإعلامية ووقوعه تحت الضغط الشديد إما أن يقبلها أوسيتم وصمه بالتخلف أو حتى إقصاؤه. فبعض التيارات لها سطوة حضورية تجعل من الرافضين لها متخلفين عن الركب، معاندين، منغلقين، مغلفين بالجهل والتعصب. ففي الناس من يقبلها فقط حتى لا يُتهم أو يتجاوب معها على الأقل حتى لا يُطرد عن الفهم الأصيل لواقع ما يدور حوله.

القابلية التيارية قابلية تتفاوت من مجتمع لآخر، ومن جيل لآخر، وطبيعة الحياة نفسها، ففي مجتمع سابق مع ضعف وسائل التواصل وشح الإعلام إلا من شعراء أو قصاصين ونقلة للأخبار إلى وقت الكلمة فيه تكتسح كل شيء رغم تفاهتها، ويسهل نقل التيار والتأثير به على نطاق قد لا يقتنع به في يوم سابق، بل وتكرار الشعارات وترددادها حتى يتشبعها في عقله الباطن من يرفضها -أصلا- في سلوكه وانتماؤه. فهي تكبر أيضا بشكل مضاعف -لا تنتشر فحسب- وتنتشر بقوة، نعم؛ إلا أن المختلف أنه بسطحية أكبر فتحرك الموجات العليا في أنفس أكثر المنتمين بعكس الولاء الأول للتيار حينما يتم الإيمان به بكل الطاقة والشغف. الذي لا يقبل إلا المخلصين وليس فقط المتأثرين.

وباختلاف لغة الأجيال توجد مساحة كافية لزرع أنواع لا تنتهي من الانتماءات الحرة والمعزولة عن الماضي، فتظهر تيارات متبرعمة ومتعددة بتعدد الميول الجديدة وكثرتها. صغيرة وتموت سريعا قبل انتشارها بالشكل الكافي أو قد تتعارض وتتقاطع مع غيرها.

وبعض التيارات الكبيرة قد تمر بفترات ركود لها ارتباط بعوامل خارجية، قد تطول فترة الركود وقد تقصر ثم يتم الإحياء لها من جديد من خلال أتباع حديثين يضيفون تعديلات عليها مما يجعلها أكثر تناسبا مع حقبتهم. فهي تمر بسلاسل حياة وموت بعضها يندثر تماما والآخر تُنفخ فيه الروح مرة أخرى ولكن بدماء جديدة. وربما لا يُحيى عين التيار بل يتم تدويره لواحد آخر يستمد منه أهم القواعد بتطبيقات مختلفة يجعله في طور مختلف.

يستمد بعث التيارات تلمس احتياجات الناس ومعرفة طبائعهم

والتعامل معها بشكل ذكي، وخاصة في التسويق لها، فالتسويق يشتغل على نفسية المستجيب أكثر من أي شيء آخر لأنه لا يحتاج أكثر من عاطفته التي هي بدورها ستضل عقله. والتحدي الأكبر لاستمراريتها قدرتها على الإغواء بنفس القوة والذكاء والدعم أيضا، فبعض التيارات لا تقوم لها قائمة دون الدعم السياسي والاقتصادي الذي يسمح لها أن تنبض في قلوب وعقول الأتباع واستعبادهم. بل وقديتم تشكيل التيار للاستعباد نفسه.

ولا يغيب دور المتابعة في بقاء التيار مرتعشا يتلوى بين الناس، فحينما يخاف المؤسسين على تيارهم يتم إشعال الجذوة من جديد إما باختلاق نماذج دعائية كاذبة، أو باستغلال الأدب والكتابة والبارزين بجعلهم الألغام المتخفية، التي بيدها تفجير الطاقات أو شحذها.

في بعض الأحيان يكون الحماس للتيار صعوبة تواصل مع الذات، أو صعوبة فهم لها، أو الرغبة في تحقيقها بشكل لا مثيل له من قبل، أو فراغ روحي غاب عنه الإيمان الديني، فيكون السعي خلف هدف غايته من غاية الوجود ويكتسب منه أهميته. وربما يدرك أصحابه خياليته، ولكنه يحقق شيء من الإرضاء الذاتي بأن الوقت ليس مهدورا تماما وأن هناك غاية تُشبع أفرادها كما يشبع المؤمنين إيمانهم. ففعالية التيار الواقعية لدى بعض المتابعين ليس هدفا رئيس، إنما الهمة نفسها والسعي لأجل السعي .. وكلما ابتعد البشر عن أزمنة النبوة ازداد عدد التيارات والشعب، لأن التوحد على الوحي يضعف في نفوس البشر، فيحل عنه ما يشغله بطريقة أو بأخرى حتى لو كان من قبل الوهم اللذيذ لا أكثر.

«إن الإيمان بقضية مقدسة هو إلى -درجة كبيرة- محاولة للتعويض عن الإيمان الذي فقدناه بأنفسنا»

«إن فاعلية عقيدة ما لا تقاس بعمقها أو سموها أو صدق الحقائق التي تنطبق عليها، بل بقدرتها على حجب الشخص عن نفسه وعن العالم كما هو عليه بالفعل»(١).

ومن الأطر التي يحددها أصحاب التيار، أن تخرج الأفكار عن نطاق الصوت المسموع إلى اللغة عموما، صوتية أو جسدية، تعبيرية محملة بالإيمان الجديد كديانة تم تبنيها حديثا. وساند هذه الثورة الإحباط واليأس واستغلالهما في المفرزات، والظواهر كنهاية وبداية.

«فقد يجنح الإنسان لإيذاء نفسه -كما ذُكِر- أو لإيذاء الغير بإخراج هذا الكمّ من العنف في الإطار المجتمعي، وهو ما قد يدفعه للاندماج مع جماعات ترعى العنف وتؤطره داخل إطارها الجماعي وفق دوافع أيدولوجية مختلفة، مما يؤثر على تطور السلوك العدواني عند الإنسان، فقد يكون الفرد مترددا في الممارسات العدوانية إذا كان منعزلا، ولكنه لا يتردد في ذلك عندما يتواجد وسط مجموعة تشجع على هذه الممارسات وفق أفكار مختلفة».

«ما تعانيه المجتمعات العربية من فصام بين إيجاد نموذج سياسي اجتماعي يحفظ لها تراثها التي قامت عليه من جهة، ولا يعيق تقدمها ومسايرتها للعالم الحديث من الجهة الأخرى. الأمر الذي أحدث حالة من الإحباط العام لدى الشباب مع ملاحظتهم لهذا الفشل منقبل الساسة في إيجاد النموذج الذي سيحقق لهم الاتزان، بما في ذلك من

(١) المؤمن الصادق إريك هوفر.

أثر سلبي والرغبة في التمرد عليه»[١].

أزمنة التيارات أزمنة صعبة؛ لأنها تنبثق من نفسيات عدة، وعواملها في البقاء التفريق لا التلاحم، تتغذى على الانعزال الجماعي والعداوة للنقيض، وفرض عين التصورات بمن خرجت منه، لتكون سلاحا يشهره في وجه كل مخالف له، بأنهلا يفهم الواقع، وأن الحل الوحيد للواقع أن تنضوي تحت رايته .. التي لا نجاة إلا بها.

- تم الرجوع أثناء كتاب المقالة إلى: كتاب مفهوم التيارات الفكرية لجميلة الشمري

❊ ❊ ❊

(١) القهر الاجتماعي لسامح عودة

الرقي الإسلامي

5 فبراير، 2021



لم يشأ الله أن يجعل اهتمامي إسلامي في صغري، فقد كنت من هواة علم النفس، بل وكان من خططي الدراسية إذا كبرت، ولم يشأ الله أن أدرسه حينما كبرت، بل وحدثت نقلة كاملة في حياتي بدلت شغفي للإسلاميات.

حينما كنت أتحدث مع إحداهن وأخبرها باهتمامي السابق وتبدله، ردت كأنها مستنكرة سبب السر..

لكني لم أتردد بالجواب بأن الشريعة تهتم بالنفس وأكثر، تتغلغل

إلى أعماق الروح كما لم يفعل غيرها، هي حيوات وليست حياة واحدة، وإمدادات وليست إمداد واحد، ومعانٍ تضرب في أعماق البشرية جمعاء، ليس في نفس الإنسان فحسب، فكيف لا تشدني لآخر قطرة، من سقاء الروح، وكيف لا أهتم بها وهي أنا بكل أبعادي وآمادي وأزمنتي وبقايا التاريخ في ذاكرتي.

في فترة ماضية شغفني التأمل في نعيم الجنة، وجدت سرا ما لم يجذبني في الحديث عن سواها، وبعد فترة تفكير عرفت أنه في مستوى الرقي في الجزاء الأخروي ..

نعيم لا عراء فيه، لا ذل لا جوع، ولا رائحة نتنة، وحديث لا حقد فيه ولا حسد ولا بغض ولا كذب أوتحايل.

لم تحتج الجنة بعد تأملي لها إلى الشمس لأن تشرق فيها ليس لأنها حارقة، بل لأن شخوصهاشموس تتمثل فيهم أعلى المعاني وأرقى أنواع الجمال... ذلك الجمال الذي لا يتدخل الشيطانفيه ليسحرك بتصديقه، فكل شيء حقيقي جدًا، لا من تزييف أهل الدنيا.

أنت هناك بكامل جمالك المعنوي والخارجي والنوراني تسطع كالأفلاك، أنت هناك جنة لوحدك.

المعاني المعنوية أرقى مما يتخيلها عقل، فما بالك برقي الصور والمحسوسات، وقيمة كلشيء تراه فيها.

ورغم أن إدراك نفس الرقي لا تعرفه النفسا لدنيوية على وجه الكمال أو الاستعداد ولكنها تتلمسه في بعض المدركات وتربطه كما تربطبين وجود عنب في الدنيا وعنب في الجنة دون أن تدرك كنها

الأشياء كما هي أو تستشعرها على وجهها.

وهذا من أسرار خلق الله، أن يعرفك بما يشوقك لنعيمه، بضرب الأمثلة مما تراه وتعرفه.

أما إذا كنت ممن يفضل العراء في الدنيا -على سبيل المثال- لن تفهم نعيم الجنة في الستر حتى تتطهر نفسك من أوحال الذنوب وتأثيرات الشيطان لتدرك لذة النعيم والرقي في أن يصف الله لك جنته بأن من مزاياها أنك لا تعرى أبدًا .. ففي العراء ذل لن تراه هناك في دار كلها كرامة. «خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فدخلتها الملائكة فقالت: طوبى لك منزل الملوك» منزل للملوك كيف لمن شردته الدنيا وتلاعب به الشيطان ونزع ثيابه أن يفهم رقي ما فيها وسمو أن لا تطمح المرأة بعينها لغير زوجها أو أن تحقد على امرأة أخرى في ملكها أو تفهم قيمة الستر العلوي عند رب العالمين؟!

أما البرد والحر وهجوم التأثيرات الكونية مما يضعف جسدك ويمرضه فهذا ليس منها ولنتعرف الإنحناء أمام أجواء كلها دعة وسمو وارتفاع.

ستحلق بكل ما فيك عاليا، يكفي أنك سترى ربك وهذا ارتفاع لا ارتفاع بعده، ونعيم ولذة لا فوقها شيء.

أما شخصية النبي ﷺ فرقي كلها، وإذا كنت تقصد بالتطور مرور الأزمنة وتطور الآلات وتحديثات الحضارة فأجزم أن الكمال الروحي في شخصيات الأنبياء والنبي محمد ﷺ تطوي الزمان طيا وتسبق كل مستحدث وتزيد عليه في نبل المعاني وحضارة السلوك الإسلامي في

أسمى جودتها، ولن يسبقها شيء فهي النموذج المفرد في المثال الإنساني كما ينبغي أن يكونو أن يُحتذى ليعتلي عرش القيم.

فنماذج تعاملاته مع عائشة رضي الله عنها والصحابة والغرباء تسلب اللب، وتحير العقل إذا تفكر فيها، ما هذا؟! كيف لإنسان أن يرتقي كل هذا الرقي ويشرق كل هذا الإشراق دون تكلف أو تصنع، لا يتبادر إلى الذهن حين القراءة فيكلماته وسيرته إلا قول الله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ فشخصية النبي صلى الله عليه وسلم لم تأت هكذا بسبب الوحي وحده، هناك صناعة خاصة لحقت جميع مراحل حياته حتى من قبل أن يتخلق.

الرقي في الشخصية النبوية ليس بيت رفيع مبني على سهل أخضر بل حصن منيع لا نهاية لارتفاعه عن الأرض، وروح تشع بالنور هيأها الله لعبءالرسالة، وجعل فيها من القوة واللين والشجاعة والحب والتضحية والصدق والإخلاص والرحمة... ففيها من الكمالات البشرية ما يصعب حت يتصوره في إنسان تراه وتسمع منه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾.. فمن يراه يهابه ومن يسمعه يعرف أنه صادق، فحتى طريقة نطقه للكلمات تمتثل جانبا منه ينثر من خلاله النور فلا تدري أي نور سبق نور الصوت أم النطق أم الحرف.. «عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قِبله» أي انجذبوا إليه»، قالوا: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت لأنظر، فلما رأيته عرفت أن وجهه ليسبوجه كذاب. فكان أول شيء سمعته منه أن قال: يا أيها الناس، أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

وحينما تتأمل التشريعات الإسلامية لا تشك فيأنها خرجت من مشكاة نبوة، فهي نقية صافية، ترشد البشرية لاجتناب الدنس والقاذورات الفكرية والسلوكية، وضوء قلبي من كل ما يلوثه وحماية بدنية عن كل ما ينهكه، ورعاية للمصالح وتقديم للنافع على الضار والأنفع والأصلح والأجدر .. فهي أساسات ومعاني وقوالب تصنع فوارق الجيل والمجتمع والأمة. عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب، قال: فانخنست منه، فذهبت فاغتسلت، ثم جاء فقال: أين كنت يا أبا هريرة؟ قال: كنت جنبا، فكرهت أن أجالسك وأنا على غيرطهارة. فقال: سبحان الله ! إن المؤمن لاينجس.

وكيف ينجس من اسم الله في قلبه وشريعته دليله ونبيه محمد ﷺ هاديه ومرشده ؟!

أنت هنا أمام أرقى الشرائع كيف تنجس إذا امتثلت بها؟!

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ .

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ .

عن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: إنما بقاؤكم في من سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراط اقيراطا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صليت العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين، فقال: أهل الكتاب هؤلاء أقل منا عملا وأكثر أجرا، قال الله: هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟

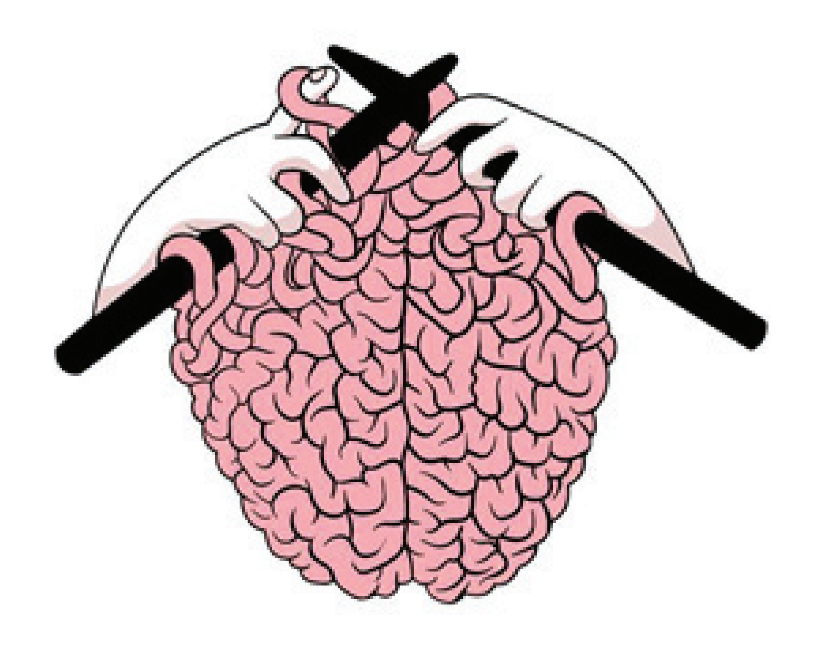
قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ -ويكون الرسول عليكم شهيدا- فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (والوسط العدل).

❊ ❊ ❊

عقلنة الرغبات

2 فبراير، 2021



العقلاني هو ما كان مستند للتفكير العميق أو مرتكز على العقل، والتعقل أو العقلنة تفكر وتدبر وفهم للأمر على حقيقته. ويبدو لي أن العقلنة تتميز عن التعقل بأنها صنعة دائمة أو مستمرة أما هو فحالة تعتمد على واقع ظرفي، لذلك كانت أقرب لأن تكون عنوان الحديث هنا. فعقلنة الرغبات تستمد قوتها بأنها رغبات مدعومة بالعقل، ومصنوعة به لذلك تستفرد بقوة أكبر عن الرغبات الشخصية العاطفية التي تصطبغ بمزاج الإنسان الذي خرجت منه، فهي رغبات مقنعة بالعقل تجابه به كحجة وجود لها وامتياز.

الرغبات تكون بإرادة الأخذ وتمنيه وطلب الاحتفاظ أو الحيازة

وحينما تكون على شقها العقلي فقد تطوعه بحسب قوة دفعها النفسي، فتخرج معقلنة لا عقلية فعلا، ولو كانت عقلية بادعاء فهي على العقل الذي خرجت منه وهو المزاج المتأثر برغبة صاحبه فيبحث له عن غطاء لا يجده حتى يُكسبه شرف العقل الذي لا يأتي إلا بقوة التفكير ومنطقية الحجج فيسند الرغبات إلى أساسها من الأهواء المتذاكية.

هذا العصر عقلي بامتياز ولا أعني بذلك العقل على معناه المتعارف عليه في معاجم اللغة إنما التفكير الحر المعقلن كفارق أنه جاء ممايز للرغبات، فتنتهك الحواجز الفكرية المقبولة حتى يتم النقض على البديهيات الفكرية بحجة إعادة البناء السليم، فتأتي النتائج محملة بإسقاطات شعورية قد تكون وليدة لحظتها وزمنها لا أكثر. لذلك اتساع الدائرة الفكرية وانفجارها بهذا الشكل بلاء على هذا الإنسان المفكر وجحيم اختاره ليبرز تفوقه وانتصاره على الماضي.

الرغبات ترتبط ارتباطا وثيقا بالأهواء وهذا باجتماع الهوى مع الرغبة في الميل تجاه ما يريده ذلك الإنسان من خير أو شر باستثناء أن الرغبات تأتيب شكل متجدد وعلى صورة استفرادية، مقتصرة، أما الأهواء فأكثر تغلغلا فهي تنصب على الميل الكلي وإن تفرعت عنه ميول عدة، فكأن الهوى ميل ورغبة متجددة ولكن بشكل أكثر قوة ورسوخا، تاركة الانطباع بشدة لصوقها باختيارات الإنسان لأنها جزء من نفسه وفكره، فغالبا ما تأتي «بهواه»، «ما يهوى»، «يتبع الهوى»...

لهذا ركز الشرع على مادة (الهوى)، فاتباع الهوى المذموم قد يكون في الشبهات أو في الشهوات. فهوى الشبهة قد يصل بصاحبه إلى

الابتداع في الدين. يقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء». ويقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات فإن الأول حال الذين كفروامن أهل الكتاب والمشركين كما قال تعالى ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾».

فالهوى ميل ونزوع للأهواء والرغبات النفسية بغض النظر عن الدافع الرئيسي خلف محبتها، فقد يهوى الإنسان أمرا ظانا به نجاته أو سعادته الأبدية أو أنه الحق الذي كان مغيبا عنه ومع ظنه الذي ينافح عنه تختبئ رغبته التي يتهم من خالفها بمخالفة العقل السليم.

ولا عجب من حرص النبي ﷺ على التنبيه عنه بصور متكررة، يقول ﷺ: «إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى».

«ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السرو العلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقص دفي الفقر والغنى، وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه».

«أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه».

كما أن كثير من السَّلف ذَّكر بآفة الهوى. قال علي بن أبي طالب ﵁: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: طول الأمل، واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق». وقال أبو عثمان النيسابوري: «من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلانطق بالبدعة؛ لأن الله يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾، وقال سفيان الثوري: «أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعا». وقال بعض العباد: «أشرف العلماء من هرب بدينه من الدنيا واستصعب قيادُه على الهوى». وقال معاوية: «المروءة ترك اللذة وعصيان الهوى».

يأتي الحديث عن عقلنة الرغبات لسرعة تبدل الموقف تجاه المحظور لمُختار قد يكون مستعجلا، وقد يكون تقديمه بلا كثير تبصر، لمجرد شعور دافع، شعور آني يحوله من رغبة إلى مبدأ.

بعض التبني وليد حاجات نفسية غير مشبعة، تقف أهمية تحقيقها من أجل نمو نفسي، وفي حال فقدان بعض منها، يأتي إلحاح الرغبة في الوصول حتى لو بطرق ملتوية، تتجاوز خطوط الفكر مدعية العقلانية في ذلك.

وهذا سبب تصادم كثير من الناس مع الشرع، أنهم في صدد بحثهم توافق الدنيوي مع الإيمان يخلقوا حاجات مشرعنة، وتم تثبيتها بمحاذاة النص، بل وتم رؤية النص بمنظارها.

الرؤية النفسية للمعايير والقياس النفسي، يحدث فوضى أخلاقية، فالعقول لا تتطابق والحاجات تتفرع وقد تنحرف وتطغى، بل ما كان حاجة طبيعية ربما يتحول مع الوقت إلى حاجة منحرفة، وهذا يشد

توازن الحاجات لتختل أنها تخرج من قالب الشرع المتوافق مع العقل إلى جانب العقل المخالف للشرع والفطرة معا، خاصة إذا تم فتح المجال لها، دون تطويق وتقييد.

يتكرر الحديث حول «كنت أرى» و«أصبحت لا أرى ذلك» وغالبا ما يظن أصحابها التطور في آلة الفهم للوجود البشري، والتعمق في الفهم الإيماني، إلا أن الصحيح أن المتغير الوحيد هو هوى النفس ورغبتها بين القديم والحديث، فقد كانت في تقبل واحتياج له وتحت تأثير محيط معين تخشى من نبذه لو تمت مخالفته، ثم انتقلت إلى نمط شعوري آخر مع هوى مستحدث وانتماء مختلف.

القيم الفكرية السليمة يميزها الثبات والرصانة، ترتبط بالعقل المبصر، والفطرة السوية، أما الأهواء فهي لا تعرف استقرارها، فلصوقها بالنفس يجعل منها تتبدل مع كل عارض يصيبه، لهذا كانت الأهواء للطيش والنزوغ، والعقل للثبات والبقاء، فكل عقلي لا يتغير، ولتوافق الشريعة والعقل على أتم صوابه، كانت ثابتة ليس على أزمنة طويلة فحسب بل على ثقافات لا تتشابه.

حينما يُطلق العقل في الشرع فهو ينصرف على معاني منها الغريزة التي في الإنسان، وعلى العلوم الضرورية التي تشمل جميع العقلاء، والأعمال التي تكون بموجب العلم.

والخلق في تفاوت فيه، بل أن هذا التفاوت جانب فيه غريزي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصحيح الذي عليه جماهير أهل السنة وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد وأصح الروايتين عنه وقول أكثر أصحابه أن العلم والعقل ونحوه ما يقبل الزيادة والنقصان». فلخضوعه

للأهواء وقبوله للتأثر والزيادة والنقصان لم يوكل الله -لأجل ذلك- إليه مهمة تنظيم شؤون البشر على قوانين منبعها بشري، بل كانت بما يتفق مع البشر ويصلحهم، ولذلك لا يعارض العقل الصريح النقل الصحيح أبدا .. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس في المعقول الصريح ما يمكن أن يكون مقدما على ما جاءت به الرسل وذلك لأن الآيات والبراهين دالة على صدق الرسل وأنهم لا يقولون على الله إلا الحق وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الخبر والطلب لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيء من الخطأ كما اتفق على ذلك جميع المقرين بالرسل من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم، فوجب أن جميع ما يخبر به الرسول عن الله صدق وحق لا يجوز أن يكون فيذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي فمتى علم المؤمن بالرسول أنه أخبر بشيء من ذلك جزم جزما قاطعا أنه حق وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به وأنه يمتنع أن يعارضه دليل قطعي ولا عقلي ولا سمعي وأنكل ما ظن أنه عارضه من ذلك فإنما هو حجج داحضة وشبه من جنس شبه السوفسطائية، وإذا كان العقل العالم بصدق الرسول قد شهد له بذلك وأنه يمتنع أن يعارض خبره دليل صحيح كان هذا العقل شاهدا بأن كل ما خالف خبر الرسول فهو باطل فيكون هذا العقل والسمع جميعا شهدا ببطلان العقل المخالف للسمع».

فالإسلام لا يقلل من مكانة العقل، فهو مناط التكليف، والثواب والعقاب، ولكن لا يجعل العقل يتقدم على الشرع. ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٠﴾ . وخلاصة اعتقاد أهل السنة في

هذا الباب (أن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه).

أعود للبدء إلى عقلنة الرغبات، يوجد من يسبك ميوله ويوقع أسفلها بأن هذا ما أملاه العقل، وهو يريد بذلك أنه لن يتم الرد على المذكور منه بصفته جاء من جانب العقل المقدس، إلا أن العقل لا يتقدس بالفكرة وحدها بل بإصابتها للحق، لأن الحق هو المقدس، سواء خرج من جهة العقل أم لم يخرج. وهذا فخ كائن الحاضر أنه يتزعزع بين طبائعه ظانا منها غير حقيقتها، أو مخدوعا بها لغير حقيقته.

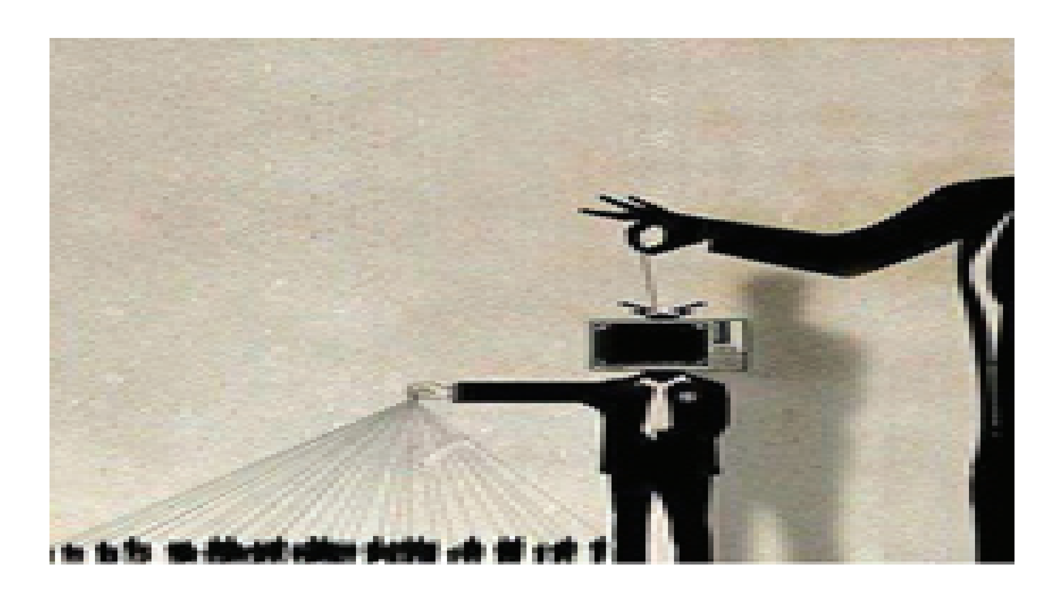
تم الرجوع أثناء كتابة المقالة إلى:

- مقالة اتباع الهوى سلمان الغصن
- مقالة العقل والنقل محمدالمنجد
- مبحث درء التعارض بين صحيح النقل وصريح العقل /الدرر السنية.

❊ ❊ ❊

تضليل الصورة

2 فبراير، 2021



حيرة الشيء حينما يبدو ليس كما هو عليه يخلق أزمة انسجام بين الظاهر والباطن ونزوع نحو جانب معاكس ليس هو الصورة الأولى ولا الثانية على تمامها، صورة جديدة مطموسة بعض ملامحها أو مشوهة.

قد يُعَرِّف عن نفسه بسلوك ما ولكن حقيقة السلوك وتداعياته مختلفة لديه، فيختلق انتفاخا وهو على هزالة في حقيقته، أو اتزانا فوق تأرجح، أو ثقة محل شك، أو انسيابا عند انكماش خانق.

غالبا؛ لا ندقق في الدوافع الأولية السلوكية ونرى النتائج مدرعة باختلافات عدة عن بداية المنشأ، فيسلب اللب الشكل عن التشكل كيف حصل ولأي شيء .. وهذا ما أسميه بتضليل الصورة.

اللعب في الزمن الحالي يطول أقرب شيء وأسرعه للحكم والتأثر،

ألا وهو البصر، فالبصر محط اهتمام وتجليات لرمزيات لا تُحصى، بل وموطن الاستهداف الأساسي لتغيير هيكلة الإنسان بالكامل بدءا من سهام تخترق القلب ومعان جوهرية تعمل على صهره من جديد، ثم قولبته كما يريد صاحب الصورة فردا كان أو جماعات.

تأثير الصورة سواء كانت بعكس حقيقتها أو كماهي، زعزع التفكير مع الرؤية وذلك لآن التفكير تبعا للرؤية وينشط معها، بل وينغلق بمحدودية المحسوسات أحيانا. أما إذا كان ينشط بمحسوسات مضللة فهو يضطرب تباعا ويقف على خيوطه الرفيعة بين مع، وضد، وربما، ولكن، وكيف... تثور في نفسه مدركات عدة دون إدراك تام، فيبدأ بالأحكام خبط عشواء لأنه لا يقدر أن يفسر الصور أو يربطها بواقعها الأساس.

الإنسان المعاصر رهين الدعاية منذ الولادة فهو مع دعايته الكرتونية التي تتخلى عن كونها رسمة إلى كائنات بشرية كلما ازداد به العمر. فتتكون لتلك الحالات .. السطحية الإدراكية، والسطحية الحكمية، والسطحية المعرفية والعلمية. ويقف يصارع على مدركاته ومحسوساته بآرائه وزاويته من الصورة لا من مكانها نفسه.

«وأهمية الصورة تأتي من أن الدراسات العلمية أثبتت أن ٩٨٪ من خبرات الإنسان عن الحياة والكون والبشر والألوان يكتسبها عن طريق حاستي السمع والبصر، و٢٪ من خبراته يكتسبها عن طريق باقي الحواس، إلا أن ما يجب التوقف عنده أن ٩٠٪ من الخبرات يكتسبها الفرد عن طريق حاسة البصر وهو ما يشير إلى أهمية الصورة كمصدر من مصادر المعرفة وتكوين فكر الفرد». -ثقافة الصورة، خالد الخاجة.

فلا تتخلى الدعاية عن الصورة، سواء كانت اقتصادية، أو سياسية أو دينية.. فهي تستفز ردود أفعال أسرع وأكثر انتشارا إلى الحد الذي لا يمكن السيطرة عليه، إلا بصور مضادة إذا كان الهدف مكافحتها أو ترميم ما دمرته في طريقها .

تتبنى المجتمعات الكثير من الأفكار الضارة وتتغير هويتها المعرفية من خلال صور موجهة لأهداف تخدم مصالح من أطلقها، بل ويتم تغيير وجهة أجيال قادمة اعتمادا على تضليل الصور الحي والذي يخلق فجوة تواصل بين الماضي والحاضر بعد ضخ الكثير منها على العقول الناشئة فيتم ربط الهوية الجديدة بمعزل عن مدخلات الماضي ويتم تسريع وتيرة المدخلات حتى يتم زعزعة الفكر في أسرع وقت ممكن، حتى لا يميز المتلقي الأنساق الجذرية والتاريخية لتلك الصور وتتغلغل في ذاكرته بحيث لا يرى مجريات الواقع إلا من خلالها، فالكثير من الصور لا يُعرف ماضيها -منمتبنيها- ولا سبب ظهورها وانتشارها ولسرعةا لعرض والتشتيت لا يستطيع استرداد الإدراك للتفكير والتأمل، فهو كالجاري تحت شلال قوي لا يملك القدرة والوقت للنظر إلى قطراته.

هناك عوالم تُخلق وتدار داخل عالمنا، صناعة لواقع داخل الواقع، بث مستمر لما يُرجى تبنيه، وتنميط للحاجات النفسية والسلوكية إلى حدال استنساخ، وتكرار لنفس التعابير بحيث يُستبعد عن دائرتها المخالف، فالسائد هو المتشابهات وما سواها خدعة بشرية جاءت على سبيل الصدفة.

تتشابه الأيام لذلك وحتى الآمال، ينقسم الناس بين غافل

ومطحون بعالم الصور ومقاوم لها فيها، فتتشكل طوائف يحمل أفرادها طوابع متقاربة وفكرة كلية قريبة تجاه ما يحاك خلف الصور، فالبعض يتسلح بالعلم والوعي الكاشف للزيف، والآخر تُسلب روحه منه وساعاته وفرادته ويتم تذويبه في قالب السبك الجديد، حتى يغدو مع الوقت وغد يتحامل على كل صور الماضي لأنها ليست في القالب الذي شكله. فيعود حربه على نفسه القديمة وأجداده وشريعته وكل من لا ينصاع له من أهل بيته، فهو ترسا في حرب ضده وسيف في يد حضارة لا تمت بصلة لحضارته بل وتعاديها.

فتح الصور إغلاق للإبداع الكتابي والصوتي بوعيهما الثقافي الشامل، فيتم تجميد المدخلات الأخرى لعدم قدرتها على مجاراة عالم الصورة في السرعة والتجدد، ويقف الفرد مكتوف اليدين أمام مدخلات أسلافه العميقة والتي تحتاج منه الكثير من الوقت والجهد. لذلك يعوم في عالم صوري ولا يستطيع الغوص فيه غيره إلا إذا تخلى بشكل شبه كلي عنه، وهو غير قادر على التخلي الكلي إلافي حالات نادرة، ولا قادر على وضع الحد الفاصل بينه وبينه بشكل متين، حتى يراقب ويفرز ويختار للتمرير.

تعمل وسائل نقل المعلومة على الإثارة أكثر من المعنى، فترشح من الألوان ما يلائم النفسيات ويجذبها، ومن الرسوم ما يشد الانتباه لآخره..

«تؤثر الألوان على النفس فتحدث فيها إحساسات ينتج عنها اهتزازات بعضها يوحي بأفكار تريحنا وتطمئننا والأخرى نضطرب منها وهكذا تستطيع الألوان أن تعطينا الفرح والمرح أو الحزن والكآبة.

وتقسم التأثيرات السيكولوجية إلي تأثيرات مباشرة وأخرى غير مباشرة، أما التأثيرات المباشرة فهي ما تستطيع أن تظهر شيئا ما أو تظهر تكوينا عاما بمظهر المرح أو الحزن أو الخفة أو الثقل، كما يمكن أن تشعرنا ببرودته أو سخونته، أما التأثيرات الثانوية أو غير المباشرة فهي تتغير تبعا للأشخاص ويرجع مصدرها للترابطات العاطفية والانطباعات الموضوعية وغير الموضوعية المتولدة تلقائيا من تأثير اللون». -كيف تؤثر الألوان على الإنسان.

وهذا يخلق تأثيرا مضاعفا، إذا تم إخراج الصورة عن فهم للمستقبلات الإدراكية والعمل على استثارتها على الدوام بشكل يخدمها.

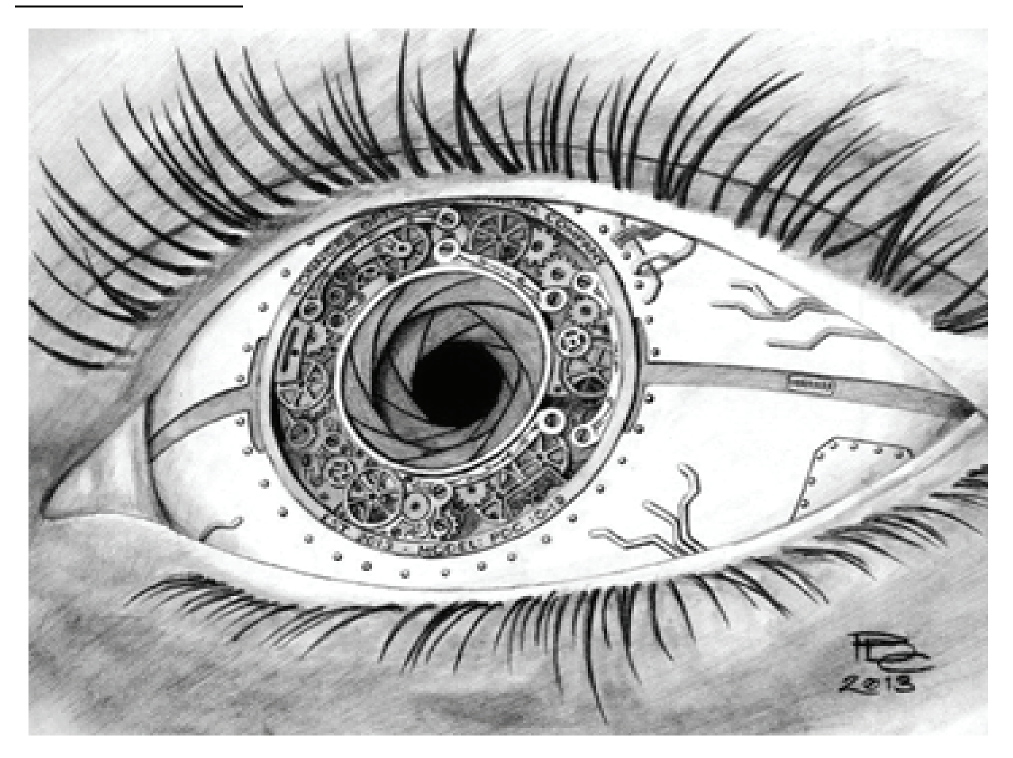
فلم يعد تأثير الصورة على تلك الثابتة وعلى العرض التقليدي -كما السابق- بل تنوعت الصور مع انفجار برامج التواصل، وأصبحت تطول الرموز الحية، والنماذج البشرية التي تنمط الحياة بشعارات عدة، لذلك يتضاعف التأثير، فهي تتدخل في أدق التفاصيل اليومية، إما شارحة أو معرفة، أو ناصحة، وكأنها أدلة إرشادية، أو كاتلوج يومي لما ينبغي أن يتبناه المرء ويكرهه، لما فيها من مقاييس وتعريفات وتوصيات ..

ثورة الصور مستقبل آخر لعالم اليوم، حرب على الإدراكات الزمانية والمكانية والحضارية، تشتيت عن القضايا الجوهرية، وتبديل نزعة بنزعة، وجماعة بجماعة، وروح قريبة بأخرى بعيدة.

❋ ❋ ❋

ضغط المادية

2 فبراير، 2021



في عالم تحكمه الصورة والألوان، ويستشري تأثير تداعياتها في الأنفس، تتحكم البرامج الأعلامية المُسيّرة، بترويج الأفكار على الطرق الشكلية، البارزة، لتُظهر الفكرة بالخط العريض خلف النمط المرسوم للناس.

تأمل بسيط -يكشف مدى الضغط على قلب هذا التابع في آخر الزمان- في حديث رسول الله ﷺ: «يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي الرجل مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل». واصفا وقت التمسك فيه غاية الصعوبة، لغربة الإسلام أمام

طوفان وسائل الجاهلية.

طغيان المادية اليوم على القيم، يجعل الشرائع في موضع ضغط ومحاصرة، وتهديد يستعبد الجوهر الإنساني، هذا الجوهر الذي جاء الإسلام لتهذيبه وتنقيته، وصقله.

أن تكون المادة هي الحاكمة للإنسان وطبيعته، مأزق يقع فيه مسلم هذا العصر، وذلك أن الفلسفات المادية المهيمنة، تسير في إطار نسبي، وتلغي خاصية الإطلاق، وهذا يعني غياب القيم المطلقة.

المنهجية الغربية المادية، خلقت نموذجًا، يسعى لتسوية جميع الحضارات، وربطها الحثيث بالتقدم، الذي أدى إلى تقبل كل فكرة جديدة ملوثة، بحجة الحداثة والتطوير (الذي يعكسه القانون الطبيعي المادي).

فانتشار الدعوة الغربية عالميًا، ونشاط وسائل ترويجها، جعل الدعوة المادية دعوة عالمية، يتم لأجلها إقصاء كل من يخالفها، وأتى من ثمرتها الكثير من الدعوات والتجمعات، والمبادئ الغريبة، والأفكار التي لم تكن لتنتشر لولاها، بل وتم تسييسها باسم حقوق الإنسان، وهي حقوق -إنسانية- طبيعية يراها الغربي بمنظاره المادي الذي يُقَيّم به.

خطر هذه الدعوات لم يتوقف، بل زاد في الآونة الأخيرة، واخترق أكثر المجتمعات محافظة على القيم والتعاليم الإسلامية.

ولا عجب -بعد ذلك- أن تقرأ حديث النبي ﷺ عن باعث من بواعث الغفلة، ويكون هذا الباعث مادي صرف «ومن اتبع الصيد غفل». (أي من جعل همه متابعة الصيد في البراري والشعاب فإن

العادة غفلته عن الحساب والجزاء في الآخرة، واشتغاله بما يهتم به من تتبع الصيد فيغفل عن الأعمال الصالحة وينشغل عن الصلاة والتهجد والصيام والذكر ونحو ذلك، ولعل هذا يختص بمن جعل وقته كله لتتبع الصيد في الفلوات، وابتعد عن القرى والمدن وعن العلم النافع والعمل الصالح) . - عبدالله الجبرين

أما من اتبع سبل الحياة المادية، فلن يغفل وحسب، بل وقد ينسى -مع الوقت- الغاية العظمى من وجوده، وأنه عابر في رحلة سفر قصيرة.

لذلك من المطالب الشرعية العمل على الموازنة بين القيم الروحية والمادية، بأن لا يطغى جانب على جانب، حتى لا يترك خلل كبير في حياة المسلم ينسيه الله والدار الآخرة. ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ هذه هي الوسطية المطلوبة، انسجام بين الرغبات المباحة، وتعلق مستمر بالغايات.

أما حينما تطغى سبل الحياة على الحياة نفسها، سيؤدي هذا إلى العبث حتما ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٣﴾ ، دائما أي (ركون مادي)، يخلق فيه من زوجه (ركون معنوي) مساويا لهذا الإخلاد بالمقدار أو يزيد.

فطبيعة الحياة المترفة اللاهية تسرق من الروح أكثر مما تهبها، وتنزع عنها كل رغبة في المدافعة، لتسلط الشكليات الفارهة، وأخذها من القلب الحيز الأكبر.

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ

﴿بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ فالذين طغى على فكرهم الدنيا وحدها، ليس لهم في الآخرة من نصيب، والجزاء من جنس العمل.

«ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله. فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه. ثم ألقي في النار» رواه مسلم.

هذا وهو لم يكسب إلا المنفعة المعنوية..

فماذا عسى من يعيش بتشييء النفس، ورؤية الحياة لرفاهية الجسد ولذتها وسعادتها، واستبدال البحث عن رضى الله والإيثار في سبيله إلى التعبد بهواها؟!.

يقود مذهب المتعة إلى أن جميع الناس لديهم الحق لتحقيق أكبر قدر منها، فهي الأساس والموقف الأخلاقي للتمييز بين الخير والشر.

فجوهر المذهب يختصره ميشيل أونفري بقوله:

«أن التاريخ يعلمنا ألا نقف في وجه الواقع وإلا فاننا سنعاني ولذا فان فلسفة المتعة هي الحل لأنها تعطينا اختيار واحدا وعلى الحياة قبولها كماهي وهذا أفضل من المعاناة والوقوف ضدها».

كانت هذه الفلسفة أكثر اختزالية للعالم الغربي لتسيد النظام العلماني على تلك الشعوب، ولكن مع تغير البنية السياسية في الأوطان الإسلامية، وتأثير انفتاح العولمة ووسائل النحت الإعلامية، تفشت آثاره

على أبناء المسلمين، لدرجة ترجيح المنفعة والمتعة المادية، وجعلها المعيارية للصواب والخطأ، والغفلة عن مقاييس الشريعة الثابتة.

وهذا ما يجب الوقوف للتصدي له، وتذكير المسلمين بأن الغاية من الحياة أهم من الحياة ذاتها، وأن الدنيا ليست هي الحياة الحقيقية، والألم جزء لا يتجزأ من طبيعتها ..

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾

ولكنهم لا يعلمون، أو علموا عقلا وغفلوا -عن ذلك في واقعهم- أن المركزية هي مركزية أخروية، والأساس الذي ينبغي الحكم على الدنيا من خلاله.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ .

قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون: اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن. لا يذكرون من أمر الآخرة شيئا.



جدليات التسوية، وإنسان الآلة

26 مارس 2019

المفارقة أنك حينما تتأمل حال المسلم الحضاري -بزعمهم-، الوسطي، الواعي، التقدمي، تجد أنه لا يصل إلى هرم الوسطية حتى يتجاوز الاعتدال المنهجي في الرؤية.

ففي الوقت الذي يريد تثبيت أساسات المنهج؛ يزعزع القاعدة الكونية للأشياء، وذلك من خلال نشر فكرة التسامح، والمساواة بين الأديان، وهي بالأساس تخالف المبدأ الكوني ذاته وليس الإسلام فحسب.

فقبل أن يُنّشط ذلك الكائن -المُستعبد دماغيًا- خلايا عقله في التّفَكر في دينه، ليبدأ أولًا وليسرح قليلًا في رحاب الكون؛ لعله يصل إلى منظومة شاملة للمبادئ الفكرية الأساسية والتي لا تختلف مع الدين الذي أتى لتعزيزها.

فكل شيء يأخذ جانب الاختلاف، أصابع اليد، ملامح الوجوه، ألوان الجبال والأعراق، والبلاد وحتى طبائع الأنفس والحيوانات ...

التسوية لم تأتي فطرةً، بل تسميما؛ وهذا التسميم الحضاري خالف المنشأ الأساسي عندما خالف الانقسام الطبيعي للوقائع، والأشخاص، وكل شيء يحيط بنا.

لا أذكر أني قرأت آية واحدة في القرآن تجعل المسلم والكافر في ميزان الله سواء، ولا حتى العاصي.

بل أيضًا لا تتشابه النتائج، حتى بعد انتهاء الدنيا بقوانينها

الحتمية -بوجود الاختلافات بين المخلوقات. فهناك عزل دنيوي لا تلمحه كلبصيرة، بين الفاسق والمطيع، قبل عزل يوم القيامة، والاصطفاف أمام الله، الذي لا يُقَدِّم فيه الإنسان غير عمله.

الإنسانية بالتعريف المعاصر؛ عش كالحيوان، وفكر بأخيك الحيوان، من حيث اشتراككم في الحيوانية نفسها، لا من مبدأ يُلجئكم إلى رحاب الله، أو مشاركة وجدانية تأخذكم إليه، أو قيم تتجاوز المادية والذاتية والأنانية، بصورها المجازية، والمختزلة، والمراوغة.

أعطني آية واحدة، دعت إلى التمييع والصهر والحب للإنسان في كفر الله، اعذروني فليسحبهم لدى غوغائية الوسطية -المزعومة- سببًا دينيا حتى نبرر لهم، فهل يكون الحب لهم فيكفر الله، أو بمعنى أصح حبًا لهم لأنهم كفروا بالله؟!

ولا تبرير لهذا الحب مهما بحثت!.

كثيرًا ما تُضَلّل العامة، بشعارات التسامح، ويتم غرس البذورة السامة في عقول النشء، ليعادي أبناء ملته ولا يكره الآخر، ويراه -باستمرار- صاحب الفضل والسيادة، لأنه راع اليد الطولى في ترفيهه، ودغدغة عواطفه التقدمية، بدمى إلكترونية، لا تبخل عليه بالرعاية والاحتضان.

دائمًا القولبة، وتنميط مواقفنا تجاه الآخر بعكس ما تعلمناه في ديننا، لا تدل على أننا الآن أفضل من السابق -فالعلم والدين في تناقص- بل على أننا فُتنّا بزهرة الدنيا لدرجة أننا نتقبل من يهتم برافهيتنا، حتى لو شتم ربنا وكذّب رسالته، وآذى نبيه وشوه دينه، بل ولو آذانا أيضا نحن، وقتّل وشرد إخواننا ..

لم يعد المقياس الآخرة، بل حتى الأدلة الملوي أعناقها لم يعد ليُّها يتم بالطرق الذكية، بل لعِبًا على المكشوف؛ لأن المهم ليس أن تصدق أو لا تصدق، بل أن يتم استقطاب الكثير، وتلويث الأكثر، مهما كان وعيك وخبرتك وعلمك وديانتك.

أنت فقط حجر عثرة في طريق طويل يسعى أصحاب التمييع فيه طاقتهم، ولا أقول لك ذلك لتيأس وتفقد الأمل في نصر اللَّه، بل لتفهم غياتهم بشكل أكثر شفافية.

عملية الاستبدال المصطلحية، غاية غير شريفة تمت وظيفها منذ مدة، وأنت المستهدف الأول والتالي، مهما كنت هامشيا عندهم، ولا تدعم ذبولهم وقت الشدة، أنت المستهدف كي يتم نبذك-في النهاية- على تمسكك بعقيدتك السامية، وتوسيع حجم الشريحة التي تنبذك حتى تُقصيك، أو تراك النشاز الذي يعرقل المسيرة التي لا تريد أن تقف .

نحن لسنا في زمن المغريات فحسب، فقد جاوزنا تاريخ انفجار الجاذبية على كل جديد حتى وصلنا مرحلة، التغيير من أنفسنا حتى نواكب حياة ما بعد الانفجار، وانتفاخ حيز القدرة على الأشياء، واضطراد حدود توظيفها.

أعوذ بالله ممن غطت على عينيه وقلبه، حزم البينات الاكترونية، ومات قلبه بحب أخيه الحيوان، وباع القيم والدين بثمن حضاري بخس، اشتراه على حساب آخرة الأبد.

❋ ❋ ❋



١- الذكورية المتسلطة

٢- الذكورية والنسوية

٣- ذكورية الرجولة الناقصة

الذكورية المتسلطة

2 فبراير، 2021



❑ البطريركية أو الذكورية:

النظام الأبوي أو ما يعرف بالبطريركية، هو نظام سيادة الأب أو الذكر على العشيرة أو الأسرة، وخضوع الأبناء والزوجات له. فالزعامة للكبير الذكر على النساء.

البطريركية : مصطلح يوناني، مكون من الأسرة والسيادة، واصطلاحا يشير إلى مواقع السلطة التي يتولاها الرجال. فهو يعني هيمنة النظام الأبوي، وتفضيل الذكور الأكبر سنا.

يعتمد هذا النظام على تعزيز الفوارق الجنسية بين الذكر والأنثى، لتبرير هذه الهيمنة، من فوارق القوة والكفاءة والتميز ..

فهو نشأ مرتبطا بمفهوم اختلاف الأدوار، ومعايير اجتماعية، مستمدة من الأعراف والتقاليد.

يتفق النظام الأبوي بشكل غير مباشر، مع الداروينية، من حيث

علاقة التطور بالممارسة الاجتماعية، والأدوار الخاصة.

فالأبوية متأثرة بالبيولوجية الاجتماعية، لا نتيجة اجتماعية وذلك لأنها ترى أنها «نظام طبيعي» يستمد شرعيته من فطريته.

الاختلاف بين النظام الأبوي والذكوري، أن الأخير لا يركز على سيادة الأب خصوصا، بقدر الذكر عموما، ومع ذلك هو جزء من النظام الأبوي.

❑ من أبرز مساوئ النظام البطريركي الغربي:

- تحجيم دور المرأة في المشاركة المجتمعية، وإلغاء التكاملية بين الجنسين.
- اعتبار المرأة مجرد سلعة، لا قيمة لها.
- التعامل وفق الطابع الحيواني التطوري، بربط السيادة بالقوة والأكثر صلاحية جسدية.
- التعامي عن الخطأ الذكوري.
- النظر للمرأة من ناحية مادية فحسب، وعزلها عن كل قيمة متجاوزة.

❑ الذكورية والإسلام:

السؤال الجوهري في هذا الموضوع: هل الذكورية من الإسلام؟

في الحقيقة؛ لا.

الإسلام ساوى بين المرأة والرجل في الحقوق والوجبات، وفرق بينهما في الخصائص والقدرات.

فالقوامة (ليست أفضلية ذاتية) بعكس رؤية الذكوري بأنه مستحق للسيطرة بناء على تفوقه الجسماني، -وبخصوص هذه النقطة تحديدا، أقول: كثير من الحيوانات تتفوق على الذكر والأنثى من هذه الناحية، هل يعني أنها سيدتهما؟!-

ولم يلغ الإسلام القوامة بشكل كامل عن المرأة بل هي راعية في بيتها ومسؤولة عمن ترعى.

والمساواة الإنسانية الآدمية التشريفية مذكورة بنص القرآن والسنة، لا بهلوسات الغرب ومفاهيمه المعوَّجة.

فالله يقول في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

ويقول في سورة التوبة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

ويقول في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

ويقول في سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

ويقول الرسول الكريم ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال»

يقول ابن باز في هذا الحديث: (يعني أنهن من جنس الرجال كالنصف من الرجل، كونها خرجت من الرحم كما خرج هو من

الرحم، خرجت من الرجل كما خرج من الرجل، فهن شقائق الرجال في كل الأمور إلا ما استثناه الشارع. فالمعنى والله أعلم أنهن مثيلات الرجال فيما شرع الله، وفيما منح الله لهن من النعم، إلا ما استثناه الشارع في ما يتعلق بطبيعة المرأة وطبيعة الرجل، وفي الشؤون الأخرى خص الشارع المرأة بشيء والرجل بشيء، والأصل أنهما سواء إلا فيما استثناه الشارع).

نعم تتدخل الفوارق الجنسية في تحديد وظائف القيادة، والتأثير.. لأنها تتوزع على تكوين الرجل والمرأة، وما أودعه الله في كل منهما، ولكن مفهوم القوامة يختلف عن النظرة الذكورية التي حبسته في السيطرة والاحتقار والتهميش.

فالرجال مكلفون بمسؤولية الرعاية لأهليهم، ودفع عنهم الشر والأذى، لتحقيق المصلحة بكليهما، لا إرضاء لغرور جنس على جنس.

فالشرع لم يكلف الرجل لأنه في مرتبة عليا والمرأة في القاع، بل حفاظا على المسؤوليات المجتمعية والذي ناسب أن تكون من مهمات الرجل، فهي تكليف قبل أن تكون تشريف، وخدمة قبل أن تكون سيادة.

بل كان الرسول ﷺ يحذر صحابته وهم أتقى الناس من تبعات الأمارة، وأنها زيادة أعباء على عاتق الرجل .. «إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وماهي؟ أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة؛ إلا من عدل».

وأبا ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تَأَمَّرنّ على اثنين، ولا تَولَّينَّ مال يتيم».

وفي رواية : «قلت يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها».

فالسيادة ليست تفوق ولا تميز جندري، يضرب به الرجل وجه المرأة كلما أراد إغضابها، إنما مسؤولية ورعاية «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته : الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راعفي أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية فيبيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع فيمال سيده ومسؤول عن رعيته؛ فكلكم راع ومسئول عن رعيته».

ولم يكن النبي يتخير الأمير في الصحابة، أتقاهم وأقربهم إلى الله، إنما أن يكون على مستوى الكفاءة لإدارة شئون الجماعة، وهذا أهم ما في الإمرة.

يقول رسول الله «خيركم خيركم لأهله» ويقول الله ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فالعلاقة الأسرية تقوم على الحب والتفاهم، وخير الرجال من كان خيرا لأهله، وخيرهم من عاملهن بالمعروف والإحسان.



الذكورية والنسوية

❏ من يقمع من؟

حينما نتكلم عن النسوية نستحضر الصراع الغربي للمرأة الغربية، وكيف أنها نازعت من أجل الحصول على حقوق مساوية، فهي كانت محرومة من التصرف بمالها ومن التعليم والعمل فبدأت المطالبة حول الحقوق الفردية والإنسانية، ثم رفعت التكامل الكامل فيما بعد، بما فيه التكامل التشريعي ..

أما الذكورية فقد نشأت في ظل الاختلافات الجنسية، والأدوار بين المرأة والرجل، باعتبار أن الرجل هو المسيطر بحيث يمتلك السلطة على النساء والأطفال والممتلكات ..

النسوية سعت للمساواة والحرية المطلقة -فيما بعد- أما الذكورية فيشغلها السيادة والسيطرة.

وكلاهما مرتبط بالجندر وبالفلسفات الغربية .. وكلاهما يعتمد في خروجه على حال الجنس الآخر، باختلاف أن النسوية ترى فيه الطغيان، وهو يرى من حقه التسلط للامتياز الطبيعي.

❑ هل الذكورية الإسلامية حل في مواجهة النسوية؟

بلا شك أنه؛ لا.

ليست الحل، فالحل إن لم يُستمد من الشريعة وبأساليب الشريعة كان حربا ليست شريفة، وهدفها ذاتي لا شرعي، والرجل إذا لم يفكر في إصلاح المرأة لربه قبل نفسه، سيعلق في تضخيم ذاته إلى درجة العبادة.

كلا التيارين قدس ذاته فوق الحد، وتطرف فيرسم الخطوط الحمراء، لدرجة أن الذكوري -بحربه الذاتية وليست الشرعية- تجاه النسوية حارب لأجلها كل النساء، وساوى بين الصالحة والطالحة، وجعل الكل قذر ونتن وسلعة وضيعة.. لذلك حينما يقذف يرتكب هذه الكبيرة دون رفة رمش لأنه يفعل هذا لأجل جنسه، ودفاعا - كما يرى- عن تفوقه، وحينما يستخدم أقذع الألفاظ - لا يدرك أنه - يقع في خذلان قضيته التي لو لم تكن خاسرة فهي ليست عادلة، والتي لو شهدها النبي ﷺ لأنكر -عليهم- ولائهم للدين، فالمسلم كالنحلة لا تأكل إلا طيبا ولا تضع إلا طيبا والمؤمن كالنخلة بركته كبركتها، والمؤمن ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء، والمؤمن لا يتجرأ على سباب مسلم -عامدا- وهو يعلم بخبر الصادق أن سباب المسلم فسوق.

فما بالك بأن ينشر قيما إلحادية داروينية، تحطمن قيمة المرأة البشرية وتراها مثل الحيوان، لا أهمية لها سوى في متعته، أو طاعته العمياء كالدابة، بل حتى الدابة قد تنفر من صاحبها إذا أساء معاملتها، وهو لا يرى أن سوء صنيعه يستحق نفرة المرأة بأي شكل.

وهذا بعينه هو العبادة، عبادة لجنسه الذي ألهه.

ثم الرسول ﷺ حذر بما هو أقل من هذا بكثير، عن أبي مسعود الأنصاري قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنِّي والله لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها، قال: فما رأيت النبي ﷺ قط أشد غضبا في موعظة منه يومئذ، ثم قال: يا أيها النَّاس، إن منكم منفرين؛ فأيكم ما صلَّى بالناس فليوجز، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة» فحينما تتأمل غضب الرسول ﷺ على زيادة في العبادة، من أجل التنفير منها، ألا يتبادر لذهنك كيف سيكون عظيم غضبه من تنفير جنس كامل، وإحداث الشقاق والفرقة لأجل حرب مع طائفة، يظن فيها -الذكوري- أن السخرية على جميع أفراده تأديب له وعلاج؟!

ماذا يريد الشيطان أكثر من هذا؟!

وهو الذي يُكرم من يفرق بين الرجل والمرأة من أتباعه؟!

هل من الدين تنفير المسلمات الصالحات، والتشكيك بهن والتخوين والطعن بصدقهن وأمانتهن، وبث روح الكراهية والتربص والقلق والشك والتذبذب والظن على الله بأنه ما خلق المرأة إلا مقهورة ومهانة كرامتها، لأنه أراد -والعياذ بالله- تقديس هذا الرجل والغلو فيه!.

متى كان الدين يُنصر بالباطل، وهل هو بحاجة إليه، وهو يملك قوته وقدرته الواسعة على التكيف معكل المجتمعات والأجناس والأعراق؟!

غالبا من يقع في فكرة نصرة الدين بالتذكير بذكورته لا بالله، لن ينصر الله من حيث خذل رجولته، فالدين كماله بكمال الخُلق، والرجولة كلها أخلاق.

تم الرجوع أثناء المقالة إلى:

-مقالة إنكار قوامة الرجل على المرأة .

-مقالة ماهي البطريركية الذكورية.



ذكورية الرجولة الناقصة

2 فبراير، 2021



«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» متفق عليه

الذكورية أو الرجولية وتعزيز المعايير الصبيانية، حينما نتحدث عنها يتبادر إلى الذهن -سريعا- تشكلها الغربي، وجذور نشأتها في الغرب كردة فعل ساخطة تجاه حركات نصرة المرأة هناك.

فهي خرجت لرفض الامتياز الحقوقي لجنس النساء، مما شكل تحيزها الناقم، والذي يرى أن من صالحه التخلي عن نمط الحياة السابق والبدء بشق طريق جديد يناسب رغبته في القمع والتسخط.

الذكورية أو ما يسمى بحقوق الرجل، تيار غربي المنشأ، واللغة والأبعاد، بعيد كل البعد عن عزة العربي الأصيل وعطاء نفسه، وإيثاره غيره عليها حتى فيما يحب.

سأبذل مالي كلما جاء طالب وأجعله وقفا على القرض والفرض

فإما كريما صنت بالجود عرضه وإما لئيما صنت عن لؤمه عرضي

أحمد اليماني

حر إذا جئته يوما لتسأله أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا

يخفي صنائعه والله يظهرها إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

سهيل بن هارون

- مما تعارف عليه رجال العرب :

- المعايير الأخلاقية العالية والتي قد تصنف لمن لديه خلفية مادية بالمثالية المنقرضة.
- الشجاعة في الإفصاح عن الكلمة والشجاعة في الدفاع عن الأهل والعشيرة.
- بلاغة اللسان وقوة الحديث وجزالته.
- صدق العهد والالتزام بالوعد.
- الكرم، والكرامة، والشرف.
- قوة البديهة وصفاء الذهن.

وهذه السمات تستوجب التخلي عنها كلها أو بعضها للدفاع عن ذكورية هذا الإنسان بلا معايير بشرية، إنسانية، إسلامية.

حينما نتحول إلى إنسان الغاب، نستسيغ أن تكون لهجة الدفاع بأصوات ومخالب ليست بشرية، ولكن حينما نكون من خير أمة أرسلت للناس، لنا معاييرنا الشرعية التي ننطلق في الإفصاح عن الحقوق منها.

فلا يوجد ما يسمى بالدفاع عن الذكورية بوجه النسوية إن لم يكن المبدأ إسلامي أولًا، وموافق على وجه الصواب لما جاء عن رسول الله ﷺ وسنته ثانيا.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾

﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ﴾ : قال ابن عباس(السبيل).

﴿وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ : قال (وسنة).

لكل جعل الله سبيلا وسنة، وسنتنا ليست من هذا المنهج الذي يظن أن بالخصام والعداوة والزيادة في إشعال النار تهدئة ومعالجة سليمة، طالما لا ينتهج نهج نبيه في مثل هذا الأمر، ويدافع عن حقوقه متأثرًا بالغربي وتطرفه البغيض لأجل ذاته العمياء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾

ليس في الإسلام جنس بمعزل عن الآخر، تكاملية هذا الدين جعلت نجاح مجتمعاته تعتمد في الدرجة الأولى على تعامل أفراده، ومعرفة كل فردما عليه من واجب وحق بأن يكون كأخذ ورد، دون عنجهية الامتياز الخاصة حتى في حال (صعوبة الطرف الآخر أو تغيره).

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾

وهذا العدل واجب عليك حتى على من يخالفك بالدين، فما بالك بمن هو على دينك، أو وقع في مخالفة شرعية، أو معصية ما، أو أصيب بشبهة يحتاج منك الرحمة عليها أكثر ما يحتاج، لعلاجه منها ودفعها عنه، خاصة إذا كان صلاحه يغلب تقصيره وذنبه.

حينما سأل رجل الرسول ﷺ : من أحق بصحابته؟ فقال له: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك.

إذا كان الرجل المسلم يسعى لذكوريته وحدها كيف سيرق قلبه لأن يدرك أن لأمه عليه حق مضاعف ولأخواته حق هو من حق برها، ولنساء المسلمين حق هو من حق تربيتها.

كيف سيتعايش مع هذه المباينة والتناقضات التي يزرعها في طريقه الخاص، وهو كل ما فر من عقبه، سقط في حفرة.

فالتناقض جزء لا من كيان هيجانه ضد الأنوثة خصوصا ونساء المسلمين عموما.

فمهما أقنعك الذكوري ببعده عن التطرف، وتجنب اتباعه للنموذج الغربي، ذّكِرّه بأنه لو صدق لن يكون حينها ذكوري ولا يحتاج بأن ينعت نفسه بذلك، ففي انتسابه للدين ما يغني عن هذا كله.

قال ﷺ «من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها، ولم يُؤْثِرْ ولده عليها - يعني الذكور - أدخله الله الجنة» أخرجة الإمام أحمد

وقال: «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن، فله الجنة» رواه الترمذي

وقال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» رواه الترمذي

وقال: «ويحك يا أنجشه، رويدك سوقا بالقوارير» رواه البخاري

«بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي. فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال لها: «ما يبكيك؟» فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي. فقال النبي ﷺ : «إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟» ثم قال: «اتقي الله يا حفصة» .رواه الترمذي

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «كنت أشرب فأناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في، وأتعرق العرق، فيضع فاه على موضع في» .رواه مسلم

«كان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث». رواه البخاري

استأذن أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عاليا، فلما دخل تناولها ليلطمها، وقال: لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضبا، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: «كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟!» فمكث أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أياما، ثم استأذن على رسول الله ﷺ، فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما. فقال النبي ﷺ : «قد فعلنا، قد فعلنا» .رواه أبو داوود وأحمد

«ما ضرب رسول الله ﷺ امرأةً له قط...» عائشة رضي الله عنها.

ما يقع فيه الكثير من الذكوريين من الخلط بين مسائل التفضيل للجنس، على أنها تفضيل لمطلق الجنس، حتى لو مع نقص التقوى، خلل كبير يدلل على أن الغرض استغلال النص في حرب ليست سلمية، لا الاستشهاد به حقا.

أو العمل على الاستفزاز بالأدلة والتنفير من الدين بها، ومحاولة الدمج بجد بين مبادئ التيار وبينها، وكأن الدين لا يركز في شرائعه إلا على تفضيل جنس، أو تعزيز سيطرته على الجنس الآخر، بعشوائية وانتقائية، مع تغافل شديد عن أحاديث الأخلاق والقيم والتعامل مع المخالف ومناهجها التربوية الدقيقة والكثيفة.

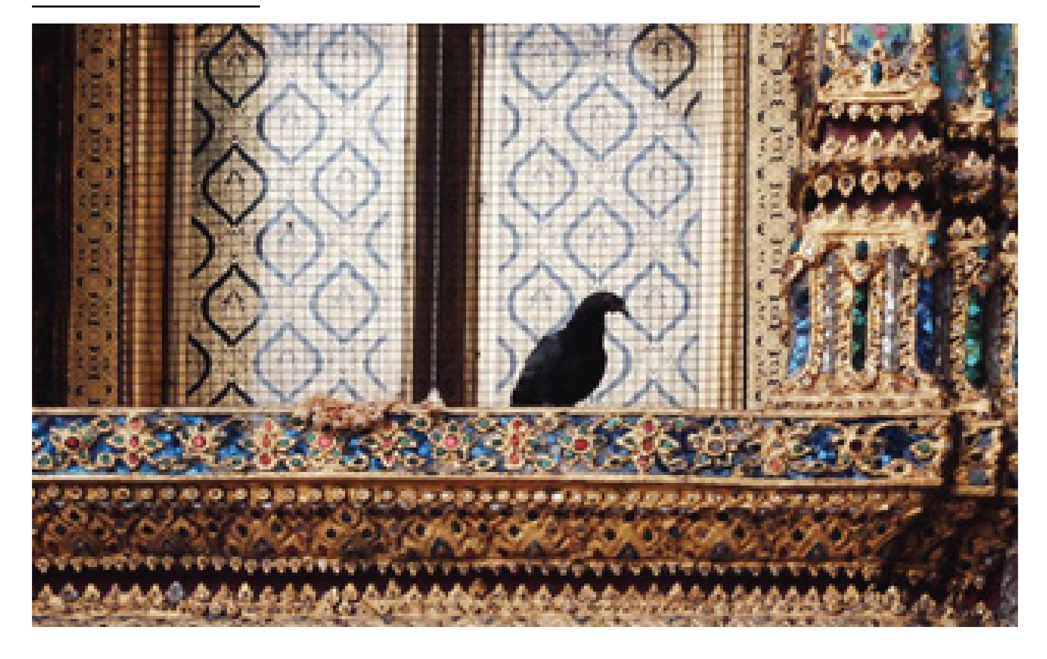
وهذا ما يثبت أنه لا يوجد تيار منشق، سيخدم مصلحة الأمة، وهو قد بزغ من مظلة علمانية بفلسفاتها الفردانية والإنسانية والمادية المتداخلة.




إسلامية

حزن نبي

2 فبراير، 2021



الحزن ترجمة شعورية لخلجات خاصة، تتدفق داخل النفس، وتسري سريان الدم في العروق.

لغة يجيد فهمها الحزين عند النظر في عين الحزين، تمتمات تنتقل أسرع من كل الكلمات، وأحيانا توَّقع العين رسالة القلب، بدمع هو أقرب أن يكون دمع الروح.

حينما سار بخطوات الدعوة الأولى، سار مسير الواثق بأن الله سينصره، لم يهتز ولم يتضعضع كيانه، رغم معرفته المسبقة بطباع قومه.

كان يعلم أن الجهل أطغى، والعصبية أغلب، وأنه سيرى من المحن

ما يساوي قدر عنادهم وصعوبة التغيير...

ومع كل ذلك سار وهو ينظر إلى السماء مُعلِّقا آماله بمن وضع الرسالة فيه.

ذاق المرارات، وتناوبت عليه النوائب، وهو في كل مرة يصدع بدعوته، ويهتف بالحق، في كل مرة يجابه الجاهلية، ويعالج أدواء أنفس استعصت ..

ويأبى الله إلا أن يذوق ﷺ طعم الفراق، لتكون الخلة خالصة، والاعتماد تام، فتموت رفيقة دربه الأولى، وعمه -الذي كان سنده من الناس- ويبقى يحاول أن يمضي حزنه في عام الحزن ولكن العام من ثقله كأنه لا يمضي ..

«لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابا. فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك». ويقول: «ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب».

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول

قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابه ممن يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا».

وما كادت الجروح تشفى، والنفس تعاود انشراحها حتى يُقتل من أصحابه سبعين منهم عمه حمزة رضي الله عنه، الذي كان يحبه حبًا شديدًا.

«لن أصاب بمثلك أبدًا» قالها والقلب يعتصر على فقد حبيبه، وصاحبه الذي أعز الله به الإسلام.

استمرت زفرات الغيظ المكبوتة، ورجع بألم طري، يتنفس بين كلماته، «لما رجع رسول الله ﷺ من أحد سمع نساء الأنصار يبكين فقال: لكن حمزة لا بواكي له...» ولكن حمزة الذي فقدته لم يكن له بواكي، ولم أجد من يشاركني ألمي فيه، ويجد في قلبه كما أجد، وهذاما يجعل الحزن أشد، أنه حزني أنا، وما يجعله خاص بي أكثر، أن لا أحد يعلم حمزة كما أعلمه أنا.

ويشاء الله أن يُقتل بعد ذلك، سبعين من أصحابه غدرًا، ويحزن لفقدهم أشد الحزن، قال أنس رضي الله عنه: «فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزنا قط أشد منه».

ثم فجع في جملة من أصحابه في غزوة مؤتة، وحزن لفقدهم حزنًا عظيمًا.

ولم تفارقه الابتلاءات حتى في أهل بيته، فقد فقد أولاده الثلاثة :

القاسم وعبدالله وإبراهيم، وبناته الثلاثة : زينب ورقية وأم كلثوم.

«فدفع الصبي إليه ونفسه تقعقع كأنها في شن، ففاضت عيناه، فقال له سعد بن عبادة: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

لم يأمر الله نبيه بالحزن، بل ونهاه عنه، لأنه ناصره وكافيه من الناس، ولم تكن أحزان النبي ﷺ لما يتعلق بحياته، دون دعوته، وأمته.

إنما معظم أحزانه ودعواته وهمومه كانت لنا، «عن عائشة بنت الصديق رضي الله عنها قالت: لما رأيت من النبي ﷺ طيب نفس قلت يا رسول الله ادع الله لي قال اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرت وما أعلنت فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك فقال رسول الله ﷺ أيسرك دعائي فقالت وما لي لا يسرني دعاؤك فقال والله إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاة».

تخيل أن يرغب النبي ﷺ برؤيتك تحديدا ..

أظن لو كان الأمر يتعلق بفرد من أفراد أسرتك له مكانة خاصة، وغبت عنه فترة طويلة، ثم يتصل عليك ويعبر عن شوقه ورغبته في لقائك أن قلبك-حينها- سيكاد ينخلع له بالمثل، فما بالك بحبيب الله ورسوله يصرح فيك بذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن سيدنا رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا». قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم

أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد..» .

تتلاشى الذات لأجل الله ودينه، تختفي الرغبات إلا لما كان للآخرة، يرجو النجاة ويخشى الله ويتقيه، ويفكر حينما يفكر في أمته، حتى كأن كلمة الشفقة في (اللهم أمتي أمتي) خلقت لأجل فمه الطاهر وحده .

«عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ تلا قول الله في إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ ، وقول عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ ، فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد - وربك أعلم- فسله: ما يبكيه؟ فأتاه جبريل، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله تعالى: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إن اسنرضيك في أمتك ولا نسوؤك».

اللهم إنا نحبك ونحب نبيك ﷺ ونحب من يحبك ونبيك، فاحشرنا يا رب في زمرته، واجعلنا من أهل شفاعته، لا ممن خذل دينه، ورضي عمن آذاه، بحجج ليست من الحق وصدق القول وصحة الإيمان.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.



هل عائشة -رضي الله عنها- كباقي النساء؟

20 أبريل 2019

هل عائشة رضي الله عنها كباقي النساء؟.

سؤال يستحق تأملًا طويلًا، سوى البحث والدراسة والمقارنة والفهم.

هل أمنا عائشة يقاس عليها باقي النساء قياسًا مطردًا، ولماذا التكريس الليبرالي لا يخترق باقي أمهات المؤمنين، لماذا دائمًا عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما؟.

للسؤال هذا ولباقي التأملات عدة مداخل وأسئلة، ومحاور رئيسية يتفرع عنها الكثير من النقاط، ولكن سأجمل الطرح وأخصصه بهذا العنوان -إن شاء الله- وأسيق الأدلة الفكرية والإسلامية بنفس هادئ، ومتزن، ولا ينقل شيء عن مكانه -بمشيئة المولى.

-أمنا عائشة تزوجت رسول الله زواجًا قدريًا ربانيًا، لأسباب كثيرة وحِكَم نعلم عنها القليل ونجهل الكثير ..

«رأيتك في المنام مرتين إذا رجل يحملك في سرقة من حرير فيقول هذه امرأتك فأكشف عنها فإذا هي أنت فأقول إن يك هذا من عند الله عز وجل يمضه».

- كانت سيدتنا عائشة تفتخر بسبع خصال تميزت بها، من بينها .. أنها كانت أحب أزواجه إليه، وأحبهن أبا، وأنه صلى الله عليه وسلم تزوجها «بوحي من الله عز وجل»..

-كان لعائشة فضل خاص، على باقي نسائه، والنساء جميعًا ..(فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام)، ولهذه الأفضلية مزايا خاصة تفردت بها عمن سواها، وجعلتها نموذجًا خاصًا من بين نساء زمانه، وكوكبًا عاليًا عند نساء زماننا.

-حينما يتم الحديث عن أمنا عائشة، سيدة نساء المؤمنين يكون ذلك باستوطاء وأدب، وصوت منخفض كما نتحدث عن زوجها رسول الله، ولا نقول عنه باسمه بلا ألقاب بل نخفض الصوت عنده والأنا والذات، وندع سيرته عليه الصلاة والسلام تتحدث، ولا نتجاوز الحد، بالتفسير العقلاني، ولا الحد بالتفسير المنطقي، فهو رسول شعائر الله رب الأكوان، وهذا الجانب عظيم جدًا، فإذا كان الحذر مع كتاب الله وتأويله التأويل المنحرف، فالحذر الأشد مع رسوله الناقل لكلام الله، لما له من الحرمة، والمكانة العالية، والتبليغ، والاصطفاء...

فالحديث عنه وعن زوجاته لا يكون كالحديث في شارع أدبي، ولا مقهى يتنازع أصحابه فكرة ما، بل بمعرفة السيرة أولًا من أهلها المستحقين للحديث عنها من صحابة وعلماء صالحين، بتعليقهم عليها، وقولهم فيها ..

فهذا هو الأساس لكل مسلم وقاف عند حدود الله وآياته ورسله!.

-عامل رسول الله ﷺ عائشة معاملة خاصة ولأسباب كثيرة ..

من أهمها :

«حداثة سنها» حتى إنه كان يرسل إليها الجواري ليلعبن معها لكي لا تستوحش!

وكان يقف لها لتتفرج على الحبشة وهم يلعبون في المسجد ويرقصون، وخدها على خده يشجع الأحباش ويقول: "دونكم يا بني أرفدة" ولا ينصرف حتى تكون هي التي تمل. وفي رواية أخرى، قال عند ذلك: "لتعلم يهود أن في ديننا فسحة".

إذن حتى خلف سبب صغر السن ومعاملة الرسول ﷺ كل شخص بما ينسبه، حكمة إيمانية، شرعية، تتعلق بأن الإسلام يشمل كل الجوانب الملائمة لهذا الإنسان حتى يسعد سعادة دنوية قبل الأخروية.

حتى أن أمنا تعلق بنفسها وتقول: «فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو».

فقد تعلمت هذا من مدرسة الحبيب، مراعاة الأحوال الخاصة، والأنفس، وجعلت منه حكمة لعامة المؤمنين لأنها فهمت مراد الدين ورسوله ﷺ.

وهذا الجانب في سيرة أمنا عائشة، ينبغي فهمه جيدًا والتقدير عليه بما يستحق التقدير، والقول عنه بأدب المتعلم، لا طريقة الند والمصاحب، وأنكِ فعلتِ فلي الحق أن أفعل، أو فتح بابٍ لشرعنة جانب ما .. باسم الدين.

الكثير والكثير من المواقف التي ينتهج معها النبي ﷺ جانب المراعاة والفهم، وهذا مع أصحابه حتى في توزيع المهام عليهم، فكيف يكون مع زوجاته، ووضع كل شيء في نصابه وتقديم أمر لحكمة في نفسه، وتأخير آخر، أو التعامل بما يناسب المصلحة في الموقف.

فهو من أحكم الخلق وأتقاهم لله، وأشدهم خوفا على كل ما ينفع أمته!.

فلا يتم التعامل مع حياته الخاصة، بالتعميم قبل الفهم، فهو تزوج أكثر من أربعة، وكان أعدل الخلق بينهم، ولكل زوجة مكانة خاصة في نفسه، أما القلوب فهي بيد الله، والعدل في الحب خرقًا لناموس الكون.

-الجانب الآخر في شخصية أمنا عائشة رضي الله عنها ويتاجهله كثيرًا العلمانيون في نمذجتهم، هو جانب الحب والإجلال والخضوع لرسول الله، فهو ليس كباقي البشر إنما (الرسول) وليت من يتحدث عنها وعنه، يستحضر ذلك، فهو رسولها قبل أن يكون زوجها، ونبيها الذي تعود له في دقيق الدين قبل عظيمه.

(إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى قالت فقلت من أين تعرف ذلك فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت علي غضبى قلت لا ورب إبراهيم.

قالت قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك).

«ما أهجر إلا اسمك» وهذه لوحدها قاعدة القواعد في شخصيتها، المصونة، التقية، الوقافة عند حدود الأدب، وحدود الدين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

❖ ليس في النفقة فحسب، إنما للغاية، الغاية التي تتجاوز الدنيا، وتتجاوز العقول الدنيوية، خلف الحياة كاملة، وهذا الدرس لنا، أن نتجاوز الذات إلى الفكرة الأهم، والهدف الأسمى من الحياة، وأنها رحلة جهاد طويلة بمضمونها، قصيرة في موضوعها الزمني لكل فرد في عمره القصير العابر.

ولعلي أختم بما بدأت لماذا يستغل دعاة الليبرالية ومن شابههم أمنا عائشة رضي الله عنها بالذات؟!.

● على حسب فهمي المتواضع .. من بين الأسباب :

- تغليب الجانب العقلي وطمسه في نفس الوقت، فهو يحاول الشرعنة لا أكثر، ويطرح الفكرة التي اختارها مسبقًا، ثم يبحث عن الوسيلة في السيرة، وربما لو لم يجدها اختلقها بنفسه، لأن جانبه العقلي-المزعوم-وفكرته أهم لديه من كل شيء.
- البحث عن المداخل والإسقاط عليها، ولأن سيرة عائشة رضي الله عنها حافلة بالوقائع والأحداث، ونُقل عنها كثيرًا، كانت الأولى في ذلك، وتم استغلال شخصيتها لتمرير الكثير من الأفكار الغربية، وتسويقها.
- سهولة تمرير رسائلهم من خلال سيرتها، لأنها برزت في الكثير من النواحي، وكان لها مشاركة في واقعة من أكثر الوقائع المثيرة للخلاف بين المسلمين، وتزوجت النبي في عمر مبكر، فوجدوا ضالتهم، لأن الجوانب -بظنهم- مهيئة.

التأملات لا تنضب ....

أقف عند هذا الحد، وعذرًا على الإطالة



تحريف الأحكام بحجة تغير الزمان والمكان

17 أبريل 2019

تحريف الأحكام بحجة تغير الزمان والمكان

- أهم ما يميز المحرفون ما يلي:

- الإفتاء بما يوافق القوانين الغربية، وخلق موافقة بين الإسلام والغرب، ومن ذلك تبرير بعض المنكرات، والتهوين من قيمة الإلتزام في النفوس.
- احتقار الطرف الملتزم، والتقليل من قيمة الموروث الذي يتمسك به، بحجة اختلاف الأوضاع والأحوال.
- تجويز المحرفون تغير الأحكام بتغير الزمان أو المكان، لتبرير مخالفتهم للأحكام الفقهية المعهودة والمتفق عليها.
- حجتهم في مناقضتهم للنصوص الشرعية، أنهم إنما يحاولون التمسك بالمقاصد الشرعية. وأن الشريعة لم تنزل إلا من أجل مصالح العباد، وعلى ذلك يدرك ذلك الفقيه في فتواه ويراعيها، وهم في الحقيقة جاءوا بما ينقاضها ولا يتسق معها.

وأمام هذا الخطاب المنتشر يجب العلم بما يلي:

- الأحكام الشرعية كلها ثوابت لا تتغير.
- أن التخصيص أو التقييد لا يصح إلا بدليل شرعي واضح، وليس الإحالة إلى قول فلان، أو كتاب علان من المعاصرين

الذي قد يصيب ويخطئ.

هذه شريعة وليست حديث منتديات!.

- القول بتغيير حكم شرعي عن زمن النبي قول باطل قطعًا، إلا ما ثبت فيه بدليل هو من عين النص أو ما أفاده النص.
- اعتبار الظروف والأحوال أنها تتغير وتغير الأحكام. تلبيس كبير. فالحكم الشرعي يتعلق بالفعل، وهذه الأحوال أو الظروف وإن كانت مؤثرةً فيه، فإن الحكم الذي يتعلق بها هو حكم آخر، أي أن الحكم نفسه لا يتغير.
- اختلاف المجتهدين في الأحكام الاجتهادية والظنية، ليس من المتغيرات؛ لأن الحكم في حق المجتهد، ومن يقلده، هو حكم ثابت لا يتبدل، إلا إذا وجد المجتهد أن الحكم الذي توصل إليه مرجوح، وغيره أرجح منه..
- من يتخير في الأحكام حسب المصالح،ويحاول التحريف بالتخير منها بين أقوال المجتهدين .. يرد عليه الشاطبي بقوله

«وإنما يكون التناقض واقعا إذا عد الراجح مرجوحا من ناظر واحد، بل هو من ناظرين، ظن كل واحد منهما العلة التي بني عليها الحكم موجودة في المحل، بحسب ما في نفس الأمر عنده وفي ظنه».

ويقول لمن يربط الأحكام بالمصالح، ويتخير منها بين المجتهدين..

«وقد زاد هذا الأمر عن حد الكفاية، حتى صار الخلاف في المسائل معدودا في حجج الإباحة، ووقع فيما تقدم وتأخر من الزمان، الاعتماد في جواز الفعل على كونه مختلفا فيه بين أهل العلم».

هذا باختصار..

وفي الختام احذروا النغمة الإنشائية، وأن عدم مراعاة الواقع والتغيير من الأحكام لأجله قد يودي بالشباب إلى الإلحاد و و

هذا كذب على الله ورسوله، وتطاول على شريعتهم، وكأن صاحب الدعوى يفهم أكثر منهم، لذلك يحرف من الدين لما يرى من منكرات بحجة علاجها، وما صدق، وما عالج شيء!.



القيمة ما معيار القيمة؟!

2 فبراير، 2021



حينما قرأت سطرا في كتاب ما، توقفت لبرهة أفكر، ما مدى ملامسة هذا السطر للمعنى الكامل؟.

تفكرت قليلا، حتى قفزت لعقلي عبارة من السيرة كأنها أتت جوابا لهذا السطر ..

واليوم أثناء انهماكي بعمل ما، جاءت نفس العبارة والسطر وشواهد أخرى، واجتمعت الكلمات في عقلي من هنا وهناك متعثرة، مبعثرة.. حينها شعرت بإلحاح إخراجها والتعبير .. لعل الجلبة التي أحدثتها فيّ تهدأ!!

عدت بكل ما بداخلي والقلم للجواب عن:

القيمة ومعيارها ..

حينما تتكلم عن نفسك، كيف تُقيّم أهميتها بالمعيار السليم؟.

هل قياساتنا المجتمعية بعاداتها كل شيء؟.

هل فكرت أين أنت حقا؟.

نعود للمنبع النوراني، والنموذج الإسلامي الحي، ونراقب مستويات الناس هناك.

متى وأين يُفضل هذا على هذا؟. وعلى أي أساس؟.

في السنة ومع أحد الصحابة «كان رسول الله ﷺ يحبه، وكان رجلا دميما، فأتاه رسول الله ﷺ وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت، فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل رسول الله ﷺ يقول: من يشتري العبد؟ فقال: يا رسول الله، إذا والله تجدني كاسدا، فقال رسول الله ﷺ: لكن -عند الله- لست بكاسد. أو قال: لكن -عند الله- أنت غال».

لم ينس راوي القصة أن يُذّكر بمعيار هو للبخس بين الناس لا الرفع، عندما نوه على دمامة الشكل، فالناس يأخذها ظاهر الصورة عن حقيقة النفس، وهذا في خير الأزمان فماذا عن مجتمع آخر، يُبخس فيما هو أعظم وأجلى فما بالك بالأقل.

وتتجلى صورة أخرى من صور القياس حينما .. «مر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟، فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع. فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا

يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا».

البخس الأول كان للشكل، فعلى دمامة الوجه كان التحقير لعين الذات، وركز جيدا في دقة الرد النبوي على الصورة الأولى حينما قال «لكن عند الله لست بكاسد» ولم يقل عند الناس أيضا، وهذا لضعف البشر عن العدل الكامل وكشف الحقيقة بميزان الحق بصورة مطلقة.

أما في الشاهد الثاني، جاء معيار آخر وهو الحالة المادية، وكثيرا ما يقع الناس في هذا التقييم الفاسد حتى يُكرم بسببه الوضيع ويُوضع الثمين. ومن صور التكريم التي أتى الحديث بمثال لها، الموافقة في الخطبة، والتشريف بقبول الشفاعة..

وهذا قبل طغيان المادية وضعف الإيمان في النفوس الذي نتحسر عليه كل يوم ويصدمنا في عالم الوقت المعاصر، فلم يقتصر الأمر على مثال نبوي هادئ، بل طغيان رفض شمل حتى قبول النصيحة من المنصوح وقبول الصداقة والقرب والتوقير والكلام والمصافحة...

لم تأت الطبقية لتؤكد معان يصب لأجلها الاختلاف بقدر أنها فضّلت الناس بأشكالها ومظاهرها ومادتها .. فجعلت قيمة الإنسان من قيمة المادة وحرمته من التحليق عاليا في سماء الإبداع والارتفاع لأن مقاسات السمو أصبحت صلبة بصلابتها، وبينها وبين المرونة دهور بُعد وجفاء كجفاء كائن اليوم.

لابد من عزل نفسي عن معايير الناس الجائرة، ففيها من الميلان بقدر انحراف مستويات الصورة، وتشوش البصيرة، وغبش الرؤية ..

«فقال: إن مدحي زين وذمي شين، فقال النبي ﷺ: «ذاك الله عز وجل»

عندما ضحك الصحابة على ساقي ابن مسعود ﵁ .. تعجب النبي ﷺ من ضحكهم وقال: «مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله! من دقة ساقيه! فقال: والذي نفسي بيده؛ لهما أثقل في الميزان من أحد».

سريع هو تقويم النبي ﷺ لفهم الصحابة لمسألة ليست بالهينة كما يتبادر للذهن لأول وهلة، فهذا درس نبوي يتوجب الوقوف بحضوره كل مرة.

لا تقس الناس بما ترى، ولا بظاهر حالهم، ولا بالمناصب والمراكز، والأعمال الدنيوية..!!

خُلقنا لما هو أعظم من الدنيا وما عليها، وأتينا لهدف أكبر من حجم الكواكب والأفلاك، بلو الغاية من الوجود ليست بحجمنا المادي المحسوس، إنما بما وقر في القلب وصدّقه العمل!.

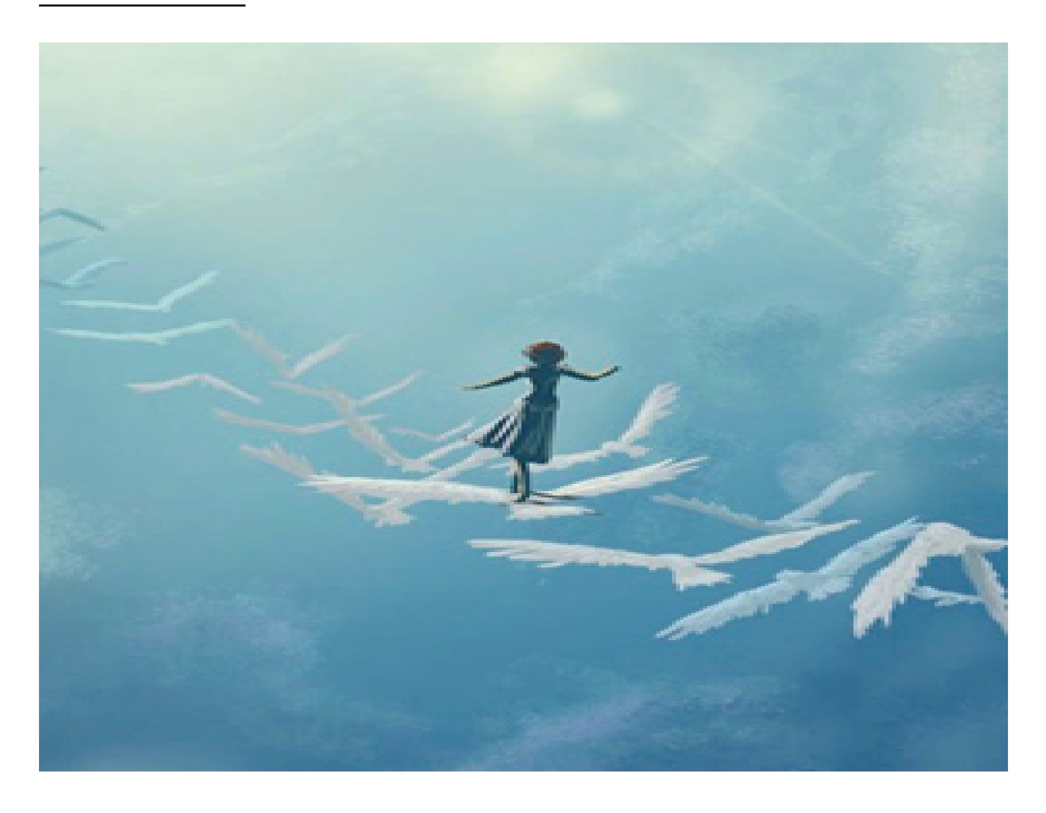
لا تبحث عن مستوى اجتماعي يجعل الآخرين يوقرونك ويجلونك، ابحث في غابات روحك المهجورة عن قناديل النور، عن محبة الله، وما جاء به الرسول ﷺ.

تحسس جوفك هل شيدت صروحه على تقوى، هل جملت باطنك بما يرضي الله عنك، هل بنيت قصرك في الجنة، ورفعت درجتك هناك، هنا فقط تستطيع أن تكون أمة لوحدك. وتركل بقدميك مقاييس الناس الفارغة بفراغهم.



أن تُفلت يدك

3 أبريل، 2021



في ذلك اليوم رأى والدي في المنام أنه أدخل قطة صغيرة، تستدر العطف والمحبة للمنزل بعد أن كانت عند الباب، شاهدها أثناء عودته من المسجد، روت أمي لي المنام ثم قالت: بعده كان ميلادك. لم أفسر الرؤيا أو أفكر فيها بقدر ما شدني أنني أتيت، في لحظة ما، وزمن لا أعرف فيه أي شيء، أتيت نابضة بالحياة، أكافحها بصرخة، وأقاومها بأطراف ناعمة كأن حركتها المتوترة والمتتابعة تقول: ما الذي تريدينه مني يا دنيا؟! على الأقل، ابتعدي عني في هذا الوقت!.

تعلمت مع أول خطوة ثمن أول شيء أتقاضاه، فلم أسير على أقدامي إلا بعد عثرات وسقطات، ومحاولات، والثمن بحجم النجاح، فكانت الفكرة: أن تسير لابد أن تسقط، وأن تسقط لا يعني أنك لن تسير بعد السقوط، أنت رفيق العثرات يا ابن آدم، فما دمت تسير ستسقط دائما، لذلك حافظ على اتزانك تقل عثراتك.

جُبلت على التحدي والقوة، ولم أكن أعلم -على التحديد- لماذا لا أستجيب لأوامر المدرسة والبيت، ليس القبول ما يثير دهشتي الآن، بل الرفض، لماذا كنت أرفض الأوامر باستمرار مع أني كنت أدرك حجم العقوبات خلفها، وتدخل النبذ بشكل مستمر؟! لماذا رجحت أن أُقصى رغم أنه كان بإمكاني أن أقترب؟!.

كنت لا أهدأ عن المشاكسة، ويعجبني توجيه أجواء الفصل على ما أريد حتى لو انزعجت المعلمة أو عطلت الدرس. ما هذا التهكم، والتحكم، أي جبروت طفولي ذاك الذي لازمني في مراحل طفولتي الأولى، ولكن لا شيء بلا معنى، والمعنى الذي لامسني فيما بعد، أنني حقا أكره الأوامر، خاصة إذا تعارضت مع ذاتي، وهي حينها منزعجة لاختلال جزء من سكينتها وتعبر عن ذلك الجانب بطريقتها، فعرفت لأي درجة أنا واضحة ومتسقة مع نفسي.

في مسيرتنا كاملة سنجد أن بعض المواقف تُزرع في دروبنا ليس لنتخطاها وننسى، بل لنعرف من خلالها من نحن، لذلك لا يختبر الإنسان مدى ضعفه البشري حتى يمرض، وصعوبة السيطرة على نفسه حتى يُبتلى بالذنب، فتتكسر في داخله أبواب ومساكن، ويعود بكامل فقره ومسكنته بقلبه المطمور في الرمال منزوع الحول والقوة.

البدايات خطوط عريضة لما سنكون عليه، وإن كانت ستتغير ففي التفاصيل لا الجوهر، فغالبا هناك مقدمات تمهد بالمستقبل وتشي به ولكن لا ندركها.

في لحظة ما؛ تعلمت ألا أخاف، وحصل الأمر بالتعلم، وصعقت حينما أدركت أن نزع الخوف من النفس لا يكون جبلة دائما، بل ممارسة، فكانت خطواتي الثانية وتعلمي للمشي في ممرات أخرى من جديد، وبعد أن كنت أرى بمخيلتي صور وهمية ترعبني في الظلام، أصبحت أداهم الظلام والنور معا دون رفة جفن، شيء ما كان عالق في أعماقي ثم سقط، فهمت سر الرهبة والشك، والدواء لكل هذه العواصف بعد أن أفلتت جميع الأيدي يدي وتمسكت بحبل الله المتين. كان الدرس الأقوى، أن تكتشف لغز القوة والضعف والانكسار والحيرة، كل شيء يحتاج صلابة الإيمان، واحتجت إيماني، فبحسب ما فهمت من الدرس أني سأتعثر من جديد لو لم أبحث عن اتزاني، والإيمان هو الداعم الأقوى في الوجود.

فُتحت لي أبواب كثيرة، وقفت أمامها بازدراء من لا يريد إلا درب واحد، سير باتجاه واحد، وهذا التحكم والوضوح أعادني لمراحل المشاكسة، وكيف كنت أرفض ما لا يتسق معي .. لذلك لا أريد إلا ذلك الباب الذي اخترته بكل إرادتي، باب الله؛ نعم بابه، فلم تعد تغريني الدنيا، فقدت حاسة التذوق لمثل هذه الإغراءات الباهتة، لا يوجد ما يستحق العناء، لماذا سأضحي من أجل الباخرة التي تنقلني ولا أهتم بوجهتي في الضفة الأخرى؟!.

تبدلت نظرتي للحاجات من حولي، بعد أن كانت بديع، جميل،

مذهل، رأيت كُنُّها وعرفت أن القشور قد لا تقول عما بداخلها، وأحيانا تُظهر العكس.

فهمت لأول مرة معنى أن لا تكون مُحاطا إلا بذاتك من جميع الجهات، أن ترتبك من وجود جدار حاجز بينك بينها، أن تحاول هدمه بكل ما أوتيت من قوة، وهذا ما جعلني أفهم ضعفي البشري، وأن الامتلاءات التي تم حشوي بها من زميلات الدراسة، كانت ليس إلا تمهيدا لحصول هذا التصلب الذي احتجت في تلك الفترة هدمه حتى أرى وأستشعر حاجتي لله، لمن يرشدني، ويقيني التغول الداخلي الذي بدأ يكتم أنفاسي، ويسد منافذ النور.

انسكبت كاملة، نزلت دمعة واحدة من عين تريد أن تبصر، تبللت علّ البذرة التي في أعماقي أن تنمو، وسألت الرحمن أن لا يجعل المطر ذلك اليوم ينتهي إلا وهدايتي للحق أول بشرى، ثم دخلت المنزل وأنا ذلك العصفور المبلل بالمطر، والمطأطئ الجناح. والعجيب أنه وقع في نفسي كاليقين أن الله استجاب الدعوات، وبالله أنه استجابها حتى لم أعد أعرفني في نفس الليلة، ليست هذه أنا، فأنا تطربها الموسيقى، وأنا لا تكترث لغير سعادتها، وأنا لا تتحمل هم منتصف الليل والخجل من الله أن تسمع أغنية وهو على نزول يستجيب فيه.

تبدلت كلماتي، كأن اللسان تم تغييره، ولكن لا عجب طالما القلب اغتسل، فشعور الطفولة والخفة صاحبني بشكل لا يُصدق حينما اخترت باب الله، ورغم أني لم أكن مبتهجة بصخب، لكني كنت مرتاحة، شعرت أن هذا القرار رغم صعوبته أهم خطوة وخطة في جدول

مراهقة طائشة، فحلّ الأمان محل الثورة، والسكينة فوق الغضب، والذّكر بدل السخريات اللاذعة، وتهميش الناس.

تنفست الحب بشكل عميق، حينما عرفت الله، كان حبي من النوع المتراكم، فكل يوم كان رصيد جديد بمشاعر أخرى واكتشاف جديد لألطاف لم ألحظها، فتراكم في صدري لدرجة المسؤولية، كان نداء المسؤولية تجاه ديني هو نداء الحب تجاه ربي، أحببته حبًا لو أعلم أن الحياة الباقية ستكون خالية منه لبغضتها، وتمنيت مغادرتها، فكل أحلامي وآمالي ارتبطت بهذا الحب لدرجة أنه أصبح الغاية والوسيلة معا.

حينما تتمحور حياتك حول هدف، تجد في نفسك الرغبة في إتمام المسير ومواصلة الصبر بل والجدوى فما بالك لو تمحورت حول أن يحبك الله، وكيف ستصل لهذا المستوى الرفيع من علاقة العبد بربه، ثم تطأطئ خجلا بهل أنا أستحق؟!.

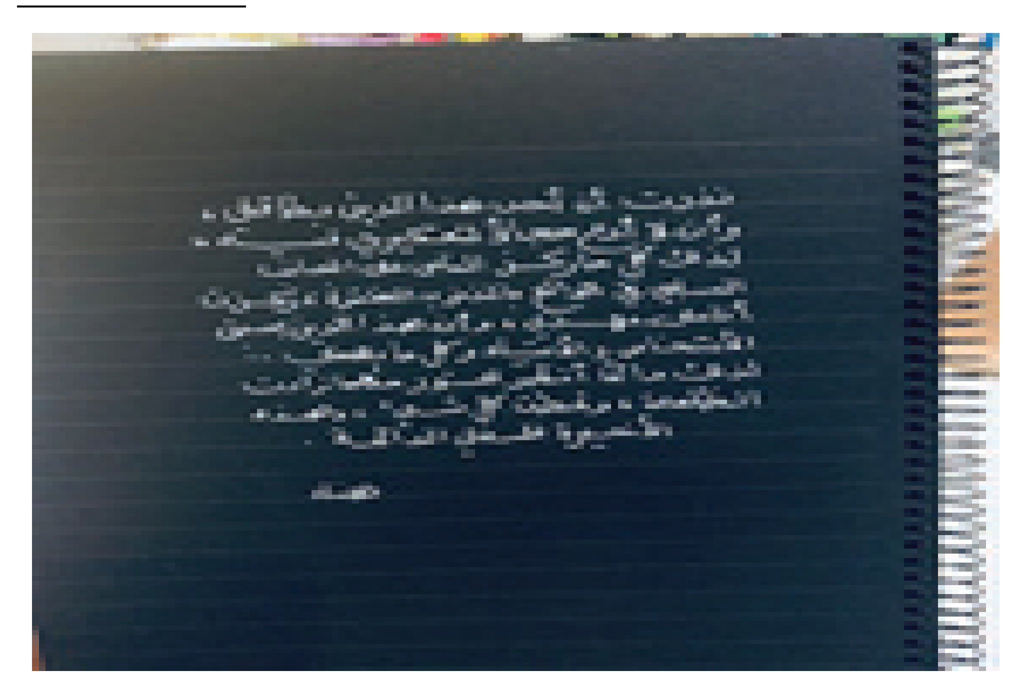
لو سُئلت عن أجمل ما تعلمته على الإطلاق من أيامي المكتظة بالدروس لكان بلا تردد أني تعلمت أن أفلت يدي!. نعم أفلت يدي؛ من الناس والدنيا والأمل فيهم والرجاء منهم والتعلق بهم. أن أقاوم إغراء الظواهر فلا يصرع قلبي شكل أو رمز أو فكرة، أن أفلت يدي وأفرغها حتى من نفسي؛ أن لا أبني في عقلي صور مختزلة، ضيقة، وأتوه فيها وأغرق رغم علمي بأن كل شيء ليس إلا وهم ما عدا وجه الله.

وكم أحياني هذا اليأس وحررني !.



ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون!

24 مارس 2019



نذرت أن أحب هذا الدين بطاقتي، وأن لا أدع مجالا لتعكيري فيه، لذلك كل ما ركز الناس على الجانب السلبي في الواقع بالذنوب المنتشرة، ركزت أنا على عهدي، وأن هذا الدين يسبق الأشخاص والأشياء وكل ما يهمني ..

لذلك دائمًا أنظر للنور مهما زادت الظلمة، وغطت كل شيء، وهذه الأخيرة فلسفتي الدائمة.

بعض القرارات نتخذها ونحن محملين بالأسى، فلعل ذلك الأمل المشع توّلد من أحزاننا قبل سعادتنا.

حينما أقول أن ديني لن أدع مجالًا لتعكيره، فأنا أقول لأحافظ على صفاءه قدر المستطاع، ولأُغّلِب الإيجابيات في التعامل، ولأضع الصور المُفَرّقة في إطارها المتكامل، حتى أرى ما يتوجب رؤيته..

الشخص الذي يفكر في زاد الراحل؛ يستصعب شدة اليأس على محطاته السريعة.

كيف أقف طويلًا على مسيرة أقرب ما تكون للحلم؟!

اسألوا أهل الراحلين، ومن فقدوا عزيزا كان بينهم ..

كيف بكوا بالمدة التي شارفوا فيها على غسل ذكرياته؛ نعم لم ينسوه، ولكنه بَقي عالقًا كقصةٍ مروّية تُشارف الخيال بقدر ابتعادها عن الواقع، وعنهم!

وبمحاولات رسم ملامحه في عقولهم، تفجعها زوبعة النسيان، لتشتت تلاقيها وتمزق اكتمالها.

فمهما تَذكرت ميتًا، لن تراه دائمًا أمام نفسك كصورة حي، وهو قد غادر الحياة ..

وهذه حال الدنيا، لا تدع لنا فرصة للوقوف طويلًا إلا إذا كُنا من هوّاة التجمد!.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾

اختزال لك أيها الإنسان؛ فمهما تَشّكل فيداخلك من مآسي، أتراح، آلام، هموم، تجبرت، تكبرت، ظلمت نفسك، آذيتها، دفعتها للخير أو للشر ..

ستكون كلمة على لسان أحدهم يومًا ما، يبحث عن حقيقتك، ولا

يجدها إلا بحديث الغير عنك، وكأنك لا عشت ولا كنت ولا حتى في يومٍ لهوت.

وعلى قدر دقة فهمنا للحياة؛ يكون تعاطينا مع الدين ..

لذلك خطابات القرآن ركزت على أصحاب العقول؛ فهم أكثر من يعرفون أن المصير واحد، والنتائج مختلفة؛ والبدايات ليست هي النهايات، وسرعة الأنفاس، وسرعة الدقائق، لا يسمحان بالمكوث كثيرًا على نفس الشيء، فيتربصون الأمل سريعًا قبل أن يتعزون باليأس.

ولا يأتي اليأس حلًا لكل شيء؛ فنحن وبمنطلقنا الإيماني نفكر في الدوافع، والمواقف من الأحداث، أكثر من الأحداث عينها والآثار؛ ونربط الفعل الحالي بالخير المُرتقب، فاختباراتنا في الجودة قبل كل شيء.

﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ .

حينما تقول (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا) لا تنسى أن تُغلق أبواب التقلب على قلبك؛ فالدنيا لا تُفصح أحيانا عن حقيقتها، وكثيرًا ما تتنكر حتى على أهل العلم بالدين.

وفي أحايين كثيرة تغدو حية، تعصرهم، وهم يظنون أن عذاباتهم لله وفيه؛ وهي للناس والجاه والظهور والرياء وحُب العَيش ..

بخبرتي القصيرة؛ أعرف أن الجانب الآمن، ليس آمنا في حقيقته الظاهرية، لذلك تحترق أرواحنا على صراعات لا تنتهي، لأننا أصلًا نُبصرها ببصيرة النور.

فأكثر من عانى ويعاني ويُنكل به على مر التاريخ من يحمل الحق

بجوفه -والحق طبيعته متعدية- ويريد أن يزرعه في تربة الناس.

﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ .

هل أسفت على مبادرة إصلاح واحدة؟.

تأكد أن قدر أسفك، بقدر جهلك بجوهره.

فأنت لا تملك العصا السحرية؛ وليست هذه أرض اكتمال، ولا معجزات على الجو العام، ولا نحن مهيئين لحصد النتائج، والدليل على ذلك «قصر أعمارنا».

اعتدنا في الأغلب؛ أن نظن بأنفسنا أكثر مما هي عليه، فيقصص جناحاتنا اليأس، لأنه يقول لنا باستمرار لا طيران هنا.

لأنه يخبرنا بأنا تجاوزنا نقطة التحليق المسموحة.

لأننا لم نفهم أن الألم، لا يعني أن يكون بيننا وبين أخطاء العالم حاجب نفسي يحجز عنا تمام الرؤية للخير والفلاح والصباح وأننا الأعلون دائمًا؛ مهما كان ثقل الظلام!.

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾ .



منوعات

الوقت أنت

28 مارس، 2021



قديما كانت للحظات أبعاد أعمق، تمر الدقيقة بثقلها كاملا، تعطف الساعة الكثير في قلبها، يتنفس المرء بركات الوقت وكأنه البندول والساعة والحائط.

حينما تُدار أموره يدرك أن لليوم ثمن حياة مُنحت له عطية البقاء لإكمال الأمانة، يزرع في الزمن ويحصد وهو كما هو ثابت الجنان والبنان قوي الارتباط بهذا الكون الرحب. فالسماء مظلته والأرض بيته

ومدينته لها ومنها يمتزج ويرفل بالنعيم ..

أكتب عن هذا المبارك وأنا أركض خلف المهام المعطلة في تمام الخامسة صباحا إلا الربع، أشعر أن تفاصيل اليوم حينما زادت عن حدها السابق أصبحت بتوحش كائن غريب يطاردني طوال الوقت، ثم أقف على أطراف العقارب أريد أن آخذ بعض أنفاسي الشاردة من كل هذا السعي ولكنها تبتلعني. لم تعد من أبجديات الحياة رحلة التناغم الهادئة، أن ترتشف إبريقك وأنت تتأمل ذراته المنسكبة في الكوب ثم تبتسم في امتنان، أو تقف على باب بيتك ولا تدخل حتى تفكر بنعمة العودة وأنك نجوت حتى من نفسك في الطريق، أو تنام وتعد الآثام التي ألحقتها بصحيفتك وتنزل عليها قطرات باردة لتطفئها وتحيي قلبك.

الغريب أنك خلف هذه الملاحقة المستمرة لم تعد تشعر أي كائن تم استعبادك، كيف كنت وكيف أصبحت، وماذا تبدل بالتحديد. رغم إدراكك أنك لم تعد أنت بكل ما تحمل من مضامين قديمة عالقة فيك. تمت سرقتك بجدارة، لدرجة أنك أصبحت أسيرا يمضي، مكبلا يبتسم، يضحك ولا يدري لم، وينازع البكاء وهو لا يفهم السبب، وعلى هذه الحيرة بين حالاتك .. تم برمجتك على ألا تشعر بكل ما يحدث.

يتم انتزاعك عن تفاصيلك، كانتزاع الروح من الجسد، يتم تهميش كل ما ينبغي أن تفكر به، يتم السطو على ذكرياتك التي اكتسبتها من أسلافك، وتعتيم الحياة فوق نظارة عينيك حتى لم تعد ترى إلا ظلالا معبئة وخيالات كأنها سراب لا يروي من عطش.

الفطين قبل غيره لا ينتبه كم جرفته الأشياء، وهو على قاربه

يحركه الموج يمنة ويسرة، يريد أن يصل لكنه لا يتجاوز الدوران المركزي، نفس الانشغال بالدوائر البسيطة جدا تمنعه الالتفات إلى الوجهة المقابلة.

لم يعد شيء في محله الطبيعي، الملهيات تشتت الانتباه، الصور تتداخل، العبارات يتم تدويرها بشكلٍ اكتساحي وكأنها رياح عذاب القرون الأولى. حتى وإن تشبثت بأقصى قوتك، لابد أن يأخذ غضب الريح جزء منك.

حينما كان الإنسان يفكر في كل خطوة، كان يستنتج النهاية لأنه كان حاضرا بكل وعيه في البداية، أما الآن فلا يستحضرني في هذه اللحظة إلا قول النبي ﷺ وهو قول بعيد في أعماقه وتعريته للواقع الآتي «ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام» هو ليس مجترئ على الله فحسب بل مشتت القوى، خائر العرى، تم جرفه لضفاف بعيدة ونزعه عن ذاته وبداياته من حيث لم يفكر. وقوله ﷺ «يتقارب الزمان ويظهر الجهل ويقل العلم» فرغم تقارب الزمان وسهولة النقل بكل صوره ستجد أن النتيجة عكسية بخصوص ما يُتَوقّع من تسهيل كل شيء، فأن يُظَن أن الدين سيكون أكبر والعلم أكثر، لا يكون كذلك لأن الذات تم تجريفها بهذا التقارب وتعويمها وتكرارها بطبع الذوات فيها فتوهن وتستسلم لواقع الضعف الضاغط والجهل الفاشي، ويصبح الجو العام جو تفلت وانهيار عزائم. ولا أشك في أن نزع بركة الوقت رغم تذليل كل شيء في هذا الزمان ليس إلا دليل على أن القدرة والألوهية لله، وهذا دليل برهاني ملاحظ، فرغم زيادة قوة الإنسان لم يتغلب على نفسه، ورغم تأديته

لذاته بقي عاجزا أشد العجز عن الكسب في يومه بقدر ما تمكن إنسان الأمس رغم أنه لم تكن بيده أي وسيلة حضارية كما الأخير. تعرية الإنسان مما يملك ووقوفه بجانب العجز وضياع الأمور عن سيطرته سمة أزمنة الفتنة، وسمة شهوده التغيرات الكبرى في الحياة الدنيا، فهو وإن حرص على اجتناب كل شيء والبعد عن مسببات الفتن سيناله هذا التشتيت رغما عنه، الذي لم يدع بيتا إلا دخله، ووسائل العزل عن الذات ليست في هاتف محمول أو غيره، بل في أدمغة تمت تهيئتها لقبول فرص جديدة تعتمد في كل شيء على الأجهزة وتخديرها.

عند التأمل، رغم أنا نملك الكثير إلا أن الضياع سمة لا تنفك عن اللحظات، مفقودة كثير من المعاني فيها، بعضها لم يرتدي انتماءه الصلب، والآخر لا يلامس الرضا الداخلي كما يجب، برود مصاحب، وأحيانا التفكير في لا شيء فقط للبحث عن ذلك المفقود المموه، السعادة لم تعد بكامل عفويتها، والسكينة ناقصة بركتها، وشيء ما يركل الأحداث لتبدو وكأنها غير مكتملة ..

فرق بين أن تركب قطار رحلتك وتسير فيه بهدوء وتراقب الطبيعة وترصد جماليات الخارج مبتسما مشرق المحيا تنجز واجباتك فيه على مهل إلى أن تصل وأن تنتقل من عربة إلى أخرى تسابق العجلة والأنفاس حتى لا تفوتك طائرتك التي توشك أن تقلع، فما بالك لو كانت حياتك تنقلات مستعجلة وأهم ما فيها تلتقطه وأنت لا تدركه بقواك ولا تستطيع.

نفقد الدهشة والتروي وجانب كبير من اللذة، لدرجة أن النعم لم تعد تحرك فينا شعور الامتنان، وكأنها استحقاقات تعودنا أن تتوفر،

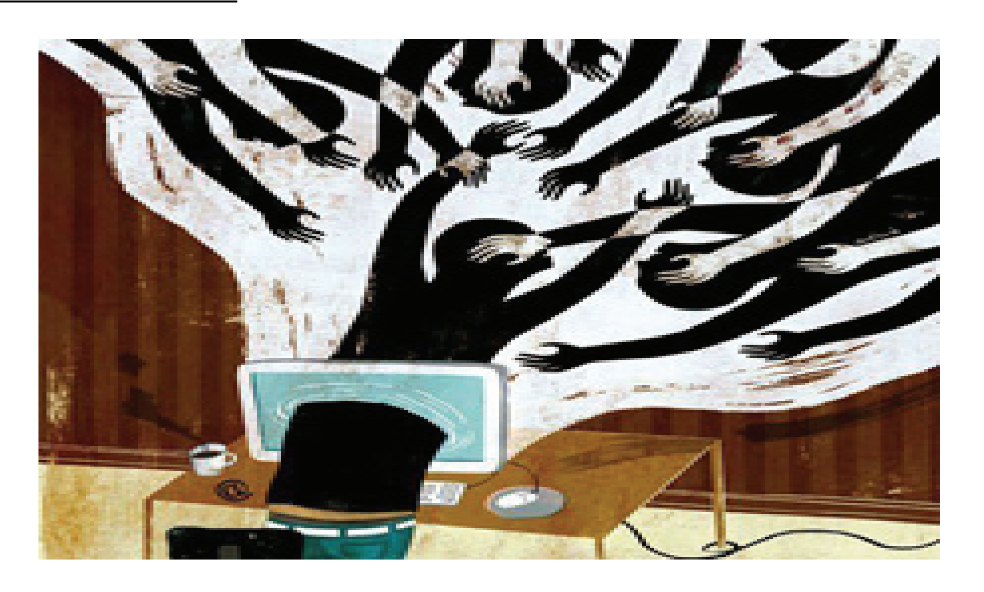
كيف، متى، لم، لا توجد مساحة في عقولنا لمثل هذه النقوش الزائدة، فكل ما سوى المحسوسات سيسقط عن أمزجتنا اللزجة والتي فقدت ثلاثة أرباع الصبر. أصبح التحدي الأكبر أن تحاول أن تعرف من أنت، ولماذا أنت، وتراقب تدبير الله لدقائق أيامك، تلمح الرحمة، تتوجه بقلب شاكر لتقول يا رحمن هبني المزيد فأنا أتقلب في ألطافك، وأنت قلت ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. هبني المزيد لأكون حاضرا بقلبي وفكري أثناء حضور الجسد وشهادة الجسد، ألا أفقد ذاتي وهي تلهث في المحطات والتنقلات وأرتبط بصورة الأصل وغايتها.

«الوقت صناعة الهادئين وعذاب العجولين ومسألة التائهين .. الوقت رفاهية المطمئنين ورعب المنتظرين وفلسفة الواصلين .. الوقت أعذب أمنيات الوصال وأصعب بوابات الفراق .. الوقت أنت حينما تملك حالك، والوقت غيرك، حينما تنتظر أمرك من غيرِك .. والوقت هو الوقت .. عداد العمر السائر نحونا قُدُمًا مهما استخفينا منه أو استبسلنا شُجعانا ساعةَ لقياه» . -راقية جلال.



استقطابات ناعمة

2 ضبراير، 2021



في غفلة عن أمرها، سُئلت عنها كثيرا في موقع القراءة، وصلتني رسائل على الخاص، تشتعل بالخوف والحذر، ونبضات قلقة أتلمس صوتها بين الكلمات. «هناء هل تعرفين عنها شيئا؟» أجيب: «لا أعلم إلا ما تعلمون، ما سبب ظنكم أني قد أعرف؟!» «لا شيء؛ ظننا لأنكم نفس الجنسية، وصداقتكم واضحة على الموقع، فقلنا ربما تعرفينها بشكل خاص!» بعد برهة تفكير .. «نعم تواصلنا قبل اختفائها عن الموقع، لكن ليس عندي جديد عنها، لو عرفت أي شيء أخبرتكم بإذن الله».

نعود لفترة قبل الاختفاء لأخبركم عن هذه القارئة الصغيرة النهمة، صحيح أنها لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها -في ذلك

الوقت- ولكنها اشتهرت في موقع القراءة بالذكاء، وقوة الملكات، فقد كانت تقرأ كتبا لم يقرأها إنسان في العشرين، بل وتتمها بوقت قياسي وتكتب عنها برشاقة وخفة فريدة.

برزت بشدة اهتمامها الديني وبالكتب الفكرية والثقافية المتنوعة، وكان في ردودها جانب من الاتزان وقوة المنطق.

لم يُشعرها الأصدقاء -هناك- بأنها صغيرة، بل ربما هي لم تشعرهم بهذا، لجمال حضورها وشدة تأثيره.

كانت تكتب المراجعات، وتعلق، وتناقش وفي كلما تفعل تجانس شديد وترابط في التعبير والتفكير ..

لو أردت أن تشك بأن شخص ما سيضل، لنتشك في هذه الفتاة، فكيف لعقل كهذا أن يأتيه الباطل ولا يعرفه، وثقافة ممتازة تجاوزت فيها الثلاث مئة كتاب أن تتهشم أمامه؟! ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، سبحانه.

في فترة تفاعلي وتفاعلها على الموقع، حصل أمر شتتني قليلا؛ وهو أن أحدهم أرسل رسالة خاصة، يرجو مني دخول مجموعة ثقافية، تناسب من هم في فكري على حد زعمه!

فتعللت بأني لا أتعامل مع التلقرام، وأن التطبيق جديد علي ولم أستخدمه بعد، ومضيت ..

ولكن الفضول دفعني مرة أخرى لأرى معطيات هذه المجموعة، وأحكم بنفسي ..

دخلت المجموعة ورأيت أمورا لم أرها من قبل، تعجبت كثيرا من

تطاول أفرادها على الله ورسوله، وكمية السب والشتم للدين الإسلامي، بل صعقت تلك الفترة ودخلت في أزمة نفسية لا أدخل في مثلها إلا قليل.

كنت أصحو وأنام وعقلي مشغول بهذه المجموعة والكلام الذي يدور فيها، مشغول لدرجة أني أخرج منها خوفا على ديني، ثم أقرر الدخول لأرى ماذا حصل فيها من جديد ..

كانت فترة المجموعة من فترات التحول الجادة في حياتي، لأني من ضمن الأشخاص الذين قد يحركهم الاستفزاز إلى قرار صارم ومصيري، وهذا ما فعلته معي حقا.

بداية؛ مثقفتنا الصغيرة وجدتها صدفة في هذه المجموعة، اندهشت، وقلت في نفسي: لا زالت صغيرة على مثل هذا الكلام المرعب، كيف ستتخلص من تبعاته؟!.

دخلت لها في الخاص وقلت ما الذي جاء بك إلى هنا هل أنت مجنونة؟! وأعقبت ممازحة: لو رأيتك هنا مرة أخرى أخبرت والدك.

ردت علي بأنها فقط تقرأ وترد إذا لزم الأمر ولا شيء يستلزم خوفي عليها.

لم يرحني هذا ولكني على الأقل حاولت ونصحت، وكنت صادقة في توعيتها بالخطر.

كان نشاطنا في موقع القراءة كما هو، وهي كماهي لم تتغير -في تلك الأثناء.

وبالصدفة لاحظت أن نفس الشخص الذي دعاني للمجموعة

موجود عندها في حسابها التويتري، يعني أن دخولها لا يختلف في مسببه عن دخولي، وأن نفس الشخص يحاول الاستقطاب باستمرار..

كانت أثناء وجودي في المجموعة تناقش وتذب عن الدين وترد وتفند.

لم يطل بقائي في المجموعة، ربما أخذت مني شهر أو أقل قبل خروجي النهائي خوفا على ديني، والتي خرجت منها محملة بقرارات صارمة تخص حياتي.

أما هي فلم أعد أعرف عنها فيما يخص المجموعة -رغم أنها استمرت معنا في موقع الكتب قليلا- ثم انقطعت انقطاعها النهائي والمريب ..

والذي كان انقطاع تام ومن كل البرامج حتى شككنا أنه أصابها سوء، وقلق عليها الكثير لنفس السبب.

مضى على المجموعة ما يقارب عام، كنت طوال المدة أحاول الاجتهاد في العلم الشرعي وترك الكتب التافهة والالتفات للمهم منها، وفي يوم ما دخل حساب جديد على موقع القراءة باسمها يحمل صورة تختلف عن ذوقها الذي أعرفه، صحيح أن الصورة كانت عادية، لكني لم أقرأ فيها نفس الطهر والبراءة السابقة، وشعور قلبي راودني أنها اختلفت كثيرا عن السابق.

دخلت بحماس وحيتنا وكانت سعيدة جدا بعودتها، ولكني لم أفرح لا أدري لماذا، أشعر أنها تغيرت للأسوأ وتخفي ذلك، قلبي لم يطمئن، وسألت صديقتي المقربة في الموقع وقالت لي حتى أنا يا هناء أشعر

أنها تغيرت لكن لا نحكم حتى نتأكد، وحاولي أن تفهمي منها ذلك، فهي دخلت الموقع ولم تضف أي كتاب ديني قرأته من قبل، قلت لها صحيح، وهذا ما لاحظته!

في ذلك الوقت قَرَأَت كتاب إلحادي وأعطته تقييم مرتفع، ولمحت في المراجعة أنه لولا الأفهام لمنحته أرفع من هذا!.

اندهشت جدا، كيف لها أن تشيد بكتاب كهذا بهذه الوقاحة، فعلقت عندها على المراجعة وفي الخاص، ولكن الصدمة أنها صرحت لي بأنها لم تعد كما كانت، تؤمن بما نؤمن!

وصدمني أكثر -بعد شكها بالله- أنها نفس الشخص الذي كان يفاخر بأنه يسكن جوار النبي ﷺ في مدينته!!

كانت أصعب لحظاتي أنا وليس هي، لأني شعرت بمسؤولية مضاعفة تجاه ديني وتجاه من هم مثلها ..

تلبسني القلق والهم بشكل كامل، ومضيت من عندها وأنا أحترق من الداخل ليس عليها فحسب بل على كل من كان سببا في تلويث قلب مسلم.

كنت أعد الخطوات خطوة خطوة، كيف سأتقدم للأمام، ماذا أفعل، ما هي خططي، بماذا سأضحي، وماذا سأختار...

لولا أن الله ثبتني لكان حزني يئسا من تغيير أيشيء، ولكنه دعمني بقوة الأمل، فكنت أرى النجاة في مضاعفة الجهود والتركيز على نقاط القوة.

درست العلم الشرعي بحرقة، كان قلبي لا يهدأ وللأسف لازال لا

يهدأ ولا أظنه سيهدأ وأنا أرى أمثالها يتخطفهم الضلال من حولي ..

- كيف لاستقطاب ضعيف وفاشل أن يؤتي ثماره في شبابنا ويقلب كفة الإيمان الصلب؟!، كيف لجنود السوء أن يكون لديهم إصرار مضاعف؟!.

- كثير ممن نراهم تبدلوا لم يكن ذلك بشكل عشوائي وعلى كامل الحرية والاختيار، هنا كمن يعمل في الظلام، ويضغط في السر، ويجند ويخلص لقضيته ويكافح ويقدم راحته ووقته قرابين.

- شباب الأمة مسؤوليتنا نحن، أهل بيتك أمانتك، جارك إذا أخطأ تذكيره مهمتك، زميلك، معلمك، شخص عابر لا تعرفه ..

- كن لهؤلاء القوة، مهما عصفت بك وبهم الدنيا، ولا تكن خادما للأعداء بتوانيك السلبي، وشعورك بقلة اليد، مهما وصل ضعفك.

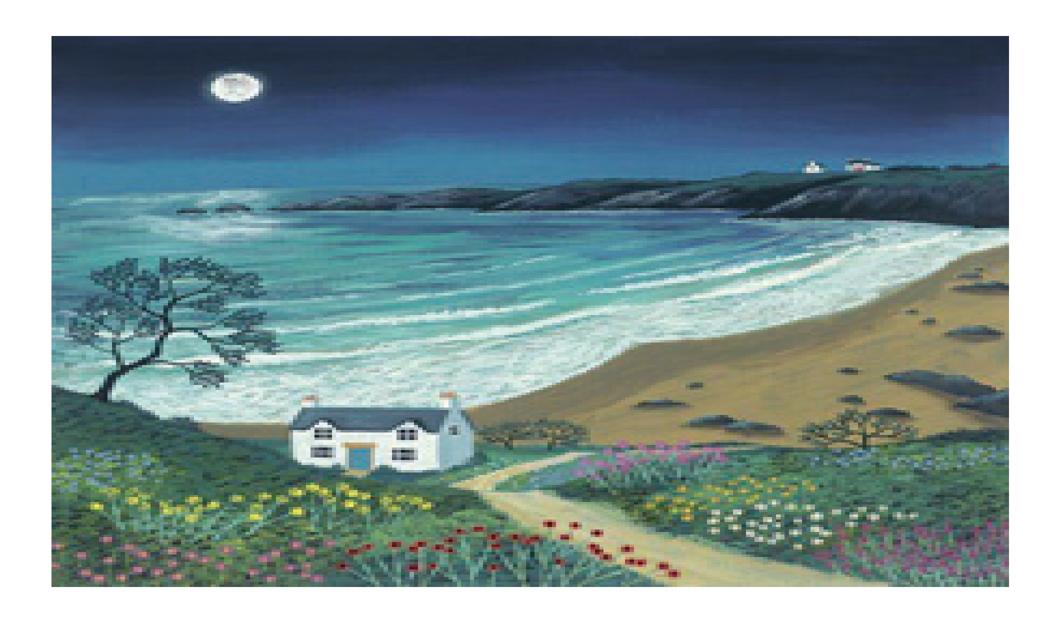
- نريد استقطابا عكسيا، استقطابا ينتشل شبابنا من أمام ذئاب الفكر، وخونة الدين، استقطابا علميا توعويا، يعيد لهذه الأمة تكاتفها وقوتها في الحق.

- استقطابا لبرامج الخير، وتجمعاته، ونوافذه، يصنع ويبني في عقولنا، ويجعلنا نتماسك لنكون الدروع الحية دون إسلامنا، ومبادئه التي زرعت فينا.



صخب المدينة

2 فبراير، 2021



تحدق في النافذة، كأنها تنتظر خبر ينتشلها من سكون الغرفة، أو ريح تحرك الأوراق التي تنظر إليها فيطير معها صمت التفكير والتحديق ..

شيء ما يقول لها لفي وشاحك عليك جيدا واخرجي لعل السير ليلا يشتت عقلك، وآخر يتشبث بها لأن تبقى في هذا السكون الشاحب.

قلبها يرف مع كل دقة من دقات عقارب الساعة، وفي النظر لعينيها -لأول وهلة- يتبادر لذهنك أنها نائمة بعينين مفتوحتين.

اعتادت صمت القرى، والإنصات لنبضات الطرق الثقيلة، وفي اعتيادها حياة أخرى هامشية روتينها هذه طقوسي، وليست طقوس

القرية فحسب.

حينما ينغزها الصوت في أذنها اليمنى تعرف أنه لن يكون إلا ورقة هزتها رياح، أو عصفور هزه طرب، أو السخانة وهي تسخن الماء، أو إبريق شاي، أو ولدها الوحيد عائد ليتكلم بخفة وشوق.

كل يوم هو فرصة بالنسبة لها للتفكير من جديد في أحوال أهالي القرية وغزل الصوف للمحتاج، أو البحث عن حل لمن وقع في فخاخ المشاكل.

منحها الصمت سكينة يلفها شموخ القرى ووحدتها، فتراها من بعيد كجبل شامخ، وما أن تقترب حتى تكتشف أنها شجرة عتيقة، عريقة.

في هذا التأني والخشوع الذي يميزها، قصص محبوكة بسواد الليل وتجاعيد مظلمة تكشفها أول إشراقة للشمس وتشي عن تفاصيلها.

وهي تعرف الصباح كما يعرفها وتدل فيه الحياة باعتياديتها وتجددها كل يوم.

كم خيطت بأناملها وهي تتمتم بكلمات هادئة تعبر عن امتنانها لكل ما في الكون والكوخ، وتشكر الوهاب على كل هبة، أحيانا بشكل مفصل وأخرى مُجمل.

لا يتفوق على تركيزها إلا من يمتلك قدرة خارقة -غير موجودة- في رؤية ذرات الهواء والماء، لأنها في هذا الجو تجيد التأمل مع امتلاكها لذاكرة صلبة، فتلتقط ببصرها وتسجل في عقلها وتؤرشف ما سجلت حتى لتتذكر من شاهدته لمرة واحدة ولو لأكثر من سنة.

لا يشبهها الخريف ولا الشتاء هي صيفية سمراء اخشوشنت مع تدفق الحياة المشتعل بين يديها، واعتمادها المستمر على قدميها دون أدنى معين.

حينما تتخيل ولو لخيال أن مثلها سوف يعيش في مدينة من مدن اليوم يضطرب وجدانك ويهتز وتشعر بوخز في ضميرك رغم أنك لم تتسبب فينقلها حتى فيه، ولكن لشدة جنون الفكرة تكترث لها كواقع شديد المرارة.

كم لوثت المدن بصخبها سكينتنا الأولى ودمرت هذا الخشوع وسرقت أجمل لحظاتنا الهادئة المرحة والبعيدة عن ضوضاء المترفين، المدللين.

فقدنا هذه الروح التي تكترث لكل شيء وتعيش كأنها تمسك ذرات الغبار المتطايرة وتعدها عدا، غاب الفرح القديم واللذة الشعبية البسيطة، مع أعاصير المدنية الغربية العاتية التي تقتلع كل ما يقف في وجهها حتى لو لم يكن معارضا بل يريد منها أن تكون -فقط- أبطأ.

هل تعرف المدينة، معاني القرى وتمتمات الشكر الناعمة في أفواههم وتناغمهم معكل شيء في هذه الطبيعة الخصبة كقلوبهم؟!

هل تعرف أننا كلما تقدمنا هنا أكثر شعرنا بقوة التعقيد لا راحة التقريب والتسهيل، وأننا نعاني من أمراض قد يكون أكثرها من جراء الصخب؟!.



عن تجربتي في موقع القودريدز أتحدث...

1 مايو 2019



عن تجربتي في موقع القودريدز أتحدث ...

في عام كان لي حضور في الموقع وتفاعل ثقافي، أو بالأصح حماس ثقافي شديد، فقد انسجمت مع الموقع بعد فهم نظامه، واكتفيت به عن كل التطبيقات، إلى درجة أني كنت أنهي بعض الروايات الطويلة نوعًا ما أو المتوسطة الحجم في يوم واحد.

كانت بداياتي شديدة القوة، والنشاط، وأنا أصلًا متفاعلة الآن وأنا على برامج عدة، فكيف لو كان همي برنامج واحد فقط!

كنت اقتبس طوال الوقت؛ في الصباح، العصر، المساء، الفجر، وكأني قارئ الكتروني، هههههه

حتى أحيانًا أخجل من كثرة الاقتباسات فأختصر بعضها وأحذف بعضها.

شعور غريب لا أدري ما كنه، لدرجة أني أفكر لو سافرت أو انشغلت عن الكتب من سيرعى صفحتي.

الغريب .. أن شعوري الأساسي كمن يقف أمام طاولة طعام فيها ما لذ وطاب، وهو يريد أن يتذوق كل شيء، ويجرب كل نوع .. ويتلذذ بكل طبق .. وهذا سر هوسي!.

كنت أقرأ في كل مكان لأني أريد تجاوز تحدياتي، أقرأ في السيارة، الطيارة، المنزل، خارج المنزل، وأنا مريضة، وأنا تعيسة، وأنا سعيدة، وأنا متعبة، عندي أشخاص، لوحدي، على جبل، على تل، فوق السرير، على الكرسي، في مكاني المخصص، في مكان آخر.. .أي شيء المهم أن أنتهي من تحدياتي، وأتذوق كل الكتب.

لم تكن كل الكتب شرعية، ولكن يغلب عليها الجانب الديني، فهو قضية القضايا عندي، بل جوهر الوجود والتأمل والمناقشة والاختلاف.

فأنا أقرأ لي، ولهم؛ لأني أحيانًا أحتاج أن أبرهن إيماني في نفسي، وأحتاج أكثر لأن أبرهن للغير لماذا أنا بهذا الشكل وعلى أي أساس اعتمدت.

حصل لي ظرف على الموقع في عام واختفت صفحتي الأولى من عليه، وانشغلت عنه بتويتر بعد إهمال له، وأصبحت أتفاعل في تويتر

نصف تفاعل ثقافي، مقارنة بالنار المشتعلة هناك، فقد أتيت هنا مجرد جمرة فيها بقايا اشتعال ووميض حماس مطفي.

مع الوقت لم يعجبني هذا التراخي على تويتر، وفتور العزيمة -رغم أني أعتبر نشيطة كذلك- لذلك قررت العودة إلى القودريدز مرة أخرى، كي أعود كما كنت بنفس القوة والعشق للكتب.

عدت عام في شهر أكتوبر، ومع هذه العودة تغيرت أمور عدة، أولها أني لم أتحمس كثيرًا لإضافة الأصدقاء هناك، ولا الكتب السابقة، كنت أريد التدريج على نفسي لأني خسرت جلّ مجهوداتي .. فشعرت أن بالتدرج تكون تعزيتي لما فقدت، وأن حضوري الهادئ أنفع لإعادة ما فات.

صادفت هذه المرة اختلافات كثيرة، واصدمت بشجارات ثقافية عديدة أساسها ديني، معتقدي ..

لذلك من كثرتها حاولت التخفيف من التعليق على بعض الأمور كي يسلم لي بالي، ولكن لا فائدة، غالبًا ما تتعقد الأمور.

على الجانب السلبي تعبت من كثرة الخلافات، وخاصة أن بعض القرآء يريد من الموقع أن يكون الجو المنسحب الهادئ والودي، كالركن الآمن من ضوضاء العالم، ويكره أن تُنتزع منه سكينته، لذلك يستاء كثيرًا، أما الآخر فيقف متفرجًا، وغيرهم قد يشارك، أما القليل فهو يحب هذه الإثارة المشحونة.

على الجانب الشخصي اكتشفت فيما بعد أن لهذه الخلافات أثر إيجابي قوي في تشكيلي، فهي نعم أزعجتني مبدئيًا، ولكنها قَوّت لدي

مهارة البحث، والتنقيب، وسرعة البديهة، والنقد، بل حتى ساعدتني أن أفهم كثير من الخلفيات، لكثير من الأفكار والعقول.

صادفت الكثير من المواقف، منها موقف مع أصغر قارئة سعودية على الموقع، أو هكذا يعتبرها الكل، لأنها بدأت صغيرة ولكن بقدرات القرآء الكبار، لسرعتها واستيعابها الفريد.

لقائي بها كان مع الصفحة الجديدة لي، فقد رأيت الكل يحتفي بذكائها وقوة حضورها، فاكتشفتها في ذلك الحين.

الشاهد، أني راقبت تحولات هذه القارئة والتي كانت سريعة جدًا، ومخيفة جدًا.

فقد كانت في كل فترة بروح أخرى حتى استقرت على منطق آلمني جدًا.

ولا أبالغ أنني تألمت لها بشدة لدرجة أني شعرت بالخطر على نفسي وباقي الفتيات بشكل مضاعف وكأنها كانت السبب بعد الله في تأجيلي للأدب وتفريغ وقتي للشريعة فقط، بعد أن كان دراسة شخصية وبحث شخصي بدأ معي من مراحل مبكرة في حياتي.

ربما كانت الصدمة لي لأني عرفتها في الموقع، وشاهدت بأم عيني ذكائها في استشعار الأمور الدينية.

لذلك كنت مستبعدة كثيرًا انتكاسها عن الحق، لأنها كانت قوية بما يكفي لفهمه، وعمر عام أو يؤهلها لأن ترسو عليه بعد أن بدأت بعمر مبكر في محاولة تعلمه وفهمه.

ولكن ليس هكذا تكون الأمور!، هناك عوامل عدة، قد تغير من

الإنسان حتى لو كان من أذكى الناس .. لذلك خفت كثيرًا على نفسي لأن الثقافة والكتب وحدها، ليست كل شيء، وكنت مدركة ذلك تمام الإدراك!.

فتخليت عن التسلية، وخففت من القصص، والشعر الحديث التافه، والكتب الفارغة، وقلت أنا الآن مسؤولة عن نفسي .. وعن غيري.

كيف لي أن أتلذذ بالألعاب الالكترونية، والأفلام، وقصص الأدب، ومثل هذه البنت كُثر، على الأقل لا أضيع وقتي في القشور الثقافية، واكتفي من كل سطح معرفي ..

هذه المكملات فيما بعد!.

ومنذ ذلك الحين وأنا أتعلم بشكل منتظم حتى لا تفقدني الأمة كما فقدت غيري، على أقل أريد أن أكون نبيلة في هذا الجانب فقط!.

ومع أني أتعلم الشريعة منذ مدة، لكن في العامين الأخيرة حاولت الانتظام.

في الفترة الأخيرة؛ مع دخولي للتلقرام، وانشغالي ببعض الأمور، واهتمامي بالانتظام التعليمي، أصبح حضوري في الموقع كشمس الشتاء، أشعتها حاضرة ولكن لا تدفئ، نصف غياب، ونصف حضور ..

وهذا حال الدنيا، لابد أن نتغير في كل مرحلة، فالثبات ليس سنة بشرية.

ولكني تعلمت من الموقع كثيرًا، ولو سُئلت حصر ما تعلمت فيه لن أستطع الحصر، يكفي أني اكتشفت نفسي من خلاله، وعرفت الوجهة الصائبة أين ينبغي أن تكون، وأن مرحلة التذوق المعرفي مرحلة

مغرية، ولكنها على مر السنوات ستكون ركيكة هشة، لو لم يكن لها أساس بحثي، موضوعي أو انتظام منهجي دقيق وفعال.

علينا أن نتعلم رؤية الجوانب المشرقة من كل شيء، كما نتعلم العلم نفسه، فالإيجابية تعطي قوة في العقل والهمة، وتجعلنا في موضع القوة دائما..



لا تنسى، وقتك ثروة!



كان بإمكاني أن أكون أفضل بكثير مما أنا عليه، لو كنت استغليت دقائقي، وساعاتي المهدورة.

نحن كائنات «الوقت»، ولن يفهم هذا من يظن أن الوقت عدو له، فيحاربه ليل نهار، بحجة أنه ضحية الملل، والفراغ، والكراهية للعمل.

حارب أفكارك السلبية، حارب ضعفك، وتوانيك، حارب الكسل، وقلة الصبر، والخور مع أول محاولة، حارب نقاط ضعفك، وأسباب

فشلك، ودع الوقت في شأنه، ولما خُلق له، فما هو معك إلا دفتر رحلة وأنت معك القلم لتكتب فيه، فلا تمزق أوراقه عبثًا.

كم ساقت لنا الأقدار من فرص، وأدرنا لها الظهر فقط لأننا نراها أتت في الوقت غير المناسب!.

ثم ماذا، متى هو وقت المناسب؟!

كم ضيعت من وقت مناسب في حياتك، والآن هو غير مناسب؟!

عجيب أنت يا إنسان!.

يستولي علينا هاجس العمر والسنوات، ولكنا اعتدنا أن نقلق بدل أن نُفكك!.

فكك يومك، راقب ساعاته، وثوانيه، سجل لديك، لدي هم يفزعني تجاه مضي العمر بلا فائدة، وأنا الآن أبدأ عقد الصلح مع أول دقيقة.

أيتها الدقيقة هل ترحبي بي؟، وتدعينا نتجه جميعًا إلى الأمام، بدل أن أحاربك وأقتلك ظلمًا؟.

لن يفهم لغة الحوار مع الوقت، من اعتاد أن يصم أذنيه عن سماع النفع من أي لغة، لذلك تجده لا يرحم أيامه، ويذبحها قربانًا لملذات فانية.

السؤال الأزلي ...

ثم ماذا؟!.

ألا يطرأ على بالك أن الدقيقة تمزق نفسها ذهابًا بلا عودة، وأنك دم ولحم وروح وثواني، ولن تزيد ثانية من ثوانيك حتى لو قدمت في

سبيلها كنوز الدنيا وأموالها.

الغريب أنك زاهد بهذه الثروة الآن، وهي الغنى الحقيقي لا غنى الأموال والنعيم الزائل، والأغرب أنك لا تدري أنك غني بوقتك من الأساس!.

استودع في بنك الله ثوانيك، رّحِل معها العمل الذي يجعلك لا تندم في الوقت الضائع، فكر كثيرًا في المستقبل ولا تقل، مضى ما مضى، ولن أغير شيء بعد أن اعتدت على استقبال المسرات وحدها، وقسى جسدي عن الجهد والمحاولة ..

بيدك مفاتيح عدة، جربها الآن!.



لهاث ..

في التأمل في حال الناس؛ تشعر بوجود فجوة انعزالية عن الواقع، كثير منهم وخاصة من لديه القدرة المالية، يميل إلى الفردانية وتضخيم الأنا، مع الانفصال عن القضايا الكبرى برفاهيته والترويج لها على أنها مجرد حياة خاصة، وإذا ناقشته عن واقعه ..

قال ما الذي بيدي؟، ما علاقتي بهموم الناس؟، هل يلزمني التضحية برفاهيتي لتُحل مشاكل العالم؟.

من الناحية العملية امكانياتك أضعف من التغيير الكبير لأن التغيير ليس بالمادة وحدها، ولكن خللك يكمن أولًا في الشعور، أنت بالأساس لم تشعر بهموم إخوانك، فهان على نفسك الاستعراض برفاهيتك حتى أمام من تزهق نفسه لضيق اليد!.

لا تفعل شيء ولكن على الأقل كن صاحب قلب!.

أحوالنا في العالم تدمي الروح، همومنا، ذلنا، هواننا على أهل الكفر، وكثرة الملهيات والمعاصي والمنكرات وتفشي التهاون والتقصير وظهور الإلحاد ...

كل هذا لم يسبب قشعريرة لجلدك المُنّعم، ولا ضَيّق صدرك الخالي، وعقلك المرتاح؟!.

على الأقل لا تستعرض!

لا تفاخر!

خفف من حدة أنانيتك، والتفت يمينًا أو شمالًا، ترى الأعين

الدمعى والأفئدة الثكلى، والنفوس المنغلقة على مثل فتحات الإبر.

توقف قليلًا،

ركز قليلًا،

كن صاحب مبدأ، إذا حرمك الواقع عن أن تكون صاحب فعل وتأثيرا!.

من الذي حصنك عن كوارث العالم؟!

أليس الذي حصنك عنها بقادرٍ على أن يُشقيك، ويجعلك في ميزان الضعف والانكسار.

خفف من حدة أنانيتك، أخفض صوت المال الذي يزن في رأسك على كل شيء، وفكر قبلها في القيمة، والمعنى، والغاية.

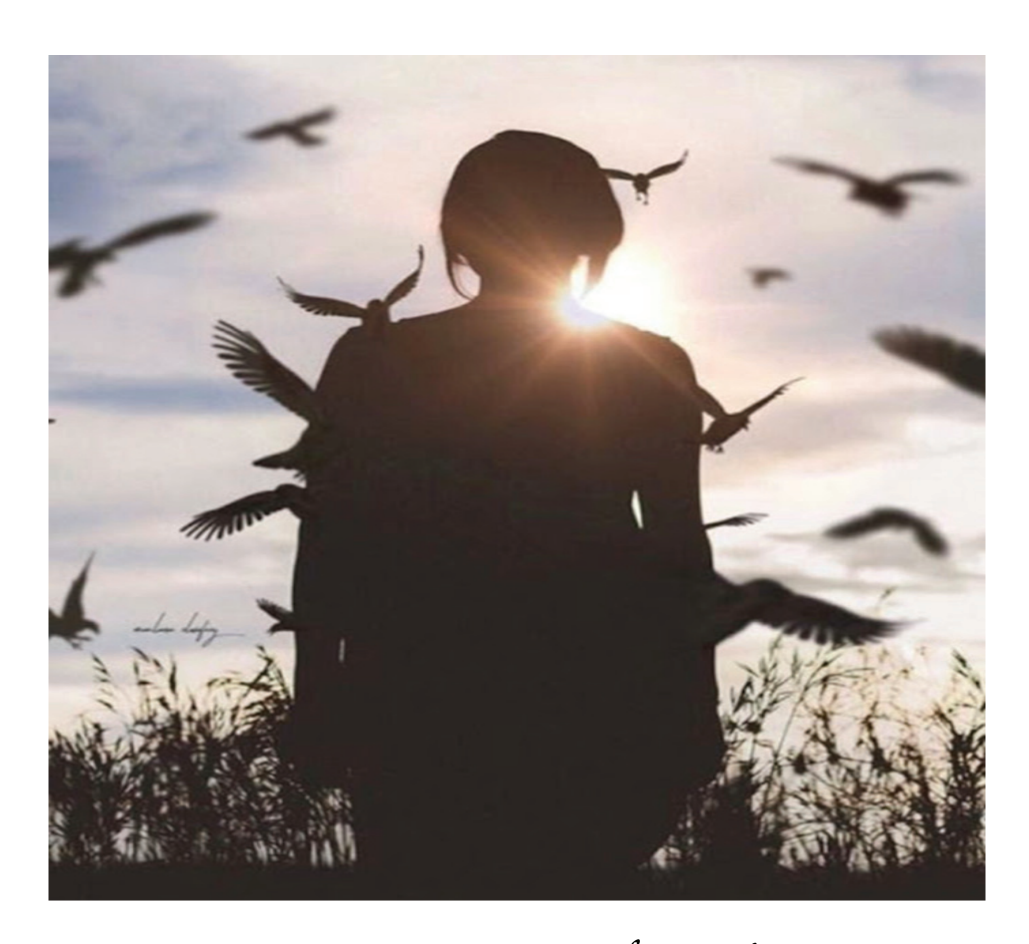
وإلى أين تقودك روحك المدللة، وماذا قدمت للحياة الحقيقية؟.

لسنا كاملين، ولكن إذا ابتلينا بالذنوب، تطهرنا بالهموم والنوايا، ورفعنا الأعين لما بعد ذلك، وليس إلى هذا وذاك والكثير من الرغبات التي لا تنتهي.

والصحيح أنها لهاث مستمر .. لن تُشبع ابن آدم إلا فقرًا، ولن تغنيه نفسًا مهما هرول وتوحش خلفها.



حواجز



ليس ذنبك أنك لا تُرى بدقة؛ لا يفهمون زواياك الروحية، والكلمات المختبئة بعيدًا عن عالم الرؤية المرئي، وربما لا يرونك أكثر من صورة متحركة لا يعرفون عنها سوى الظاهر لهم فحسب؛ بل قد يتفاجؤون لأي ردة فعل أو عبارة تخرج منك؛ حتى ليظنون بالجدار الذي خلفك أنه نطق ويستبعدونها عن لسانك.

ليس من خطاياك أن العالم لا يُقدّر كينونتك، يخترق حواجزك،

يراك كما أنت حقًا، لا أقصر ولا أطول، لا أصغر ولا أكبر، لا أكثر تعقيدًا من بساطتك، أو أقل بساطة من تعقيداتك الخفية، ورؤيتك النفاذة المتجاوزة للمواد والتراكيب الحسية.

هل يحتاج الأمر إلى ألف عدسة مكبرة، حتى تُرى بالعين المجردة؟، أم أنك كبيرٌ كفاية لدرجة أنك لا تُرى كاملًا؟، أم يوجد فارق في التوقيت بين ايقاعك وسرعة تناغمك مع الدنيا، وحصول الاستيعاب لك ككل، أو بالقليل بعضك؟.

السؤال المتجدد، والمتبادر للذهن .. هل نستحق الفهم لذواتنا، أم أن الفكرة بحد ذاتها غير معقولة.

هل سلم إنسان من سوء فهم!

ولكني لا أقصد سوء الفهم، وهنا الفرق، يشغلني -أحيانا- عدم الفهم، أو محاولة الفهم من أساسها، يعني سوء الفهم، يحمل محاولة ما، لكن العدم ... فراغ، لا شيء، صفر فعلي.

عدم الفهم لذاتك، يصحبه عند حديثك عن أفكارك، انفجار دهشة كبيرة لأن العدم السابق لم يكن يراك، وحينما يرى لا يستنكر عدميته نحوك، بل كونك كائن تضمر الكثير من الفضاءات في جوفك، وهو لم ينتبه، والغريب حتى بعد الدهشة لازال لم ينتبه.

قبل كل شيء وبعده، هل تستحق أعين الناس المحاولة؟ هل سنرتاح لو فُهمنا بالشكل المطلوب؟.

الجواب: نعم، بتحفظ.

نعم .. لأن الإنسان كائن اجتماعي يأنس الناس ويرغب أن يظهر

كما يكون فعلًا، وهذا للسوي الذي يحب أن يُرى كما هو.

بتحفظ .. لأننا لا نحتاج الفهم دائمًا، بل كثير من الأحيان تود لو لم يفهمك أحد!.

لأن الفهم كشف لأوراقك، وليس في كل وقت وعند كل أحد تُحب أن تُكشف.

بل حتى يستهويني كثيرًا التغابي والتغافل والتغاضي والتماهي والتشاكل والتظاهر .... لأنها قد لا تبدو من الحكمة ولكنها عين الحكمة في مواضع.

نحن لسنا بالضرورة مرئيين، نعم نتأذى من الفراغ في أعينهم، ولكن لعل هذا الفراغ طوق حماية، لعل ما نحن عليه والستر، مظلة تحجبنا عن الظهور أمام من لا يفهم، قبل نضوجنا بما يكفي، وفهمنا للحياة كما يجب.

لذلك لا تنزعج إذا لم يراك أحد، وفكر بأن في بعض الأمور حماية لك حتى لو بدى لك العكس.



اعتياد ..

17 أبريل 2019

كل شيء يحتاج إلى اعتياد، وأقل مدة لتشكيل العادة تتراوح ما بين خمسة عشر يومًا إلى عشرين يوم.

وأهم سمة من سمات الإنسان (غياب الدهشة)، (والاستسلام للواقع كما هو)، لذلك يقول دوستويفسكي: «بكوا في أول الأمر ثم ألفوا وتعودوا. إن الإنسان يعتاد كل شيء...»

وللاعتياد جوانبه الإيجابية أيضا؛لذلك نتقبل الحياة بعد الرحيل والفقد،حتى عند الإنسان الذي لا يؤمن بالبعث،وعودة ما فقد؛فهو مفطور على الاعتياد رغما عنه!

لأن الاعتياد والنسيان الجزئي،نعمة تخبرنا بأننا قادرون على الاستمرارية والبقاء والعيش.فالنفس مهيئة للحياة بشكل كامل كالأرض والسماء.

«اعتاد مواجهة الأخطار: تدرب، تمرن عليها.

اعتاده الهم: عاوده وأتاه مرة بعد مرة».

واعتياد النفس على الألم، والمزايا المطاطية في قبول نفس الكسور والخدوش، والعودة لسابق العهد، يدل على مزية الإحكام وتمام الصنع.

فأنت قابل للصمود في كل مرة، ولديك المرونة الكافية للمضي مع كل منعطف..

حتى السرور، لا يقتله شيء كالعادة، ولا عجب في أن الحياة تتقلب بين فرح وحزن، لأن الوتيرة الواحدة موت، وغياب التقلبات، عذاب وليس نعيم

فلولا العذابات المتقطعة، ما شعرنا بلذة المسرات، ولا ابتهجنا لها، فالعادة تفتك بكل جميل حتى تدكه دكا، إلى الحد الذي يكون فيه صاحب النعمة لا يراها ولا يشعر بها.

فالإنسان، شيء يستعصي على الوصف الدقيق جدًا، لأنه دائمًا، يعاني من تناقضات المشاعر.

فكيف للعادة أن تنقذه وتفتك به؟!

وكيف للنعمة أن تصاحبه ولا يشعر بها ولا يراها؟!

ولهذا السبب وغيره، كانت عبادة التفكر عبادة هامة، لأنها تنزع غلاف العوائد، وتعيد الدهشة للنفس فيرى الوردة كأنه يراها لأول مرة، ويستشعر عظمة السماء وكأنه لم يمر يومًا من تحتها، ويتأمل الفجر والصباح والنور والظلمة والجبال والبحار والصحاري ....

كأن الرحلة للتو بدأت، وكأنه للتو حط رحاله على كوكب الأرض.



إشكالية الركاكة

17 أبريل 2019

إشكالية الركاكة؛ اسم اخترته لإشكالية مهمة، وهي ترتبط بالشعور النفسي لكثير من مرتادي تويتر.

لاحظت -وكثيرًا ما ألاحظ- أن أي موجة تُثار، تُشكل استفزازًا ما، وهذا الاستفزاز يؤثر سريعا لدرجة التشكيل، وهذا التشكيل ليس بشكل سطحي بل أكثر تعقيدًا في النفس.

من ذلك التأثر ..

سرعة الاستجابة للأفكار الجديدة، أو القديمة، المطروحة بقالب جديد، سرعة التبنى والرعاية لأفكار ملتقطة، سرعة الانفعال، والتفاعل، سرعة الخضوع للموجة الغالبة، سرعة الرضا بالمكتسبات التي قد لا تتفق مع الأساس الفكري الخاص بالفرد، سرعة الاستنفار والبحث عن دحض، سرعة سرعة سرعة .....

ما يهمني الآن في هذه الإشكالية الجانب النفسي؛ وخاصة في نقطة ألا وهي (سرعة الحزن واليأس).

هذه الإشكالية جعلت الكثير ممن يضمر الخير، يشعر بالعزلة والانطواء، وأحيانا الكراهية للحياة من هول ما يرى من الموجات الفكرية والآراء المتضاربة.

ومن حيثيات هذه النقطة أنك تراه يظن الشر حتى بنفسه، وأقرب الناس له، لأنه استجاب بشكل قوي للمحفزات الخارجية لدرجة نسيان

ما هو عليه وما ينبغي أن يكون عليه وفي أي المسارات هو، ومن لابد أن يجابه، لذلك يشك في سلامته من كل هذه الظروف والخلافات لأنه يشك في الناس -رغم سرعة تأثيرهم فيه.

جوهرها يتركز في أنها تعزله عن الإنجاز، خاصة إذا اتسعت رقعتها السوداء «التشاؤمية»، وربما على العكس كذلك تجعله يقاوم بحماس أكثر من المعتاد والصحي، فيرهق نفسه بشدة لأنه يظن بأن في هذا خلاصه، وإن كان الاجتهاد مطلوب، إلا أن هذه الزاوية تشمله وتتعداه..

لذلك يقف المرء محاسبًا نفسه إلا درجة أنه يجعلها تخرج عن المسار من كثرة تدقيقه وخوفه من الضلال، وهذا بالضبط يصف ردة الفعل المكنونة في أعماقه، فلخوفه من ضلال الناس يرى أنه سيضل غدًا أو بعد غد، أو أنه ضل وانتهى!.

-أهم ما يعين دائمًا في الحياة والمحطات التاريخية هذه، أن تُحلّق عاليًا فوق واقعك، ترسم دربك من الأعلى لا الأسفل؛ وتحكم بالقانون الأصلي، ولا تجعل ردات فعل الناس وتكاثرهم على الباطل هو القانون؛ بل انعكاس لخلل ما في تطبيقه.

-لا تُفلِت نفسك من الناس لدرجة البُعد، ولا تقترب بروحك حد الاحتراق، تحديدًا روحك وأخصها هنا، لأن البعض يُنْهك كل مافيه، إذا رأى انتشار فساد ما، أو معصية ما، لدرجة أنه لا يدع لتلك الروح المتعبة مجالًا لخوض الحياة وفهم جانبها المشرق والأخذ، والرد معها، والتعديل، والتقويم.

-(الدنيا ليست هُمّ) أغلق عليها عقلك، من تراهم ليسو كل

الحكاية، هناك منعطفات عدة، وأيام يسير فيها الأعوج حتى يسقط ويندثر، المهم أنه لا يمشي في عقلك لأنه لو مشى هناك اختل توازنك أنت واختلت مفاهيمك.

- يؤسفني حزن الكثير، لدرجة الكآبة الشديدة، والنفور من الابتسام والضحك، والعيش داخل قوقعة من القلق والحيرة المستمرة.

لدرجة لو قلت له بحديث عابر كيف حالك؟

لقال: أنا شاك

أشك أني بخير

أشك بوجود السعادة أصلًا

الحياة دوامة شك فكل ما يحدث غريب ومريب.

توقف قليلًا عن الشك وحلل ..

هل ما تراه كل الصورة؟

هل ما تراه كل الواقع؟

هل ما تراه لا نهاية له؟

ثم اسأل نفسك بـ: هل ما تراه يحتاج منك شيء؟

هُنا فقط حاول رسم طريقك كما ينبغى وخفف من الاستجابة لضغط الناس وأقوالهم.

-(الدنيا ليست هُمّ): يعني من ضاع فقط ضيّع نفسه، ومن آذى فقط آذى نفسه، ومن فرط فقد فرط بنفسه، ومن تفلسف وحوّر الباطل وردده وجملّه فقد خدع نفسه قبل الناس.

نعم عليك مسؤولية اجتماعية، ولكن بحدود قدراتك، ما يتجاوزها فهو ليس لك.

- سترى ما يُتعبك تأكد، وهذا جزء من إيمانك ..

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

عن خباب قال أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فجلس محمرا وجهه فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه.

فما بالك بصراعات، ونزاعات، وأمراض نفسية، وضعف عقدي، وشكوك، وتيارات و و و

فمهما أثرت فيك وجعلتك ترى الحياة بقعة سوداء، فهي ليست لك أكثر من ابتلاء واختبار لثباتك، وموقفك منها، ولست مطالب بفوق ما تستطيع من الإصلاح.

- الركاكة = أن يكون صاحب الباطل أكثر سعادة منك بباطله، وأنت أقل اتزانًا وأكثر تزعزعًا وضيقًا.
- الركاكة = أن تحزن بشدة لدرجة الانزواء، وتستحي من قول

مبدأك، وهو يجالد دينك ليل نهار.

- الركاكة = أن لا تثق بالحق الذي معك، لدرجة تشك أحق هو؟! أم باطل؟!.
- الركاكة = في شدة تقبلك للأسى رغم المنافذ...



محطة ..

5 أبريل 2019



يستوقفني في محطات حياتي الكثير من الأشياء، أحيانًا كلمات ما، تنفذ من زاوية مجهولة، وأحيانا قصة تغمرني أحداثها وتلفني كهدية مغلفة، يوشك مستلمها أن تتشقق أطراف شفتيه من الابتسام، ليعرف ما فيها، قبل أن ينزع عنها الغلاف، وأحيانا أقف مليّا على لوحات معينة رسمتها مخيلتي وأنا أعبر ..

كمن قصة علقت في نفسي؟

وحادثة ظننتها مرت وهي لم تمر؟

كم توقعت انفجار مفاجآت كثيرة، لكنها لم تنفجر وبقيت أطرق أبوابًا عدة لأجد شيئًا جديدًا لا أعرفه؛ لأتفاجأ به!.

يستوقفني صوت أمي، ضحكة أخي، عناد أختي، قصص الغد التي لم تُروى، وأطياف كانت ثم رحلت ..

وأعرف أنني في كل محطة، لن أغيب معها بالقدر الذي لن يبقى في صدري متسع لشيء جديد.

كنت ولازلت أعرف إلى أين أنا ذاهبة، وهذا ما يميز هذه الرحلة، أنها متقنة الانطلاق، ومستعدة للهبوط في أي لحظة، أو التوقف متى ما انتهى بها المطاف في شوطها الأخير، وهذه القناعة لا تتلبس كل المسافرين، لأن البعض تغريه الوسيلة أكثر من الوصول، والركاب أكثر من الغاية، وأنا اعتدت أن لا ألتفت؛ بعد أن عودت نفسي.

هناك حيل وحيلتي تتركز في التجاهل، لدرجة أني أشعر أنني في عوالم داخل العالم الذي يعرفه الناس، وهُنا تحديدًا تتشابك المصطلحات والتعاريف لوصف الشعور الوجداني، حينما تكون ولا تكون في نفس الوقت، وتشاهد، وتقترب وتبتعد وأنت خارج الإطار.

لا أتردد في المضي، رغم أنها ليست كل الدروب سالكة، ولا خالية من الحجارة والحفر، والأشواك والعوائق، ومع ذلك يبقى بعد النظر دليل لمن لاحيلة له سوى الترقب.

مع كل فجر، تغتسل طاقاتي بنور الأمل، وتجفف نفسها بالحيرة من .. أين وصلت في خريطتي وأين الإتجاه في كل مرة أتقدم فيها؟

فلربما أخفقت الإتجاهات أو لعلي أسقطت الدليل!.

من الصعب جدًا، أن لا تظهر سماتك الحقيقة، بالتمثيل المستمر، والأصعب أن تظهر ثم تُحطم بالكلية، كي يُعاد تشكيلها، لأنها خارج النسق، أو لا تنطوي تحت المناسب والمقبول، حتى وإن خالف الصائب ووافق الخاطئ.

أن تستعير ذاتًا ليست ذاتك؛ هو أن تبقى اسمًا في روحٍ أخرى، أن تسكن بيتًا، يكرهك أهله، أنتنام غريبًا على طرقات أرضٍ العدو، أن تنتزع أحلامك قطعة قطعة، وتستبدلها بالوسائد المبللة بالدموع والدفاتر المختنقة من الحبر والهم.

فماذا لو بدأت برواية مستعارة، ونصوص مستعارة، وأبطال وهم ؟

هل ستنجح وتصمد إلى النهاية أم ستنعزل لتحاول أن تكون أنت، أم تتنهد ولا تربط الأطراف لأنك تريدها قصة مفتوحة مهلهلة وأنت خارج المسرح ؟

أغلب الذين يقاومون يملكون ذكاء التصورات، وحياكة النماذج، حتى لكأنهم يلبسون أنفسهم في المستقبل وهم في يومهم الحاضر، فقط لأنهم يملكون الرؤية الممنهجة لكل شيء خاص، والمقاسات الدقيقة.

ومن قال أن هذا بالشيء السهل؟!

أن تُحدد في الهواء، وترسم في الماء، وتبني فيعقلك عُشًّا، يتطلب خبرة ألف عام، أو ذكاء وبصيرة، يجعلانك تُحلق.

وأنت لن تحلق هكذا دون معونة الله، التي تستمطرها. لتتنفس

الحياة أغصانك ولا تذبل.

دومًا أملك المقاسات، ولكن الفرص شحيحة، والخيارات غير متاحة، والمعنى المُكتسب يقف مبتورًا يرتجف خوفًا من التطبيق.

لأن المسموع شيء آخر، والمنطوق كذلك، أما خيالاتي فخارج المعقول أحيانًا ..

السبيل الوحيد للتخلص من أعباء كل شيء، أنتعرف أن الإيمان لا يختص بالعبادات وحدها، بل حتى بالوثوق برحمة ربك، والوثوق برعايته، والوثوق بإحاطته، والوثوق بكل شيء قادم منه، ثم الوثوق بأنك ما بدأت إلا لتصل، وإن لم تصلب أقدامك، فلعل قلبك يعفيك الباقي ..



ركود القراءة

26 مارس 2019

توجد حالة ركود تنتاب القارئ، فهو في النهاية بشر وللنفس إقبال وإدبار.

المهم؛ أن تبقى جذوة الهمة مشتعلة في داخله، ولا يعتبر وضعه الحالي المقياس -الحقيقي- لنيته الأساسية.

فقد يقول: «أنا لم يعد يوجد لدي حماس»، «يبدو أنني سئمت جو المعرفة»، «لعلي فقدت الرغبة» .. إلخ

هذا الكلام في مجمله خاطئ، فقد يكون فيداخلك رغبة قوية للإنجاز ومع ذلك تتعثر فيعملك، وقد تكون نيتك على أتمها ولكن في واقعك لا تستطيع اللحاق بها ..

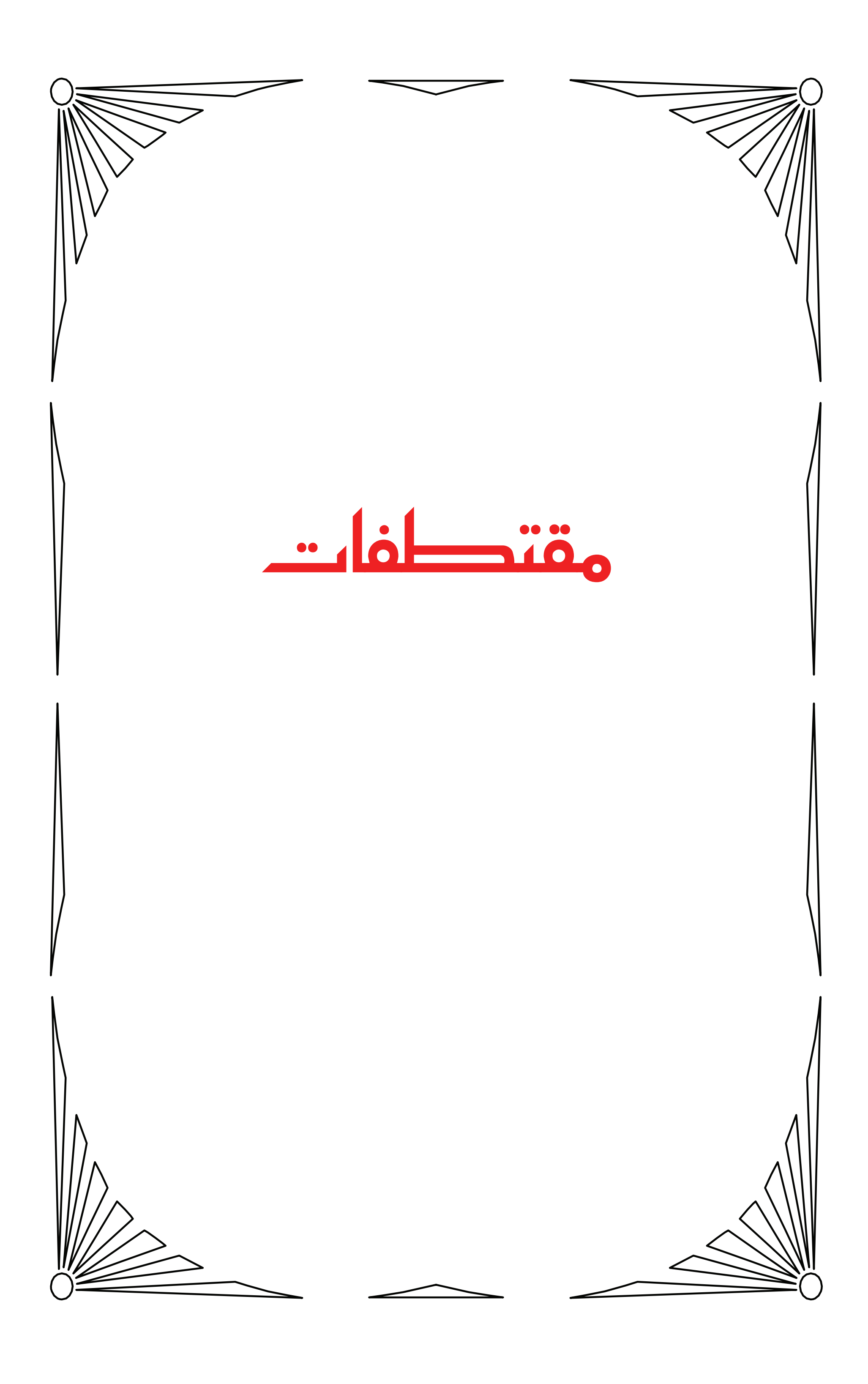
لذلك الفهم المتوازن للنفس وعدم إجحافها أهم خطوة للعودة على نفس مستوى القوة، ومداراة الذات أهم بكثير من كسرها.

وأقول هذا عن تجربة!

ففي الوقت الذي أحن فيه على نفسي، وأدعمها، وأقول أنتِ تستطيعين، لديك القدرات والعزيمة، لا تستسلمي سريعًا، أجدها تستجيب بشكل فعال.

نعم لكل نفس مفتاح، ولكن اللين ما كان فيشيء إلا زانه، وتطوير الذات أمر يحتاج إلى ذكاء عاطفي، وثقة عالية، ومعرفة دقيقة بالشخصية.

❋ ❋ ❋



مقتطفات

مقتطفات

جميعنا، نملك زاوية خاصة، لا يّطلع عليها أحد، مفكرة، كرسي منعزل، غرفة منفردة، عالم ذاتي، حكايا طواها الزمن بالنسيان، تتمدد بعيدًا حيث لا تراها عين، ولا تنتظرها.

جميعنا، نعرف أشياء نكتمها في حيز مُستثنى عما بين أقواس النبضات الشاردة بنا في مضمار الحياة.

استجمع نفسك، قل مرحبًا يا أنا، أعرف عنك ذلك الشيء الذي لا يعرفون، فهل تعرفي؟.

هل تدري يا نفسي، كم حاجزًا تخطيت، وصفحة مزقت، وخاطرة معنى في الضمير علقت.

كم كتمت من عبرة كادت تكتمني، وقطعت من فرحة كادت تشقيني، ورأفت بك في محطات الدنيا، وأسعفتك حيث لا طبيب وقريب.

هل تعرفي بالتضحيات الصادقة، والتجرعات المزعجة، وأنا وأنت حينما نجلس سويا نتأمل كل شيء ثم ننفرط عقدًا مزيفًا من التعب.

كم غامرنا، واستنشقنا عبير بساتين ليست من الطبيعة، بل الحضارة، وصُدمنا أول شيء لتلوثها، وعرفنا أي شيء كان دخان المعامل، وعجاج الناس الغاضبين وأصوات الرفض المستمرة وحيرة العيون وهروبها ..

تبًا للحيرة.

تسرق الناس لمغارات بعيدة وتغتالهم هناك، لأني أرى القوافل لا تعود.

كم أخذت من صديق ونبيه وعادت القافلة محملة بركام الحقائب وحدها.

نعم الحقائب فحسب!، لا سواها.

هل صدقتيني يا أنا حينما أكثر التحذير وأشد من أزرك للحاقي، عرفتي لماذا؟ وأين؟.

تقبلت القيود الآن بعد محاضراتي الطويلة تلك؟

فهمت نبرة الصوت الخافتة؟، والعيون التي تشع أرقًا وقلقا، على رحلاتهم وفوهة الفقد التي تبتلعهم.

استنتجت لماذا أحميك؟

وعن من؟، وكيف؟

ولما دائمًا تنامي ولا أنام، لأحرسك من أي هجوم يفزع اطمئنانك، ويوقظ راحتك البريئة، في حمياتي التي ألتجأ فيها إلى الله كل يوم.

لم تعد راحتك همي فحسب، بل أرى فيك مشروع عمر طالما استجمعت بقايا نفسي له، وردمت ما تحطم في سبيله، حتى أن الجدار الذي يرفعك وضعت حجارته بنفسي، وبنيت على الأساسات وأتقنت المقاسات وسهرت سهر الشقاء والكد، لمصلحتك، فقط لمصلحتك.

فهل فهمت بعد كل سبب، انفرادي بك في جدول نظامي الدائم، وحنيني للصباح مع كآبة ستائر الليل الموحشة وأصوات المارة المزعجة، وتمسكي بك رغم خوفك -أحيانا- مني وهروبك عني ..

والحلم الذي يلوح لي وأناديك لتقتربي من زاويته لتتضح لك صورته، وتجتهدي في البحث عنه، لأجلك. وترغبي فيه بذوقك، وكل اختياراتك.

هل فهمتي الآن لماذا أنا وأنت هنا، ولأي شيء نحن صامدون حد الموت، أو لنتفائل ونقول حد التئام الجروح وعودة النصر لنكن في ارتفاعاتنا الشاهقة نلوح من هناك، ها قد وصلنا، فالصمود أجمل ما في الرحلة وأقسى ما فيها.

لنضحك من قلب ..

ونهتف فخرًا، نحن هنا، رغم ما كان!.

-هناء

* * *

من خواص العقل الأنثوي التطرف العاطفي -إذا لزم الأمر .

مع أنه في المعدل المتوسط، والمعتدل، المرأة لا تميل إلى التطرف. وهذا يحتاج حتى يتشكل إلى عوامل مجتمعية وبيئية، وإلى محفزات عدة..

ففي المجتمعات المستقرة يكون الحال أقرب للاستقرار والود والتفاهم بين كلا الجنسين، بل وفي الجنس نفسه، بدايةً من الصلح الداخلي وتقبل الهيئة، إلى التفاعل بإيجابية تبعًا لاستقرار الآلة

الفكرية والمدخلات.

لذلك يتم التعامل مع الحياة بجدية أكبر، وتُحيّد العاطفة إلا من انبعاثها في ميدانها الخاص والمتاح لها، ولا يتجاوز الخطوط المسموحة سوى أفرادا محسوبين على ذلك المجتمع.

حينما جاء تركيز الإعلام على فئة محدودة، كان هذا للفهم العميق للعواطف والتشكيلات الشخصية لهذا الكائن، فتم التركيز على الأنثى بشكل مكثف، لأنها تحتاج إلى عوامل خارجية وداخلية لتصفر عداد الاتزان وتشطح بقوة متطرفة للرغبات والميول المتعددة بتعدد الخيارات المتاحة أمامها.

فالإعلام مُفّعل بطريقة ناجحة جدًا، ليركز على الشريحة المستهدفة بذكاء، فحين درس المرأة بكل حالاتها، حفظها عن ظهر غيب، ولم يتبقى لديه قبل الانطلاق إلا زر التفعيل، وبعدها الصبر فترة الإعداد المطلوبة، وهي فترة تحتاجها أي بذرة فكرية يريد صاحبها أن تكبر.

المرأة هي «السكن»، والسكن لا يكون في كل الحالات هادئ جدا، فكثيرًا ما تكون المساكن صاخبة، بحسب ما يمتلئ فيها من صخب، ولأنها الأدوات الأكثر تقبلًا للصخب كانت العش الذي تم تدميره قبل غيره، لتسود الفوضى المطلوبة بنفس الدقة المنشودة وعلى نفس الإيقاع.

ولأن الحجاب أول دعائم الحفظ لذلك السكن، كانت الدعوى إلى التخفف منه بالتدريج، وعلى نفس مقدار النزع، يكون حجم إثارة الرغبة في الانفلات من القيود التي يفرضها بشمول على النفس

الحياة.

الحجاب، الغلاف الذي تُغلف به أثمن الممتلكات، خوفا على خدشها قبل دمارها!.

لماذا لم أسمع ولو لمرة داعية يتكلم عن الأثر العقلي خلف لبس الحجاب الشرعي الصحيح؟!.

الكل يتحدث عن المجتمع وما يضر المجتمع والدين، ولكن هناك زوايا لم يخترقها أحد بالشكل الكافي!.

وهو أن الحجاب قبل أن يكون شريعة واستسلامًا، هو كذلك في الأساس منظومة فكرية متكاملة، لذلك من تتحجب بشكل سليم لا تجمح!. لأنها تقف حتى أمام قابليتها الفطرية للتجاوز، بالسير على خط المنتصف والبقاء هناك بأمان.

الحجاب يحوي ركائز وأسس، كل ما أزلت ركيزة، خرجت من جهتها فُرْجة، ومع تراكم الفُرَج تنهار الأوضاع سريعًا، وتنفلت الروابط بشكل أسرع أيضا، لأن الحجاب لغة ومعنى تتدخل في الكبح، وتعيد صمام الأمان إلى محله المناسب في كل مرة.

إذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالحجاب الشرعي يثبت عقل المرأة ولن تجد ملتزمة بحجابها -دون رياء- تعاني من رعونات فكرية أو مطالبات بحقوق غربية، لأنها وقفت على الحد الفاصل ليس بينها وبين الرجل فحسب، بل وبينها وبين ذلك العالم الآخر، الذي يختلف عنها تماما، وتختلف عنه.

لذلك حينما ظهرت نماذج أنثوية، تُقرّب السفور للحجاب

وتدمجهم بشكل لا مقبول، أدرك المتبصر أن ما تفعله ليس بالحجاب، لا بالفعل ولا الأثر.

فللحجاب ضوابط على الحياة، وله في العقل والنفس آثار.

أظهرها ..الاتزان، وتفادي الخفة، وتفضيل الطريق الثابت من بين الطرق المتخالفة.

الاتزان العاطفي، من الندرة بمحل في الدول الغربية، لأن الرغبات تُنفذ بلا هوادة، والمرأة تكاد أن تكون رقعة بالية تدوسها أقدام المارة من شدة الهوان والقرب، فمهما حاولت تجنب المضايقات تبقى في دائرة مغلقة، لأنها تعود من حيث فراغ المبدأ، وخلو الحياة من شريعة الحجاب والعزل.

الحجاب الشرعي الصحيح، طريقة تفكير سليمة، تتدخل حتى في تفاصيل الحياة البعيدة عنه ظاهرًا.

فهو كما ينقي البدن من شوائب الذنوب، ينقي العقل من الأفكار الزائغة، ويحجب مبدأ التجاوز لما عند الغير.

من أول (قاصرات الطرف) إلى قاصرات الحب والاهتمام والعناية والتطلع، إلى شديدات الحياء وسيدات الأدب والخلق الحسن، والرغبة فيما عند الله من الخير الموعود وراء تقوى التمسك. والجزاء من جنس العمل!.

-هناء

* * *

لا تتسخط على زفرات همك، وتبتئس لضيق صدرك، فهناك ذنوبًا لا يكفرها إلا الهم.

أصعب الهموم على النفس هو الذي لا تعرف له سببا، تجدك ثقيلا متعبا، كأن شيئا كبيرا مضى فوق رئتيك، أو يدا ضخمة أغلقت عليك فمك، لتخنق أنفاسك، أو تضيقها لأقصى حد.

وهذه الهموم تحديدا عطايا ربانية، لتراقب صوارف النفس وتقلباتها بين جميع الحالات وترتقب المرحلة التي تليها لعلمك أنها لا تثبت.

ولا أعني هموم التفكير في الغد؛ فهي معلومة المصدر ولعل دافعها واضح.

إنما تلك المبهمة، التي لا تدري من أي مكان في قلبك تفجر بركانها، ولأي سبب!، ومتى!، وكيف!.

الإنسان كتلة شعور؛ لذلك قد يدرك بعض ما يعتريه وقد يغفل عن الكثير، لتماوجه وامتزاجه وتداخله فيه.

فلا يدري من أين أتى هذا، وما سبب ذاك، وما علاقة بعض ردود أفعاله بحياته التي يعيشها، ثم لماذا تختلف في كل مرة.

البعض يريد حياة، خالية من أدنى منغص، ثم يسأل الله الجنة.

أنت تسأله الجنة في الآخرة، لكن لا تطالب ربك فيها بالدنيا، لأنها لن ولم تأتي لأحد قبلك، ولم ولن تأتي لأحد بعدك.

ولا من أجل ذلك خُلقت الدنيا!.

المنغصات، فيروسات تشغل المقاومة، الهم المجهول، ثاني أكسيد

الكربون الذي تحتاجه الطبيعة من حولنا، الأكسجين دموعك تلك التي في سجودك، الزفرات والعبرات والألم، صدمات كهربائية لتبقى على قيد الحياة ولا تقتلك وتيرة الراحة الواحدة قبل أجلك الحقيقي.

المؤمن غالٍ على الله، آلامه ليست مهدورة أبدًا، ومن يكفر بالشوكة، هو من يكفر بالألم والهم.

هو من يرسل العطايا لينقيك، ويرحمك ويعطيك، لتعود مغسولًا حاملًا كنز اليقين بين أضلعك، راغبًا في رضاه، طامعًا فيما عنده.

-هناء

❊ ❊ ❊

من خلال اهتمامي بعلم قراءة الوجوه لسنوات عديدة -بل من مراهقتي وأنا أجد الانجذاب لهذا الجانب- أستطيع القول بأن الجمال يتضمن الملامح، وليس هو الملامح، لأن الإنسان مادة وروح، وليس مادة فقط. فلو كان مادة فحسب لكانت الرسمة الظاهرية كل شيء، لذلك قد تجد وجوهًا جميلة جدًا، رسمها متقن ومتناسق، ومع ذلك لا تجدها جميلة جدًا كرسمتها تلك، لأنه ينقصها شيء روحي، فملامحها نعم «مكتملة» ولكنها ليست «متكاملة»، والروح تعاني من أمر ما، وتشوه ما.

أستطيع القول أيضًا، أن الجمال ليس للون محدد، ولا رسمة محددة، لتقول مثلًا العين بهذا الشكل فقط تكون جميلة، أو الشفاة بهذا الحجم فقط تكون جميلة، أبدًا !

بل على العكس، تجدك ترى ما يخالف المقاييس في الأشياء

المنفردة، ومع ذلك تتسق الملامح بشكل خرافي يفوق انفرادها ويتغلب عليه ويجعلك لا تدري ما سحره الخاص ومن أين انبثق الجمال في الصورة تحديدًا.

أغلب السطحيون يُغيّبون أثر الأفعال في القياس الشكلي والنهائي، لذلك يقعون في فخ الارتباط بحدود الصورة، وعدم تجاوزها بأي شكل من الأشكال، لذلك تجدهم يثقون سريعًا بأن الملامح المتقنة المتوازنة ترمز لكل شيء. وهي ليست كذلك، فالصورة أبعد بكثير من عين واسعة وأنف مرتفع رقيق.

الصورة تكاملية، والبعد الروحي أقوى وأشد تأثيرًا على ما تراه العين.

فبالغالب حتى حينما نحكم على الجمادات، لا نقيم جمالها لبراعة رسمتها، بل لأننا نحمل روحا وعقلًا نجد الترميز والاختزال يتدخل ويجري مجراه -كالعادة- فيرمز خلف الصورة بمعاني ولا يراها كما هي تمامًا، بل لابد أن يلتفت لما خلفها وما في قلبها وما عداها حتى يُحّكم التصور والدافع للانجذاب.

فقد يكون على القياس الشكلي القرى القديمة، بحجارتها ومساكنها ومحلاتها، سيئة شكليًا، لا متناسقة، لا متجانسة .. ولكن على المعنى والانطباع النفسي، نراها أجمل ما تكون، بل قد تسحرنا أكثر من غيرها. وذلك لأننا ندرك روح المكان وأن له قيمة وأبعاد جمالية أكبر بكثير مما يبرز منه.

فهو جميل شعوريًا ونفسيًا أكبر بكثير من شكليًا ظاهريًا.

فكيف بالإنسان الذي تجري فيه الدماء، وتسري فيه الروح؟!.

أجد المعاصي أكبر ملوث للتركيبة الشكلية، ودعنا عن الأثر المادي من هالات للتدخين أو سرعة ظهور التجاعيد أو انتفاخات السُكْرْ وسرعة جلبه للأمراض وتغييره للملامح.

لا أتكلم عن كل هذا، فهو ظاهر بين.

بل عن الذي لا يتضح لكل أحد، القباحة في الشكل الذي لا تستطيع العزل بينه وبين مضمونه، الشكل الذي تراه متقن بشكل رهيب ومهيب، ومع ذلك قبيح بنفس القوة، لدرجة أن تقول ما أقبح أهل المعاصي، وجوههم درنة، ليست بلمعانها وأعينهم بائسة ونظراتهم خبيثة.

لا أستغرب لمن يسوق بأن الزينة في الطاعات، فهذا يعلم جيدا أنه بأفعاله قبل صورته، وأنه متكامل إلى الحد الذي لا تستطيع معه العزل، فالله لا يدعونا للتفكر في أنفسنا عبثًا بل كانت الدعوة، لعمق هذا الكائن وأنه لا ينتهي في نطاق محدود بحواجز لا يتجوازها أو تنميطات أهل السوق والحداثة الذين اختزلوا الإنسان في الرسمة؛ في دقتها وتكرارها حتى بات النظر للأشكال مؤذي للعين لدرجة أن تقول في نفسك: إذا كان هذا هو الجمال فلماذا هو مؤذي لعيني بهذا الشكل؟!، ومزعج لذائقتي؟!، وملوث لعقلي من حيث التمييز بين الاختلافات البشرية؟!، حتى كأني أرى نُسخًا مكررة وطباعة مصنع إنساني، شكلوا فيه الوجوه بعيادات التقبيح تلك فغدت مُتقنة جدًا قبيحة جدًا بنفس الإتقان!!.

وكأن هذه رسالة من الله مضمونها: لا تغيروا الصورة فأسلبكم

بركتها ورونقها وجمالها الحقيقي!!.

-هناء

❋ ❋ ❋

هل يَهون الكِتاب على صاحبه؟

أقصد .. حينما ينتهي منه ليفارقه إلى الأبد، ألا تخدش دموع الكلمات الراحلة روحه، ويبقى صراخ العبارات المستنجدة في عقله، أم لا يُحدث هم الورقة الثقيل في داخله أي شيء؟.

ألا يذكر أنه كان بحضور نص أخير، شهد بداية مواهبه حتى نهايتها، بل وكان الشاهد الحقيقي لتكاتف الأصدقاء، الورقة والكَاتب والمحبرة، يداً بيد، وقلباً بقلب؟.

القارئ ذو الحساسية العالية، يُقَدّر الظواهر والكواليس، يُميز الصور، ويفرز المعنى الجلي والخفي، وشوارد الهم العالقة بين أصابع القلم السيّال، والرجفة الخفية بين أضلاع ذلك المُسَطِر، فيقرأ السطر وما فوقه، وفراغ المأساة بينه وبين ما تحته.

القارئ النادر، جوهرة ثمينة، عثرت على تذكارٍ حُفر عليه اسم صاحبه، مكتوب به نوع عقل الذي حَفرَ، ونَقَشَ النقوش والزخارف، وصَمّم الإطار والمقاسات.

إذا ذهبت مع الكاتب الذكي، سترى حتى نصوصه الغبية بشكل آخر، ستتلمع الموهبة، وتتحسس خيوط العنكبوت في جوف الشجرة المهجورة، لتتأكد بنفسك أنها عاشت حياة خضراء، وتنفست على أطرافها الطيور وحلقت منها.

ستتلمس الذي لم ينتبه له الكاتب نفسه، وستدعوه بألقاب لا يعرفها، وستكتب حرفه الأول على دفاترك التي لن يراها، وستكتب أنك وجدت أخيراً مفتاحك فيه، ورمز السر المستعصي لقصصك المتداخلة التي تريد أن تُفككها.

يوجد عوالم فظيعة في عالم الكتب!.

حتى الجادة منها، حتى الجامدة، حتى اللاعبة والضاحكة، هناك عوالم تُلونها ريشة روح لتُخبرنا بها الكثير، ولكل رسمة وخربشة، وزن وثقل.

أذكر أول يوم عزمت فيه القراءة، كيف كنت أتردد على مكتبة المدرسة لآخذ كتاباً عدد أحرف عنوانه تفوق سني حياتي كاملة.

ومع ذلك تبتسم الأمينة، للإصرار الذي لمع لها في عيني اليمنى والمشاكسة التي بدت لها من الأخرى، وكأنها في حيرة مع حالي الذي ينطق لها بأن .. أعطني الكتاب، ولن أعود لك كما كنت، أعدك!

سأعود هناء لا تعرفينها، أطول قليلاً، أَدَقّ قليلاً، أكثر مهارة، وصبراً، وفهماً للغة الكُتّاب العويصة، حتى لو عاندتها عشرة صفحات، أو صفعتها عشرين صفحة.

سترين كيف أن النحلة التي لا تكف من البحث عن الرحيق لا تفارقها رائحة الزهور أبداً، ولا يجف منها العسل.

سترين كيف أني سأتعمد رمي صنارتي في محيطات الأدباء والعلماء، ولو أردتِ أيضاً المنافقين والدجالين، ولكني لن أعود خائبة، إما أن أتعرف على لون السمك، أو أحترز من القرش، أو أكسب اللآلئ،

ومن يدري، لعلي سأعيش بها مترفة طوال عمري.

راقبي عزيزتي طفولتي كاملة، لعلك في عامي القادم ستجهلينني تمام الجهل، بل لعلك ستصادفين عجوزاً لم تتجاوز عامها العاشر بعد، لا تدري من صقل قلبها، وشَيّبه أول، أهو الكتاب الذي لم تفهمه كاملاً، أم القصة التي لم تفهم كيف بدأت، أم الحكايات الكئيبة، التي اختصرت لها حكمة الحياة والطبيعة، قبل أن تعرف الحياة وترى تفاصيل الطبيعة.

مع كل كتاب أعيده لك يقلقني هاجس التوديع، لماذا نحن البشر نضعف مع كل فراق، حتى لو تكرر للمرة الألف؟!.

لماذا مناعتنا تقاوم الكثير ولكننا نفقد قوتنا أمام طيف رحيل واحد؟!

وبالمناسبة ...

في هذا العام غابت جدتي إلى الأبد، ولم تكن جدة فحسب، بل كانت جذع نخلة استندت عليها ظانة أنها أمي، وعشت معها لا أراها أماً بل نخلة، ولكنها حينما ماتت عرفت أنها كانت أكثر من أم، وأطهر من أي امرأة، وأصلب من روضة نخيل.

وكعادتي هَرَبتُ من رحيلها إلى معانقة الكتب ومصادقة الأرواح فيها، لعلي أتخلص من ضغطها، بتوديعهم في نهاية اللقاء، وتَذَكُر أن لقائهم مرة أخرى ليس مستحيلاً، فأنسى مع تناوب الفراق على أيامي .. نخلة الرحيل العميق، ذات الجذور الضاربة بعيداً في ..

أعود إليك أمينة الأرواح الورقية، بسؤال مُحيّر ..

أين أنت الآن؟

أريد أن أقول لك أني لازلت أقرأ، ولازلت أكبر، ولازلت أشرب الحليب فوق الكتب، وأنظر بنفس النظرة، وأهرب مع كل كتاب جديد بعين الطريقة القديمة، وأتوارى بنفس الفرحة التي كنت تعرفينها.

أريد أن أقول أن الأحلام تكبر على الدفاتر، والكتب التي كانت ترضينا لم تعد ترضينا، بل لم نعد نضحك على همساتها ونكاتها كما كنا .. وأن الفسحة الشاسعة ضاقت قليلاً، والأماكن في أعماقنا تبدلت، حتى مفاتيح الكلمات لم تعد نفسها.

ليتك يا أمينة لم ترين وجهي، ليتني وَكّلتُ فتاة أخرى تأخذ منك الكتب في كل مرة، حتى لا تَحكُمِ على القرآء بالسعادة لمجرد ابتسامة طفولية ظهرت على شفاة متحمسة لأن تقول لكِ شكراً مع كل استعارة.

ليتك تعرفين أن المعرفة حتى لو كانت حرية، فهي قيد كذلك، وأن قيودي تتابعت من حيث أردت أن أفارقها ..

وأنني أخاف أكثر من غيري، وأكره التهور، والأخطاء والحماقات أكثر من أي شيء، وأن معرفتي مديرة متسلطة، تراقبني أكثر من أقرب شخص.

أعرف أن المعرفة حرية، وأعلم أنها قبل ذلك قيد، وقيودها تشبه قيود العقل، وأقوى إذا اندمجت معه، لتجعل من ذلك الكائن، أسيراً للمبدأ، والعقل، والنفس التواقة، المهمومة بالتطلع للأفضل، والتحسين، والتطوير في واقع أشبه بحلم وحقيقة أقرب لخيال.

ليتك يا صاحبة المكتبة ما أعطيتني الكتاب الأول، بلا تحذير، أو

قلتِ على عجالة : هناك عالم خاص، عالم جديد على طفلة مثلك، ما أن تدخله حتى تهرم سريعاً، وتحزن كثيراً، لكنها .. ستشع بالحياة، من كل اتجاه، وستعيش الفخامة والتفرد لأنها ستفكر حينما تقرأ، وتقرأ لأنها تعرف، وتعرف لأنها تستحق أن لا تبقى في الهامش.

وستدرك حقاً أن الدنيا في أصلها .... مجابهة مستمرة!.

هناء

* * *

التعامل مع النص يخرج على مستويات:

-التسليم لأمر الله، والرضا عنه بما أمر، وعمل الطاعة باجتهاد ومقاومة (لأهواء النفس) أو عن حب يرافق التسليم.

-الحيلولة دون الحكم بالتفسير والتحليل للأدلة بحيث تخرج موافقة لما تريد النفس.

-رفض الحكم بحجة عدم الهداية، أو عدم الاستعداد النفسي له في قريب الوقت.

-رفض الحكم بعدم الاقتناع.

حتى تصل الفتاة الراغبة في رضا الله إلى مرحلة التسليم بحكم الحجاب، وفعل ما كان عليه الصحابيات ونساء السلف ينبغي أن تدرك أن الحجاب خطوة إيمانية تشبه وجود السقف للمنزل، فبالتأكيد لن تجد السقف على الأرض مباشرة، لابد من بناء يقوم في البداية وينتهي في آخر مراحل البناء بالسقف، لذلك لن يسلم السقف أبدا إذا كان البناء ناقص، أو يعاني من خلل في الصلابة والقوة والاستقرار.. لابد من وجود البناء بشكل سليم وكامل بعد ذلك يتسق السقف مع البيت بأكمله بلا اضطراب ..

فمرحلة الحجاب تأتي بعد الإيمان، والإيمان يزيد وينقص، يرتفع وينخفض بحسب ما في ذلك القلب من خلف أعماله.

فطبيعي أن تنفر النفس من الحشمة الكاملة لنقص الحشمة الإيمانية، وتناوب الثقوب على رداء التقوى من الداخل، هنا فقط لو تم الحجاب بشكل كامل لابد من وجود عامل خارجي إما بالإكراه أو عدم

الرضا من المحيط تجعل ذلك الشخص يلتزم بهذا الأمر وهو غير راغب به كما هو، إنما يريد التخلص منه في أي وقت.

جمالية هذا الدين أنه يطرد الخبث الفكري باستمرار ومن شدة طرده له أنه يفضحه بشكل لا يدركه أصحابه، فتظن الفتاة أنها وصلت مرحلة من الوعي لا بعدها، وهي وصلت برفض الحجاب مرحلة الكشف والفضح لمنظومتها الداخلية لدرجة أن من يعرف أفكارها وأعمالها يقول هذا العمل لا يليق إلا بهذه فهو الأكثر تناسبا مع حجم الخلل لديها.

من المستحيل أن تجد تلك التي تلتزم بكل شيء في دينها ثم تكره الحجاب أو تتحايل على قبوله، لابد من وجود مشكلة عملية أو قلبية لديها تجعلها لا ترى ما يرى المؤمنين في الحجاب.

وحتى لا نصل إلى مرحلة الرفض للأعمال الظاهرية التي تتعلق بديننا ككل لابد من خطوات تعزيزية يتم ممارستها بشكل منتظم حتى يكتمل هذا الصرح الإيماني، منها :

- التعرف على المعاصي، وأثرها وأحاديث التحذير منها للبعد عنها والإكثار من الاستغفار. فقد يحرم الإنسان الرزق بسبب ذنوبه، ولا رزق أعظم من طاعة الله.
- المحافظة على الأساس الإيماني قدر المستطاع، إما من خلال طلب العلم أو قراءة وسماع كل ما يرفع الجانب الإيماني، والإكثار من الطاعات لرفعه حتى تلين النفس لتقبل أحكام الله بكل رضا ..

- البعد عن القراءة في الشبهات وأصحابها، حتى لو كانت الصديقة مقربة جدا وتتكلم بما يضعف الإيمان في النفس يتوجب في هذه الحالة نصحها ثم البعد عنها، لأنه لا يوجد - في هذا الوقت- ما يسمى سوف أبقى معها لأني ضامنة نفسي، لا ضمانة، فلا تدري متى تتشرب أفكارها وتعادي الدين مثلها، فالصاحب له تأثير السحر في قلب المنطلقات والمفاهيم وتغيير جوانب من الشخصية.
- الدقة في الفهم وتحري الصواب، فمن المخجل أن ترفض الفتاة حكم الله، وهي حتى مصطلحات الآية لا تفهم معناها، محزن جدا أن تهلك بشكل ركيك للغاية بلا محاولة تطلع أو بحث في دين الله.
- التعامل مع الدين كرأس مال، لا أن يتاجر به للربح فقط، فقد لا يظهر أثر الأعمال في الدنيا، وقد تكون متعبة للعبد، ويتعرض لأجلها لعوائق عدة وابتلاءات كثيرة ولكن المحك في شدة تمسكه بها لأنها رأس ماله وسبب حياته ورغبته في البقاء.
- عدم التهوين من فرعيات الدين، وفهم كل أمر وسبب الأمر به، والفرق بين غاية الأمر به وحكمه، وأنه ليس بالضرورة أن يتضح الحكمة من أمر إلهي.. فالتسليم أهم ما يُراد من العبد، لأن التسليم من الإيمان الصادق.
- أي طريق يقود إلى هلاك العبد لابد من اجتنابه، وأي طريق

يكرّه في دين الله لابد من تركه، فسلعة الله غالية، وجنته تستحق كل عناء في سبيلها.

هناء

* * *

قبل كل شيء .. صادف فتح هذه القناة رغبة في نفسي لإيصال الإقتباسات التي تعجبني، وخاصة أني أقرأ بشكل يومي وعلى نمط معين خاص بمزاجي وتطلعاتي.

لذلك أعتذر إذا كانت القناة أقرب مني لكم لأنها في الأساس تخصني وتقترب مني.

لا أرى بالضرورة أن تنشغل بالآخرين حتى تفيدهم، لمجرد أن تبرز ما يعجبك أو يستفزك أو يحرك عقلك لقول شيء ما حيال هذا المقروء هو بالتحديد جو قرائي متفاعل لأنه حاول التحرر من أنانيته والتلذذ بالعبارات وحده.

أن تشرك البعض ما يخصك يعني أن تقول بعبارة واضحة، «أنا لا أقرأ لنفسي وإن كنت كذلك، لا أتعلم لنفسي وإن كنت كذلك، لا أنفع نفسي وإن كنت كذلك ..... أنا جزء من هذا المجتمع وما يرفعني يرفعه وما يحط مني فهو فقد آخر من ضمن الفقد الذي يفقده».

من أعقد وسائل التعبير ونتائجها .. توجيه الخطاب لمجهول، أو إشراك ذلك المجهول فيه .. بسبب «عدم الفهم أو انعدامه» .. ولكن لا يعنيني المجهول بقدر ما يهمني، ولا يسعني نصحه إلا بما نفعني .. لأن لغة الحوار هنا الأفكار والأفكار وحدها.

طبيعي أن لا تكون وفقا للرغبات، إذا كنت لا توافق نفسك طوال الوقت فكيف بالناس .. لذلك يشفع لي من بين العوائق صدق النية والإخلاص وهذا مشروع عملي آخر لا يقل عن أي فعل بل يزيد.

نظامي القرائي خليط من كل شيء، فلا أحب التقيد ولا أحب الخطط المسبقة ..

هل تسأل نفسك مع بداية كل عام ماذا ستأكل في كل يوم؟.

إذا كان لا ... فلا تسأل نفسك ما عناوين غذاء روحك اليومية، فلكل عنوان ولادة خاصة وحيثيات مصحوبة تشير إليه.

فلا تدع الحيرة والأسئلة تستغرقك قبل الانجاز فتذوب شمعتك قبل أن تشتعل وتتلاشى قبل الصلابة المرتقبة.

اقرأ بشغف ما يلامسك وما أنت بحاجة إليه، افهم نفسك بجوانبها المتعددة، افهمها، افهمها، افهمها .... فهي أول كتاب يصادفك في الرحلة.

وطبعا لا أستغني عن النصح والإرشاد للتقليل من الأخطاء عام ٢٠١٨ إن شاء الله.



حاول أن يخرج عن النسق، ويحلل من خارج السرب ولكنه مع الأسف وقع في فخ أعظم ... «تقديسه لرأيه!».

ليس بتلك السهولة أن تحكم على الكثير من المفاهيم والقيم الثقافية بقلم واحد، كتاب واحد، عقل واحد.

اسلوب التعالي في الطرح نحن وهم وهؤلاء مشكلته ليس فقط في سماع الصوت الذاتي وحده على مفردة من باقي الأصوات .. بل تضخم ذلك الصوت واهتزازه من داخله لخطأ القياس والحكم .. نعم ليس بالضرورة أن يخطأ الرأي إلا أنه ليس بالضرورة أن يصيب -على كل حال.

الأمة لا تعتمد على القوميات، نعم الأزمة عامة .. ولكن اسلوب الاقصاء المتعمد للآخر وتهميشه أو خلق صورة أخرى عنه مصيبة في حد ذاتها .. لأنها تجعل من ذلك الشخص مجرد ثرثار هامشي يتحدث بلا حلول موضوعية لاشكالات متجذرة في هذا الوطن.

برهان غليون ركز على الأطراف المتطرفة وهمش القلب. تعمد التعتيم في الطرح وإضافة صاحب التراث لقلة الخبرة وسوء الخيار والتصرف.

أكد كثيرا أن ذلك التراثي هو حتما ذلك الرافض لكل محاولة تحديث حتى لو كانت يسيرة. وهذا لا يكذبه الواقع فحسب بل تعددية الأشخاص والمستويات وأهل التراث أنفسهم.

حينما تجعل من أهل الوطن العربي فريقين .. ومتنازعين، وطرفين.. لا تنتظر أكثر من نتائج الخسارة المتوقعة ورجحان كفة على أخرى وتبادل أماكنهم وتقلبهم بين هزيمة وفوز.

التحزيب المستمر جزء من الصراع الحالي وليس تحليلا له أو حلا. وخلق جو من المستويات التنافسية نعم يعكس جانب من التشابك إلا أنه لا يفصّله.

قضايا الوطن عالقة بين محبرة فيلسوف يحلق بسحابته العليا، ومتجرد شديد التجريد والتعقيد .. حتى كأن النتائج لن تفارق مسبباتها.

ما يلمح له كثيرا هو أنه ليس لنا خيار في هذا الوقت يتجاوز التقبل والتعايش مع الحضارة الغالبة، والتطور سيأتي بالحضارة والتي لا تنفصل عن هيمنة حضارة العالم.

نسي هذا المغمور من أي منطلق ننطلق نحن، لا تشابه مع الحداثيون وليسوا بذلك الند أو الفريق المجابه، نحن في فترة مرض وفي أوقات المرض تظهر الكثير من الأعراض المجهولة الهوية والمتشابهة والمتداخلة ولكن لن نبتعد من كوننا مرضى جسديا وليس فقط فكريا.

جسد الأمة يعاني من أمراضها الفكرية، ولكن لا يعني انفصام رؤية المنبع أو تشابه الأضداد.

التراثي في أسوأ أحواله هو خير من ذلك المتسامي رغم انحطاط مبدأه .. الصاعد على أكتاف الآخرين والظان بنفسه ما ليس له ومنه.

لا ندية هنا ولا تكافؤ. واسلوب الموضوعية المفتعل كثيرا ما نصادفه ونكذبه بخبر التراث وهو الأصل وإليه المرجع.

ما يشفع له عندي أنه يملك آلايات فكرية لا بأس بها، ويحلل بعض

الأمور تحليلا يقارب الحق. وهو دقيق كذلك في عقلنته للأمور.

ولكن ليته ما بالغ ولا عقد ولا اعتد بعقله تجاه هذه القضايا الكبرى.

هناء

* * * *

إن التصورات والمشاعر والعواطف وردود الأفعال والمواقف والتوجهات التي تظهر على سلوك الأفراد والجماعات ليست بالأساس ولا بالضرورة ثمرة لتفكير عقلي متأن ولا لتأمل أخلاقي أو إيديولوجي. بل هي التي تتحكم في أغلب الأحيان، ولدى الأغلبية، بأفكار الناس وبالمبادئ التي يعلنون انتماءهم إليها. وغالبا ما تكون هذه الأفكار العقلية والإيديولوجية وسيلة لإضفاء نوع من العقلانية والشرعية على هذه المواقف الأولى الشعورية. ومن هنا يزداد التأكيد في علوم النفس والمجتمع معا على هذا اللاوعي سواء أطلقنا عليه اسم اللاشعور أو الروح الجمعية وروح الجماعات لتفسير ظواهر لم يكن من الممكن فهمها من قبل.

* * *

وليست الثقافة في الحقيقة إلا المجتمع نفسه وقد أصبح مظهرا للوعي أو وعيا. وهذا الوعي هو في الوقت ذاته وعي للذات، بقدر ما هو وعي لأجزائها ومظاهرها المختلفة السياسية والاقتصادية. فالدولة قبل أن تكون قمعا وإكراها هي مفاهيم وتصورات، والصناعة قبل أن تكون استغلالا أو استثمارا للعمل والجهد هي أيضا نظرية وعلوم وقيم فكرية واجتماعية. فالثقافة موجودة إذن في كل النسق الاجتماعي وليست محصورة في مكان معين فيه.

❊ ❊ ❊

فكل تجاوز حضاري يؤدي إلى تقييم أكبر للثقافة المرتبطة به، وإلى انتقاص مقابل من قيمة الثقافات التي لم تلعب دورا، أو لعبت دورا ضئيلا في هذا التجاوز الحضاري. وهذا الانتقاص هو في أصل تخلي أصحابها عنها. وهكذا يتحقق انتشار الحضارة الصاعدة خارج وطنها الأصلي، وترتقي ثقافتها لتصبح ثقافة الشعوب الأخرى المتبناة بعد أن كانت وسيلة لغزوها وإخضاعها. عندئذ لن تستطيع هذه الشعوب أن تفكر في ذاتها ولا في وضعها إلا من خلال المفاهيم التي تفرضها الثقافة السائدة والرؤية العامة الروحية والتاريخية التي تعمّمها. فيكون وعيها لذاتها هو أولا وعي بغيرها، ولا يقوم إلا به.

❊ ❊ ❊

ومن المعروف تاريخيا أن كل هزيمة تتكبدها مجموعة بشرية، تنعكس مباشرة على إيديولوجيتها أو اعتقاداتها، فتدفعها إلى التشكيك في صلاحية هذه الاعتقادات ونجاعة القيم التي تنبع منها. وهذا ما عبّر عنه ابن خلدون عندما قال إن المغلوب مولع دائما بمحاكاة

الغالب والاقتداء به، لأنه يعتقد أن انتصاره راجع إلى صحة مذاهبه وعوائده.

❋ ❋ ❋

لا يخوض المثقفون معركتهم على أرضية متماثلة ولا يطرحون إشكالياتهم على المستوى نفسه من العمق والتجريد. فمنهم من يكتفي بكيل التهم للأشخاص أو الأفراد أو الأحزاب. ومنهم من يرتفع إلى مستوى نقد الإيديولوجية ومصارعة المفاهيم، ومنهم من ينظر إلى معركته من زاوية دينية أو إيمانية فيصوغ موضوعها في إشكالية عقائدية محدودة، ومنهم من يعيشها كمعركة سياسية فلا يرى منها إلا السلطة، ويقارن محاسن الدولة الحديثة مع مساوئ الدولة القديمة أو العكس. وآخرون يذهبون أسعد من ذلك فيجعلون من المجتمع نفسه وثقافته التاريخية الخصم الحقيقي لهم حتى يكون لنقدهم طابع النقد الكلي والشامل.

❋ ❋ ❋

وكما يستخدم السلاطين التيارات الفكرية بمنطق الاستفادة والمنفعة السياسية البحتة، يستخدمون الفئة المثقفة أو جماعاتها المختلفة كقوى هامشية يستفاد من دعمها وتأييدها ومشاركتها. ومثل ذلك ما تقوم به أيضا الحركات السياسية سواء أكانت في الحكم أم في المعارضة.

❋ ❋ ❋

ليست فلسفة النهضة أو التقدم المتضمنة في خطاب القائد السياسي أو المقاتل الحزبي أو الرجل العامي فلسفة حقيقية، أي تنطوي على عناصر نظرية، حتى في مستواها العملي، للتقدم. بل هي بالأحرى غطاء إيديولوجيّ لصراع فردي أو اجتماعي يتخذ من موضوع التقدم، لأهميته وعموم التأثر به، موقعا ممتازا ومتميزا. لذلك فإن الجدال لا يمس هنا موضوع شروط النهضة الموضوعية ولا أسبابها، ولكنه يتخذها ذريعة لوصف ممارسات أو أعمال لا علاقة لها بها، بالتخلّف أو التقدّم. والهدف من ذلك هو تأكيد مواقف محددة وتثبيتها.

❊ ❊ ❊

يكاد النقد اليوم يشمل جميع عقائديات ونظريات الحقبة الماضية ولا يستثني أحدا منها، بل غالبا ما يتجاوزها لينفي الواقع العملي الذي كانت تعبر عنه ... وإذا عبر المجموع عن شيء، فإنما يعبر عن عمق مشاعر الشك والحيرة التي بدأت تلف الوعي العربي حتى لتبدو جميع الحقائق واهية في مرآته ولا سند لها.

❊ ❊ ❊

ففي جو فقدان الإرادة الجماعية أو ضعفها تصبح إرادة السيطرة مصدرا للعزيمة والسطوة. ويصبح تهور المغامرين إقداما وقوة. وعند غياب الرؤية الواضحة تصبع قناعة الجاهلين منبعا للعرفان، وإدعاء المطالبين والمتعالين رؤية ونبوة. فهي سنه كونية تقضي بأن السلطة إذا ضعفت تحلل أصحابها منها، وأن الدولة إذا هرمت تبرأت أطرافها منها، وأن الدعوة متى انحطت كثر المناهضون لها، وأن الأمة متى

وهنت وطال تفسخها زاد ابتعاد الناس عنها وبرمهم بها حتى تنحل ويقضى عليها، أو يبعث فيها من يوفر لها ظروف نشأة جديدة.

* * *

إن في الإطاحة بالفرد والأسرة لصالح المجتمع، قضاء مبرما على الجميع، والعصر الحديث خير شاهد على أن تلك الآراء الأفلاطونية لم تتماسك ولم تحافظ على كيان الدولة، حين تبناها مفكرون وساسة، وطبقت في مجتمعات كبيرة؛ بل كانت المعول الأول لهدمها في عشية أو ضحاها!

وكان لا بد أن تنهار تلك المجتمعات وينفرط عقدها؛ لأن ساستها ومنظريها لم يحافظوا على اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وهى الأسرة، بل سعوا في تقويضها، عندما نادوا بضرورة انسلاخ الأطفال عن التأثير المادي والأدبي للأبوين في جو الأسرة؛ كما جاء في الأبجدية الشيوعية لماركس: «حين يقول الوالدان: هذا ابني وتلك ابنتي، لا تعني هذه الكلمات وجود آصرة أبوة فحسب، بل توحي بأن للأبوين حقا في تربية أولادهم من وجهة نظرهم كما يريدون، والاشتراكية تأبى الإقرار بهذا الحق للآباء لأن الفرد ليس ملك نفسه، ولكنه ملك للجماعة، بل هو ملك للبشرية كلها! ولهذا يجب أن ينتمى الطفل للمجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه، والذي جاء إلى الحياة بفضله»!!

وكان لا بد أن تنهار تلك المجتمعات الشيوعية، وينفرط عقدها؛ لأن شريعتها

الأرضية لا تناقض شريعة السماء وتضاد فطرة البشر فحسب،

وإنما أيضا تشن حربا شعواء لا هوادة فيها على الأديان كلها وعلى الأخلاق الفاضلة جميعا.

فقد جاء في خطاب «لينين» الذي ألقاه عام ١٩٩٠م أمام المؤتمر الروسي لاتحاد الشباب الشيوعيين، بعد أن ذكر الواجبات الأساسية لهم؛ قوله : (وهنا يأتي السؤال المهم: كيف يكون تعليم الشيوعية؟ وما الأساليب الخاصة التي يجب أن تمتاز بها طرقنا في التعليم؟ إن أول و ما أرى إيضاحه في هذا الصدد هو دستور الأخلاق الشيوعية. قد تتساءلون: وهل هناك شيء يسمى الفضائل الشيوعية؟ والجواب: نعم. كثيرا ما اتهمت البورجوازية الشيوعيين بأنهم لا يعبأون بالأخلاق، وأنهم ينكرون أي مبادئ لها. إن إلقاء الكلام بهذا الشكل إنما هو من قبيل ذر الرماد في عيون العمال والفلاحين. وإنما الحقيقة عن إنكارنا قواعد الأخلاق: أننا ننكر ما تدعيه البورجوازية من أن مبادئ الأخلاق هي أوامر من عند الله، فنحن بالطبع لا نؤمن بالله. ونعلم تمام

العلم بأن القساوسة والملاك البورجوازية نسبوا الأمور إلى هذا الاسم - الله - لتحقيق مآربهم الاستغلالية..».

❊ ❊ ❊

ذكر رسول الله ﷺ من بين صفات من يظهرون بعد القرون الأولى علامة «ويظهر فيهم السمن» .. لاحظ أنها من الأهمية رغم أنها «صفة شكلية» أن يذكرها بعد «صفات فعلية»، وهذا يدل أنها صفة شكلية ولكن لا تنعزل في دلالتها عن الفعل، فهي فعلية شكلية، تشي بأن نظام الحياة نفسه سيتغير، وأنهم ولدوا في النعيم وغذوا بالنعيم

فوهنت بوصلتهم ووهن الاستمساك بالحق في نفوسهم، لما حصل لديهم من حجب نفسية، كان منها غاية التمتع بالدنيا وزينتها، نسيان أنها دار رحلة، ضعف الهمة والإرادة، ضعف السيطرة على النفس، التعامل مع الأكل كغاية أكثر من وسيلة وسبب نجاة من الهلاك، مما أوهن الإرادة والقدرة على العمل بل وحتى الرغبة فيه.

فظهور السمن وانتشاره مؤشر حيوي بأن البنية الفكرية تغيرت أو اتجهت إلى اتجاه مغاير عن أصحاب القرون السابقة!.

❊ ❊ ❊

موضوع تجاهل آلام المسلمين ليس لخلل عقدي ونقطة !

طوال السنوات الماضية تشربنا الفكر الغربي والفلسفات الغربية، لذلك تجد الرغبة في التقوقع على الذات تزداد على مدار السنوات الأخيرة والانفصام عن جو الأسر الكبيرة، بالإضافة إلى تقبل النمط الفردي المنعزل، ومن ينعزل عاطفيا عن جذوره ينعزل حتما عن مجتمعه وباقي المسلمين.

فليس وراء هدم القيم وتقديس اللذة والفردانية التي غيرت من تضاريس النفس حاجز يمنع ذلك الإنسان من ممارسة أنانيته علنا بل والدفاع عنها.

❊ ❊ ❊

«وليس من العدل والإنصاف أن يقتطع نص واحد من ضمن مجلدات عديدة؛ ثم يقال: إنه وحده المعبر عن حقيقة رأي العالم في هذه المسألة».

مع أن هذا الأمر يفترض أن يكون بديهي في التعاطي مع العلماء الموسوعيين، ولكن في أزمنة الجهل نذكر بضرورة العدل مع مثل هذه القامات العلمية وفهمها من سياقها المجمل!.

❋ ❋ ❋

كل هذه تضاف للكتاب تحت مسمى مقتطفات

❋ ❋ ❋

وسط هذا الكم من المُسّرات، والمضحكات، أحزن نفسك قليلا، نعم؛ الحزن ليس مطلوبا لذاته، ولكن لا يجلو صدأ القلب مثله!

لهذا كان للبكاء فضل في الإسلام :

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾

﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾

﴿... بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾

«ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»

❋ ❋ ❋

الشهرة والمال؛ من الأشياء التي تزعزع ثبات الإنسان!.

وكلها اجتمعت في قارون ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ ، كان من قومه وأتباعه المقربين، ولكن انتشلته الدنيا، وعبادة نفسه في أعين الناس، وإعجابهم، إلى أن نسي حقيقته.

وهذا ما تسرقه بهجة الكلمات المتناثرة من أعمار المشاهير !!

❊ ❊ ❊

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾

انتبه !

الاستهزاء بآيات ودينه .. لا لعب فيه ولا مزاح، «وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه».

❊ ❊ ❊

أي إنسان لا تهجم عليه فكرة الخوف من البعد عن الله؛ لا يعرف قيمة الإيمان الذي في قلبه.

❊ ❊ ❊

نتصور طريقة معينة للفرج؛ لا نريد سواها.

نتخيل أن الأقدار إملاءات شخصية، فيتوقف القلب عن الرضا، والنفس عن القبول، إلا ما نرغب بالتمام والكمال.

الرغبة بالتسيد، فارقت حيزها إلى حيز الغيب، كأن بيد كل واحد منا ورقته يكتب ويختار، ولو لم تتحقق اختياراته كانت الحياة بكاملها ليست له !.

❊ ❊ ❊

فشو الكتابة، لا يدل على زيادة العلم ..

حينما عدد النبي ﷺ علامات الساعة وذكر منها «ظهور القلم» ذكر كذلك : «من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل»، «إن بين يدي الساعة لأياما ينزل فيها الجهل، ويرفع العلم».

فلا تبهرك الهالة العلمية السائدة، طالما العلم بالله والدار الآخرة في تناقص!.

❊ ❊ ❊

لا تستبعد رؤية الحكمة في النهي عن التشبه بالكفار، وأنت تشاهد أثر ذلك على كثير ممن تشبه بهم، وجرى خلف تقليد معيشتهم، بتطبيق النافع والضار ..

لابد أن ينعكس أثر التبعية، على كل مسخ، متحول، لا تعرف بوصلته أين الوجهة، أو كيف يحيا حياتهم بشكل مقدس ويرفض في نفس الوقت كل ما يمس دينه؟!.

❊ ❊ ❊

خطر لعقلي تأمل أثر نمط الحياة على المواقف، غالبا ما تجد المهتمين بالرفاهيات والتوافه لا يجدون محلا فارغا للقضايا الكبرى في حياتهم، لأن النفس تشبعت، والوقت كذلك، والنظام اليومي لم يعد فيه فسحة لغير اللذة والطلب والشراء.

الحياة المادية المكثفة ترفض الروح، أو تحاصرها في زاوية لا تكاد تُرى!.

❊ ❊ ❊

ضعف استحضار أن شياطين الإنس لهم وساوس مضلة كشياطين الجن، أو حصر الشيطنة على الجن وحدهم، يجعلك لا تنتبه لكثير من الشياطين بين يديك، فقد يكون أحدهم صديقك أو قريبك أو شخص قابلته مرة ونفث عليك من سمومه، أو جارك في العمل أو كاتب ما، أو أستاذ ما.

❊ ❊ ❊

المجتمع حساس جدا، في وقت يفترض أن القلب متصلب لوجود الكثير من الخوادش النفسية، الخلافات في كل مكان على أمور سطحية لن تصل حتى لسبب مقنع وحقيقي للاختلاف.

بل ما تعبر عنه أزمتنا الحالية، أننا في انحدار في الاهتمامات وضيق نفس وانغلاق فكر، أكثر مما نكون متشعبي الآراء.

❊ ❊ ❊

كثير من الخطط والقرارات يعيقها «الفكر الاستباقي»، أظنها ستفشل، ماذا لو حصل كذا وكذا، ربما يتغير شيء للأسوأ بشكل مفاجئ .....إلخ.

الخوف -من أمر حاضر- بحد ذاته قد يكون عائق، فما بالك بتوقعات مستقبلية، نسبة أن لا تحصل أكبر بكثير من أن تحصل!.

❊ ❊ ❊

الشخصيات العاطفية لماذا نرفضها؟!

أثار تعليق على القط الفضولي، هذا السؤال في نفسي، هل ميلان الكفة للعاطفة مكروه في نفسه، أم للحمولة الفكرية التي حُمل بها في الفترة الأخيرة، وضرورة الشعور الاسقاطي مع كل متلبس بالفكر العاطفي في أي جانب كان؟

حقيقة؛ وبعد التأمل، النفور من العاطفة، لا يرتبط بالوقت الحاضر، ولا بإشكاليات المماحكات الحديثة، واتهام كثير من الناس بالتلبس بها، لأن نفس الأمر يحدث ومنذ قديم مع العقل، وما زالت الناس تتدعيه حتى ممن هو فقير منه، ولم تقل مرتبته، ولم يتلوث بنفس الدرجة.

للعقل مكانة خاصة شرعية ربانية قبل أن تكون بشرية أرضية، وهذا يتضح في كثير من الآيات الشرعية والتأملات على هامش التاريخ البشري.

وهو لا يصل مرحلة الرفض العاطفي إلا إذا تجاوز الحد وطغى، ففي أكمل حالاته قد تتدخل عاطفة ما، وشيء من الشعور لابد أن يتخلله.

ففي العقلانية عاطفية، ولا يوجد تجرد تام بدرجة تصل إلى الصفر.

ومع اختلاف المسار بين الإثنين، لا يوجد تقاطع لو اجتمعا بنسب مقبولة، تكفي لأن نرجح جانب لا أن نلغي وجود الكفة الأخرى.

وكما تم تشويه العاطفية وإن كانت أقل حضورا في التشريف التاريخي فكذلك تم بالنسبة للعقلانية، فالكثير من الناس يظن الصرامة منها، أو التجريح القاسي، أو السب والشتم دون رفة رمش.

فبالعكس؛ الشخصية التي يطغى عليها العقل، إن لم تتلبس بالحكمة، فهي ناقصة جدًا، مكشوفة لأي تماس، قريبة من الإهلاك بقدر تصنع القوة والصلابة.

لابد من قدر أدنى للعاطفية، وقبل ذلك إضافة لا بأس بها من الحكمة، وتتبع السبيل الأمثل، والقياس الأكمل.

فأعظم ما أفسد الكثير من العقول، جبروتها في تحديد الدوافع وتصنيف التعاملات والحكم على المتلابسات.

وكذلك بالنسبة للعاطفة، تم التقليل من قدرها باستنزافها في غير موضعها، وهتك حرمتها لمن لا ينبغي له، أو يتطرف تجاوزا بها كبطاقة محروقة لم تعد تجدي.

ولكن على الرؤية الشاملة، العقل يتربع على عرش مملكة الإنسان القديم والحديث، لأنه أكثر صفاء في الحكم، وأبعد عن عكس الإثارة النفسية، يتجرد صاحبه بين المتشابهات للترجيح، ولا يقف مكتوف اليدين أمام الصعائب.

يفكر ويحرر ويدقق ويستثني ويرفع ويخفض، وهذا عن العقل الذي هو شامل للتفاعلات التي تنتج المخرجات السليمة، لا ما تم ترويجه باسمه.

فالعقل أكمل، وأتم، وبه مناط التكليف ..

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾

«العقل نور وبصيرة في القلب، منزلته من القلب كمنزلة البصر من العين»

-الطبري

«العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلًّا بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين. فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار. وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها. وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورًا حيوانية، قد يكون فيها محبة ووَجد وذوق، كما قد يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة»

-ابن تيمية

❊ ❊ ❊

نشر فكرة غموض المرأة، وأنها غير مفهومة في كل حالاتها .. من دجل متعددي علاقات العصر الحديث، والمشكلة أن مثل كلمات: «... ولن يستطيع رجل ولو قرأ كتب العالم أن يفهم امرأة واحدة» تجد رواجا وتصديقا وكأنها مُسّلمات تمت على شريحة واسعة!.

والحقيقة أن المرأة ليست بهذا التعقيد، حتى وإن غلّبت العاطفة، وتعاملت وفق الهوى والمزاج، هي كائن مفكر وأفكاره متوقعة في الغالب، وسهلة الحدس.

ولا تُبنى تصرفاتها على فراغ مُسبق، بل حتى أعمالها المفاجئة لها مقدمات واضحة ومُدركة.

ربما الاختلاف من المنطلق الفكري نفسه، فغالبا الرجل يحلل وفق معطيات عقلية، ويتعامل معها بثبات أكثر.

أما هي لتأثير العاطفة، خاصة في الأمور التي تلامس كيانها النفسي تتذبذب وتضطرب وقد تتصرف بشكل مختلف حسب الموقف الذي توضع فيه.

ولكن لتصرفاتها أسس بينة، ولأفعالها معنى يلتقطه الحصيف.

❊ ❊ ❊

ليس بالضرورة أن يكون قدوتك بين أهلك وأقاربك وأصحابك المقربين، فقد يكون قدوتك إنسان في كتاب، أو قصة سمعتها عن شخص تحاول أن تملي على حياتك ما فعل وتقارب ..

لا تنتظر أن ترى ما تريد ممن تعرف من أهل زمانك، ارفع بصرك للأعلى واقتبس من كل زمان.

❊ ❊ ❊

الرزق ليس هو الرزق المادي فقط، لا تقتصر على مادياتك فحسب، اطلب الله السداد في الدين، والهداية الدائمة، وقوة البصيرة، والفهم في شرعه، والتمسك بهديه مع شدة الفتن، والنصر للمسلمين ورفع الأذى عنهم في كل مكان ...

ولا تنس إخوانك ممن تعرف، أشركهم في دعواتك، وأحب لهم كما تحب لنفسك.

❊ ❊ ❊

لا تحتاج داعما نفسيا مستمر؛ لمجرد تذكرك هدفك وغايتك يغنيك هذا عن كل محفز، المهم؛ أن يبقى ذهنك حاضر ومنتبه للنهاية.

❊ ❊ ❊

«فالبصير الصادق لا يستوحش، من قلة الرفيق ولا من فقده، إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول»

❊ ❊ ❊

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾

إذا كان هذا زهدهم في الشكر على طعام، فكيف بزهد الداعي للهداية على دعوته، وخشيته أن تتلبس قلبه رغبة في الجزاء والشكر من أحد!.

ومادة غذاء الروح ونجاتها أثمن، والزهد في طلب المقابل عليها من الناس أولى.

❋ ❋ ❋

كل شيء يخلق يحتاج إلى تجديد، وليس بالضرورة أن يكون نقضا وإعادة بناء، إنما إعادة روح لشيء ميت ..

والإيمان أولى بالتجديد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم، كما يخلق الثوب، فاسألوا اللّه أن يجدد الإيمان في قلوبكم).

يخلق: يبلى

يخلق: بالمعاصي، والملهيات حتى لا يذوق لذة العبادة.

❋ ❋ ❋

تعاني من نقص حاد في الخشوع في الصلاة؟

توجد خطوات عملية سهلة، طبقها في صلاتك القادمة ..

ولكن قبل ذلك، تذكر أن من أهم أسباب ضعف الخشوع، الاعتماد على الكلمات السريعة للآيات التي تخرج من عقلك اللاواعي، لشدة حفظها..

لذلك لابد من هذه الخطوات للتغلب على هذا السلوك:

- حاول اللحاق بالصلاة في أول وقتها حتى تطمئن نفسك فيها ولا تشعر بلوم التأخير، فيعطلك اللوم عن الخشوع.
- إذا أردت أن تصلي في غرفة ما ووجدت فيها جماعة من الناس يتحدثون لا تصلي فيها (اعزل نفسك عزل تام عن الضوضاء).
- قبل الصلاة استحضر السكينة بالتفكير في عظمة شأن الصلاة وأنها لقاء حقيقي مع الله.
- أثناء الصلاة، لا تعتمد على نطقك السريع للكلمات، اقرأ كل كلمة بشكل مفهوم وواضح لنفسك، واعطها قدرها من الوقت بحيث أنك لا تنتقل من كلمة إلى أخرى إلا وكل واحدة واضحة لك سمعتها بشكل جيد وفهمتها وتأملت فيها.

- أهم نقطة وهي التي تلخص ما سبق :

اقرأ + اسمع ما قرأت + افهم ما قرأت.

* * *

«من وضع بين عينيه لقاء الله، والمنزلة عند الله، وكيف ستبدِّل الآخرة من منازل الناس بشكل انقلابي كما قال تعالى عن الآخرة ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ من استحضر ذلك كله؛ علم رخص الشهرة والظهور والرياسة، وكسد سوقها في قلبه، وأيقن أنها أهداف في غاية التفاهة، بحيث لا تستحق دقيقة جهد، فضلا عن أن يذهب عناء السنين في العلم والعمل وجمع الكتب وعناء الليالي لأجل مديح الناس..!»

* * *

«القلب إنما خُلق لأجل حب الله تعالى، لا تُشتت قلبك في البحث عن حب وأمان وكمال عند غير الله فلن تجد، وسيبقى القلب يخذله البشر، وهم معذورون جميعا؛ لنقصهم وضعفهم وستبقى تنصدم وتتوجع، حتى تتيقن أن التعلق الحقيقي لا يصلح إلا لله، وأن القلب لا يرتاح ويطمئن ويشعر بالأمان إلا مع الله، فتحب الآخرين لله، وفي الله، ولأجل إرضاء الله، لا إرضاء نفسك!.

ومن أرضى الله سيرضيه ولو بعد حين ..»

* * *

فأنت إذا رأيت حرفا هجائيا منتظما مخطوطا حضر إلى ذهنك أن ثمّة كاتبا لهذا الحرف، وربما وضعت احتمال المصادفة على بُعْدِه،

فإن رأيت كلمة مكتوبة ذات معنى ابتعد احتمال المصادفة، فإن رأيت سطرا كانت المصادفة أبعد، فإن رأيت صفحة انتفى أمر المصادفة، فإن رأيت كتابا استحال أمر المصادفة، فإن الإنسان أكبر من أي كتاب، بل إن كل جهاز منه هو كتاب، بل كل عضو منه إنما هو كتاب، فالأذن وتكوينها وأعضاؤها إنما هي كتاب، والعين كتاب ضخم، وهكذا، فأيُّ احتمال للمصادفة ههنا؟

❊ ❊ ❊

فالحملة التي تنادي بالاكتفاء بالقرآن حملة مقصودة للمروق عن الإسلام والخروج عن أحكامه وتعطيلها، لأن القرآن فيه أحكام عامة وليس فيه التفصيلات. والتفصيلات إنما تكفلت ببيانها السنة النبوية. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية: أن الحديث تثبت به كثير من المعجزات المحمدية المروية بالطرق الصحيحة التي لا يرقى إليها الشك

كتكثير الماء والطعام والإخبار ببعض الغيب وغيرها والتي تثبت نبوة محمد بصورة قاطعة، فإذا نالوا من رجال الحديث فقد حصل الشك بمروياتهم فيسهل المروق من الدين. ولذلك ضربوا على هذه المسألة

ضربا عنيفا متواليا وحاولوا الوصول إلى ذلك بكل طريق غير علمي ولا صحيح ولا شريف باسم العلم والبحث العلمي لتكتمل الخطة ولتوافق الخطة مع بقية المخططات الرهيبة لتحطيم الإسلام.

❊ ❊ ❊

المصطلحات العقدية والفكرية

أن المراد بضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية هو موافقة المصطلحات العقدية والفكرية للكتاب والسنة. واللغة العربية، والواقع الاجتماعي للأمة الإسلامية مما فيه نفع لها.

أن التعريف الصحيح للمصطلح هو «الكلمة التي خصصها الاستعمال في علم من العلوم، أو فن من الفنون، أو صناعة من الصناعات بمفهوم معين» فلا يشترط اتفاق عدد معين على تسمية المصطلح مصطلحا، بل لو وضع الإنسان مصطلحا له، واستعمله لجاز تسمية ذلك بالمصطلح.

أن العلاقة بين العقيدة والفكر علاقة توافقية بين معنى العقيدة فى الاصطلاح العام والفكر، أما معنى العقيدة في الاصطلاح الخاص الشرعي فهو يختلف عن معنى الفكر من حيث مصدر كل منهما.

أن تاريخ نشأة المصطلحات بدأ من تاريخ وجود الإنسان على هذه الأرض، أي من آدم، فآدم عندما أنزله الله إلى الأرض كان يعرف مصطلحات دينه الذي يعبد به ربه كمصطلح التوحيد، والعبادة، والدعاء... إلخ، ثم أحدثت الإنسانية بعد ذلك مصطلحاتها العقدية والعملية، والصناعية... إلخ.

أن علم المصطلح اليوم له صلة بكثير من العلوم المعاصرة كعلم الاجتماع، والنفس والتشريح، والفيزياء. .. إلخ، فلا يستغنى اليوم عن معرفة هذه العلاقة لإدراك معاني المصطلحات في سائر العلوم.

أن من أهم أسباب نشأة المصطلحات، العلوم المختلفة سواء كانت علوما شرعية دينية، أم لغوية، أم تاريخية، أم علوما طبيعية ... إلخ إضافة إلى دور الاقتصاد، والسياسة، وخاصة السياسات غير المعلنة التي تتولاها المخابرات العالمية.

أن الاستعمال الباطل للمصطلحات الشرعية والوضعية كان له آثار سلبية خطيرة من أهمها : الفتنة في الدين، وفساد التصورات العقلية واللسانية، والإفساد فى الأرض واشتغال المسلم عما ينفعه إلى ما فيه نفع أعدائه.

أن تفسير مصطلحات الكتاب والسنة يكون عن طريق بيان الكتاب والسنة لهما، فإن لم يوجد ففي تفسير صحابة رسول الله عليه، فإن لم يوجد ففي تفسير اللغة العربية لذلك.

-إن صور الإلحاد الواقعة على الكتاب والسنة ومصطلحاتها .. ترجع إلى أصلين هما :

الأصل الأول: التغيير لمصطلحات الكتاب والسنة من خلال استبدالها بمصطلح آخر وضعي كتسمية المشركين لرسول الله بالساحر والمجنون ... إلخ.

الأصل الثاني: التغيير لمصطلحات الكتاب والسنة من خلال استبدال معانيها التي وضعها الشارع لها، وأراد منا فهمها بمعان أخرى مخالفة لذلك كمن جعل معنى الإيمان الإلحاد ... إلخ.

أن العقل المسلم يحق له يضع ما يشاء من المصطلحات في سائر مجالات الحياة مما يحتاج إليه ما دام ملتزماً بتلك الضوابط.

أن المصطلحات المجملة المشتملة على حق وباطل يستفصل عن معناها، فما كان فيها من حق قبل، وما فيها من باطل رد، ويبحث لما بقي من المعنى الحق عن مصطلح شرعي إن وجد وإلا غيره من المصطلحات والألفاظ الصحيحة.

أن هنالك علاقة بين الألفاظ والمعاني؛ العلاقة وثيقة لا انفصال بينهما أبدا، وأساسها الإلهام الرباني للبشر.

الألفاظ المشتركة والمتواطئة تفهم من خلال القرائن التالية :

أ ـ قرينة الاستعمال، فالاستعمال الغالب لمعنى ذلك اللفظ هو المقدم، إلا إذا دل الدليل على أن المراد غير هذا المعنى الشائع في الاستعمال فيصار حينئذ إليه.

ب ـ قرينة السياق، فسياق الكلام هو الذي يبين معنى الألفاظ، وهو قسمان: سياق المقال، وسياق الحال وهو يشمل حال المتكلم والمخاطب، الزمان، المكان.

لا بد من مراعاة تغير معنى المصطلح، فالمصطلح قد يتغير معناه من مجال علمي إلى مجال علمي آخر، أو من زمن إلى زمن، أو من مكان إلى مكان، وسبب التغيير يرجع إلى أسباب عديدة منها الاستعمال، التخصص العلمي، التطورات الاجتماعية، والاقتصادية، والزمان، والمكان ... إلخ

للمسلمين أن يأخذوا عن المخالف لهم في الدين ما يحتاجونه من المصطلحات، وذلك بضوابط منها: أن يكون الأخذ عند الحاجة، والحاجة تقدر بقدرها، ومنها أن يكون ما يؤخذ عنهم مما يراد الاستفادة منه خاليا من مخالفة الكتاب والسنة واللغة العربية والواقع

الاجتماعي للأمة المسلمة، وأن يكون نافعا لنا في وقتنا الراهن، وهذا الأخذ يشمل العلوم الإنسانية والطبيعية على حد سواء، والوسيلة في هذا الأخذ هي الترجمة التفسيرية.

أنه لا يحق الأحد إبطال مصطلحات الاخرين مما وضع للمعاني والمفاهيم المحدثة، سواء كان هذا المبطل للمصطلح عالما، أو مؤسسة علمية كمجامع اللغة العربية، فإلزام الناس بقول ما مما ليس هو واردا في الشرع هو أمر باطل لا دليل عليه، اللهم إلا إذا كان أراد واضع المصطلح الجديد استبدال مصطلح قد استقر معناه منذ سنين متطاولة وصار شائعا في الاستعمال، مع عدم مخالفته للكتاب والسنة واللغة، والواقع الاجتماعي، فحينئذ من يصنع ذلك يُرد عليه ما أتى به؛ لأن في قبول صنيعه خلطا وإرباكا للناس وقطعا للتواصل بينهم، وهذا ما لا يقبل أبدا تحت أي ذريعة.

هذه أبرز محاور الكتاب.

❊ ❊ ❊

وقد يكون من سوء حظ الجماهير والجماعات أن بعض دواعي قوتهم تتحول لتكون أسبابا للهيمنة عليهم .

فهم كآحاد لا قيمة لهم أمام النظم الإدارية والحكومية التي تفرض نفسها عليهم، ولكنهم ما أن يتجمعوا ليكتسبوا قوة، وليعوضوا باتحادهم ضعفهم كآحاد، حتى تسيطر عليهم روح جمعية تفقدهم الاتزان وتجعلهم كقطيع يفقد كل فرد فيه إدراكه واتزانه ويتحرك مع الآخرين مدفوعا بحركتهم، وكأنه موجة صغيرة من خط الموج العظيم الذي يتقدم ويتعالى ولا يقف أمامه شيء .

وعندئذ يقودهم الخطيب المفوه والممثل القدير يسيرون وراءه ويرددون صيحته.

❋ ❋ ❋

إن الفاقة والجهالة مسؤولان عن وجود هذا الجيش الجرار من العبيد الذين لا يكبلون بأغلال الحديد، ولكنهم يفقدون المبادأة والمقاومة.

❋ ❋ ❋

ففي جو فقدان الإرادة الجماعية أو ضعفها تصبح إرادة السيطرة مصدرا للعزيمة والسطوة. ويصبح تهور المغامرين إقداما وقوة. وعند غياب الرؤية الواضحة تصبح قناعة الجاهلين منبعا للعرفان، وإدعاء المطالبين والمتعالين رؤية ونبوة. فهي سنه كونية تقضي بأن السلطة إذا ضعفت تحلل أصحابها منها، وأن الدولة إذا هرمت تبرأت أطرافها منها، وأن الدعوة متى انحطت كثر المناهضون لها، وأن الأمة متى وهنت وطال تفسخها زاد ابتعاد الناس عنها وبرمهم بها حتى تنحل

ويقضى عليها، أو يبعث فيها من يوفر لها ظروف نشأة جديدة.

❋ ❋ ❋

لا يخوض المثقفون معركتهم على أرضية متماثلة ولا يطرحون إشكالياتهم على المستوى نفسه من العمق والتجريد. فمنهم من يكتفي بكيل التهم للأشخاص أو الأفراد أو الأحزاب. ومنهم من يرتفع إلى مستوى نقد الإيديولوجية ومصارعة المفاهيم، ومنهم من ينظر إلى معركته من زاوية دينية أو إيمانية فيصوغ موضوعها في إشكالية عقائدية محدودة، ومنهم من يعيشها كمعركة سياسية فلا يرى منها إلا السلطة، ويقارن محاسن الدولة الحديثة مع مساوئ الدولة القديمة أو العكس. وآخرون يذهبون أسعد من ذلك فيجعلون من المجتمع نفسه وثقافته التاريخية الخصم الحقيقي لهم حتى يكون لنقدهم طابع النقد الكلي والشامل.

❋ ❋ ❋

إن التصورات والمشاعر والعواطف وردود الأفعال والمواقف والتوجهات التي تظهر على سلوك الأفراد والجماعات ليست بالأساس ولا بالضرورة ثمرة لتفكير عقلي متأن ولا لتأمل أخلاقي أو إيديولوجي. بل هى التي تتحكم في أغلب الأحيان، ولدى الأغلبية، بأفكار الناس وبالمبادئ التي يعلنون انتماءهم إليها. وغالبا ما تكون هذه الأفكار العقلية والإيديولوجية وسيلة لإضفاء نوع من العقلانية والشرعية على هذه المواقف الأولى الشعورية. ومن هنا يزداد التأكيد في علوم النفس والمجتمع معا على هذا اللاوعي سواء أطلقنا عليه اسم اللاشعور أو الروح الجمعية وروح الجماعات لتفسير ظواهر لم يكن من الممكن

فهمها من قبل.

❋ ❋ ❋

وليست الثقافة في الحقيقة إلا المجتمع نفسه وقد أصبح مظهرا للوعي أو وعيا. وهذا الوعي هو في الوقت ذاته وعي للذات، بقدر ما هو وعي لأجزائها ومظاهرها المختلفة السياسية والاقتصادية. فالدولة قبل أن تكون قمعا وإكراها هي مفاهيم وتصورات، والصناعة قبل أن تكون استغلالا أو استثمارا للعمل والجهد هي أيضا نظرية وعلوم وقيم فكرية واجتماعية. فالثقافة موجودة إذن في كل النسق الاجتماعي وليست محصورة في مكان معين فيه.

❋ ❋ ❋

فكل تجاوز حضاري يؤدي إلى تقييم أكبر للثقافة المرتبطة به، وإلى انتقاص مقابل من قيمة الثقافات التي لم تلعب دورا، أو لعبت دورا ضئيلا في هذا التجاوز الحضاري. وهذا الانتقاص هو في أصل تخلي أصحابها عنها. وهكذا يتحقق انتشار الحضارة الصاعدة خارج وطنها الأصلي، وترتقي ثقافتها لتصبح ثقافة الشعوب الأخرى المتبناة بعد أن كانت وسيلة لغزوها وإخضاعها. عندئذ لن تستطيع هذه الشعوب أن تفكر في ذاتها ولا في وضعها إلا من خلال المفاهيم التي تفرضها الثقافة السائدة والرؤية العامة الروحية والتاريخية التي تعمّمها. فيكون وعيها لذاتها هو أولا وعي بغيرها، ولا يقوم إلا به.

❋ ❋ ❋

ومن المعروف تاريخيا أن كل هزيمة تتكبدها مجموعة بشرية، تنعكس مباشرة على إيديولوجيتها أو اعتقاداتها، فتدفعها إلى التشكيك في صلاحية هذه الاعتقادات ونجاعة القيم التي تنبع منها. وهذا ما عبّر عنه ابن خلدون عندما قال إن المغلوب مولع دائما بمحاكاة الغالب والاقتداء به، لأنه يعتقد أن انتصاره راجع إلى صحة مذاهبه وعوائده.

❋ ❋ ❋

وليست الثقافة الشعبية هي الوحيدة التي تجد نفسها في هذا النزاع مفقرة ومستبعدة عن النشاط المبدع والمنتج. بل إن الثقافة العليا تضطر هي أيضا، وبقدر تحولها إلى مرجعية إيديولوجية للجماعة التي تحملها، إلى توظيف نفسها في المعركة السياسية الإيديولوجية، على حساب وظائفها العقلية والعلمية المبدعة وهذا ما يفسر بقاءها رهينة للإبداع الخارجي، وعجزها عن الاستقلال بمصادر إبداعها. إنها تتحول إلى دعوة إلى العلم والعقل والحداثة أكثر مما تصبح هي بذاتها ثقافة العلم والعقل والحداثة.

❋ ❋ ❋

هذا الانتزاع المتواصل من التاريخ، الذي هو جوهر عملية الصعود الغربي وفرض الهيمنة العالمية الجديدة، ما زال حتى اليوم مصدر الانحلال الدائم للأطر الاجتماعية في هذه المجتمعات، وسبب الأزمة العميقة التي تعيشها على جميع المستويات. ونتيجته الطبيعية هي دفعها إلى البربرية بسبب ما يثيره لديها من شك متزايد في صلاحية نظمها ومصداقية وجودها.

❊ ❊ ❊

يقول الكواكبي: الترقي هو الحركة الحيوية؛ أي حركة الشخوص، ويقابله الهبوط وهو الحركة إلى الموت أو الانحلال أو الاستحالة أو الانقلاب.

فإذا رأينا في أمة آثار حركة الترقي (الشخوص) هي الغالبة على أفرادها، حكمنا لها بالحياة. ومتى رأينا عكس ذلك قضينا عليها بالموت.

❊ ❊ ❊

أرض فلسطين هي مسرى الرسول ﷺ ولعلها حكمة عظيمة ألا يخرج الرسول ﷺ بعد البعثة خارج جزيرة العرب إلا إلى فلسطين، لقد كان من الممكن أن يعرج الله سبحانه وتعالى برسوله الكريم إلى السماء من مكة المكرمة مباشرة، ولكن شاء الله أن يكون هذا الإسراء إلى بيت المقدس، حتى يرتبط المسجد الأقصى وإلى الأبد بالمسجد الحرام ... وهذا مما يجعل أرض فلسطين ذات مكانة خاصة بالنسبة للمسلمين جميعا.

❊ ❊ ❊

إن التربية الجهادية هي التربية الي تجعل الإنسان كائنا ما كان اختصاصه وعمله مجاهد في سبيل الله مسخرا اختصاصه للجهاد في سبيل الله فهو عالم ومجاهد، وهو طبيب ومجاهد، وهو كاتب ومجاهد وهو مهندس ومجاهد وهو معلم ومجاهد وهكذا.

إن التربية الجهادية توجب إعطاء مساحة أكبر من الاهتمام بأمرين أساسيين:

أولا: الاهتمام بالنفس بربطها بالله، والشوق إلى لقائه والموت في سبيله وبالتالي صونها عن كل ما يركن بها إلى الأرض وشهواتها ولو كان حلالا طيبا وبذلك تكون نفسا محايدة.

ثانيا: الاهتمام بالجسد فيكون معافى قويا يمتلك كل إمكانات الدفاع والهجوم وخبرات الدفاع والهجوم وخاصة في عصر تعددت فيه هذه الخبرات والعلوم ....

❊ ❊ ❊

الاختلاف في الأمة من سنن الله الكونية، وهو واقع بينهم لا محالة، ومن أكبر أسبابه الغلط في فهم النص، وفهمه على غير مراد الله تعالى ورسوله، ولذلك قال شيخ الإسلام مبينا أسباب الخلاف الوارد في الأمة «قد يكون لخطأ الدليل والذهول عنه، وقد يكون لعدم سماعه، وقد يكون للغلط في فهم النص، وقد يكون لاعتقاد معارض راجح».

❊ ❊ ❊

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ...». من المهارات الإدارية هُنا :

-مهارة الدراية بتشابه أهل القصور في الجو والمناخ وتقاربهم في التفكير والمستويات، فتأمل رغم أنهم لا يربطهم جنس ولا دم فقسم منهم عرب وقسم يهود ولكن جمع بينهم رابط مشترك وهو فساد العقيدة والباطن فأصبحوا بذلك إخوانا في الفساد والشر، ويقوي ذلك التعاون والتخطيط بينهم لهدم العمل.

❊ ❊ ❊

مشاهدة الأطفال لبرامج التلفزيون لفترات غير محددة ودون رقابة وانتقائية تفرز سلوكيات أبرزها السلبية والأنانية وعدم التعاون مع الآخرين، وعدم الإحساس بمشاعرهم، بل والسخرية منهم إلى جانب التقليد الأعمى للأخرين في الملبس والمأكل والمشرب والسلوك الاجتماعي، ومن ثم اعتهاد نمط حياة استهلاكي دخيل، كما تؤدي مشاهدة الأطفال لبرامج التلفزيون بإفراط ودون ضوابط إلى تأثيرات سلبية عليهم تتمثل في العجز عن ضبط النفس واللجوء إلى العنف بديلا عن التفاوض، والافتقار إلى الأمان والشعور

الدائم بالخوف والقلق وترسيخ صور نمطية في عقل الطفل حول المرأة والرجل والمسنين والطفل وأصحاب المهن والمسؤولين ورجال الأمن وغيرهم، إضافة إلى قتل روح الإنتاج والإبداع ..

❊ ❊ ❊

❑ #مراجعة عام

من بين كل التحديات هناك تحدٍ خاص تخوضه مع نفسك، حكاية لم تُطلع الآخرين على مجرياتها، كلمات ذات مغزى، وعبارات تتم حياكتها بعيداً عن كل عين، حروف طرزت لوحتك من الأعلى، محلاة بماء الذهب الأصفر، وعبير الفل الأبيض.

من بين كل التحديات هناك ما يعنيك لا سواك، ويشير بإصبعه نحوك، ويناديك بلا ألقاب .. كأنه يعرفك من جيل، بل من قرون طويلة.

دوماً هناك ما يخصك، دوماً هناك ما يلامسك من ثنايا الأشياء، وفي علبة الذكريات ستجد أكثر من ذكرى تصافحك، وأكثر من وجه يبتسم لك، ويحدق في مقلتيك بيأس وغضب أو حيرة حزينة.

في عام ..

وهو عامي القرائي اللامحدد بعدد، ولا أدري ما ترتيبه .. فقد بدأت قصة الكتاب تستهويني منذ مراحل الطفولة الأولى مع انبهار الدهشة القديمة والتساؤلات العتيقة. (حتى الأطفال يجدون ما يقلقهم، ولا يبوحون إلا لعزيز مقرب، ولم يقترب من حساسيتي أكثر من الورق، لأنه الوحيد الذي يسأل ويجيب وهو لا ينظر في عيني ولا يحرج إصراري).

في عام ..

تجلت في أعماقي صراعات لم أشهد لها مثيل من قبل، وبرزت في وجهي مواقف بارزتني بسيفها .. فتأكدت حينها أني أواجه المعركة

حتماً ولا شيء آخر.

ماذا يسمى ذلك الانسلاخ؟...أن تصحو من نومك ثم تحاول أن لا تكون ذاتك القديمة؟.

بماذا تلقب تلك التفاعلات مع الروح، والانفجارات الكيميائية في معمل القلب المضطرب اللاهث في لحاقه خلف إلهامه؟.

حتماً هناك كلمات تُقال لكل فراغ ... ولكن فراغي أنا لا تناسبه الكلمات أو على الأقل ليس في هذا الوقت!، لأنها ستخرج مبتورة فاقدة للمعنى مهما تجلت فيها صروف الحكمة والتعقل.

نحن ضحايا صراعات الأمس، أو لماذا ضحايا؟. نحن نتائجها وآخر شيء خطته على رمالها ..

أما أمسي .. فقد كان فأسي ومنجلي ومشكاتي وسيفي ..

غاب الأمس وبقيت معي كل الأسلحة، شاهدة على حضور لا يشبه إلا نفسه، وغياب يشبه الكثير.

في هذا العام ولدت من جديد، وصاحبت هذه الولادة استثناءات، وانتقاءات، وفرز للأولويات ... وأمور عديدة لا يقبلها قلم، وترفضها كل محبرة ..

ليت ما يقال، يقال على وجهه الأنسب لكان للحديث لذة لا تنتهي..

هناك سؤال حاضر في عامي هذا، ولم أشهد له هدوء في سنواتي الأخيرة، يقفز ويثير شغباً صاخباً كي يُلتفت له بكل الجوارح ويمنح الاهتمام أجمعه.

تتردد أصداء كلماته بإلحاح:

«لماذا نعيش؟!».

حتماً لله وفي الله.

ولكن حقاً لماذا أعيش؟!.

هل يملك أحدهم إجابة مقنعة لي أنا بالتحديد، أو يملك الجرأة ليقولها في حضوري فأصرخ رادعة له بأنه ليس كذلك؟!.

نعم جئنا لله ولكن من يعرف كيف يقول جواب لماذا مع كيف.

لماذا وكيف أعيش .. وأي غذاء معرفي سيقود روحي العطشى لقمة الجبل التي تريد!.

كلنا أتينا لله ومع ذلك آخر اهتماماتنا أن نجيب الكيف في أفعالنا لا أقوالنا فحسب، هذا والمعظم لم يتجاوز اللماذا أو حتى يجد الحل الأنسب لهذا السؤال البسيط.

أنا هُنا أتيت، وإسمي عند رب البريات، وقدري مكتوب قبل قدومي بمراحل، وحياتي تفصيلات...

خطة، وقبل الخلق كانت رسالة . .

«هذا شقي» أو «هذا سعيد».

إذا لم يقم صرحك الثقافي على أساس المعطيات الأولى والرسالة الأولى فأنت كمن يخطط في الماء ويبني قصور أحلامه في الهواء، وهذا وذاك هباء.

كيف أقرأ كتاباً، لا يعزز قيمتي الأولى، أو كيف أسعد وأنا أبحث

بنفسي عن تعاستي، حينما أوظف جلّ الوقت فيما لا يرضي الرب؟!.

الثقافة التي لا تبنيك روحياً، هي ثقافة مقهى، وكرسي هائم على جانب رصيف، ورحلة خيالية لعالم افتراضي.

الثقافة في هذا العالم المنتحر، والملتهبة أطرافه تشبه قفزات التزحلق السريعة هرباً من حمم البركان وأسراب النيران إلى شاطئ الحياة الآمن.

نحن في هذا الوقت نواجه الغزو من كل جانب ولن تجد الحصون مالم تصنعها بنفسك وتحاول أن تقوي من أساساتها وتمد في حيطانها.

نحن في هذا الوقت لا نمارس القراءة كهواية، بل خيار حتمي، يتطلب مزيداً من الشجاعة والصدق والتضحيات.

لن أقول كل كتاب تقرأه يرفعك كما يقال، بل كل كتاب تقرأه يحصنك، يحميك، يهديك، يسند اعوجاج وقفتك وسط هول طغيان كل شيء!!!!.



❑ #خربشة

ما يؤسفني ... ذلك الجَلد لديهم، كي يُكملوا رواية حب لطالما شوهت معالم العاطفة في العقول، دنست روح الطهارة، مزجت بمكرها وسوادها بياض الخيال حتى أرمد لونه، وتعكر صفوه، وشابته شائبة الكذب، وحبر ورق الاستغفال.

كم كاتب خان الأمانة، كم قلم ماكر ركب في عقولهم أن السكينة تنتفي في حياة لا تشبه الروايات، بعيدة عن المحفزات، بينها وبين أحلامهم مفاوز ومسافات!.

إذا راقبت، الناس حولك، تملكتك الرهبة، وقيّدت خطواتك الفكرة ... كيف للتوفيق أن يقترب في الحيوية من ماء الحياة، وفي الخفاء من نور الإيمان، وفي الكرامة من تاج الستر، والتعقيد من لغز الفوارق وحكمة الأحداث، من سكونها حتى فورانها وانفجارها.

يالله .. عجباً كيف يطول التوفيق حتى كتاباً نقرأه. أو سطراً نغرق في تشكيلاته، وحروفاً تتوجنا أكاليل الحكمة!.

الرواية الساذجة، النص المهدور، الشعر المبتور ... لطالما تربص خلفي كاللص، وأحاول باحتيال قائد معركة، أن أفر بما تبقى مني، وأقاوم ظلمة الليل وعيونه المتربصة قبل أن ينتهز فرصة غفلتي في حمل حقائب فراري .

يا للطيف، كيف يوزع للعقول ما يناسب مقاستها، وللأفهام عبارات هي مخلوقة بقياساتها، ويُشعل اللب، ويفتق الذهن، ويدعم كيان إنسان وجد نفسه وسط مغريات لا حصر لها ثم لا يبرز وجهه إلا

باسماً في النور.

كلما ألتفت لهم وآسف لهم، لا أحزن إلا علي لا عليهم، لأن التوفيق تحفّهُ الأشواك، وأولها قلة التبصر في الجهل، وقلة الثبات وكل شيء مُزعزع، لا .. ليس قلة تبصر في جهل بل انحياز خلف هوى، ومنغصات لنعمة فرّط صاحبها أولاً بتمامها، وثانياً بشكرها.

ما يؤسفني بعد أسفي علي .. أنهم يقرأون الكتب التافهة، بجلد طالبٍ استغرقته دقائق العلم، ولا تسأل عن الجهد إذا عرفت أنه لا يقارن بالوقت والعزيمة. ثم لا تسأل لأي سبب عن السبب ... فدائماً هناك مراوغة تشبه مرواغة الأدب الفاقد نفسه .

أقف بيني وبين العالم، في حالة وفاض وسلم، وتصفية حسابات قبل إنهاء العرض الأخير فوق المسرح. يا ترى كم ضائع وضائعة خارج عالم الكتب التافهة الذي حصرت عقلي بإشكالها ونسيت أن الفوضى تمرج جسد العالم، والصخب والهزل خربش كل معالم أسوار الجدية، حتى أصبح الصادق في أحلامه .. أضحوكة دنيا عز فيها التوفيق.

استيقظ عقلي ... أفعال الناس أولى أن تسوقف حزنك .. قبل كتاب ورواية !.

❊ ❊ ❊

ولما كان الكذب متطرقاً للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه. فمنها:

التشيعات للأراء والمذاهب، فإن النفس إذا كانت على حال

الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر، حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيُّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيُّع غطاء على عين بصيرتها عن الإنتقاد والتمحيص، فيقع في قبول الكذب ونقله.

ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضاً الثقة بالناقلين، وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح.

ومنها الذهول عن المقاصد. فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع، وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه، فيقع في الكذب.

ومنها توهم الصدق وهو كثير. وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين.

ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبُّس والتصنُّع، فينقلها المخبر كما رأها، وهي بالتصنُّع على غير الحق في نفسه.

ومنها تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجِلّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة، فالنفوس مولعة بحب الثناء، والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة، وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها.

ومن الأسباب المقتضية له أيضاً وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الأحوال في العمران. فإن كل حادث من الحوادث، ذاتاً

كان أو فعلاً، لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله. فإذا السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض.

❋ ❋ ❋

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

شعرت بالمسؤولية تجاه هذا السؤال، فماذا عساها تكون نصيحتي تلك الجامعة، المانعة، والمختصرة. فكما تعلم الحديث عن الكتب والقراءة لا يكفيه قول واحد أو جواب ونقطة .:)

القراءة على أنواع:

قراءة اطلاعية / وهذه قبل شراء الكتاب، لتحدد حاجتك من شراء الكتاب، (وغالباً ما أقع في فخ هذا النوع، بسبب التسرع أحياناً، وضيق الوقت لمراجعة كل كتاب هل يناسب أم لا).

قراءة سريعة / وهي للإثراء المعرفي، ولا تُطبق مع كل الكتب.

ما يمزها أنها تركز على الأفكار عموماً لا على الألفاظ، وهي ليست للمبتدئين لأنها تحتاج إلى ممارسة مستمرة، فليس من السهولة أن تصل إلى لب الكتاب سريعاً مع بعض الكتب، أو أن تقرأ بالسرعة التي يحتاجها الكتاب وأنت لم تعتاد على ذلك.

قراءة تحليلية / بهذا النوع من القراءة يتم معالجة مادة الكتاب وفحصه ونقده .. يستخدمها الباحثون والنقاد أكثر من عموم القرآء.

قراءة التسلية / لمن يفضل المتعة كخيار أول، على المنفعة،

والعلم. وقد لا يتعارض أن يكون الكتاب مسلي ومفيد أيضاً.

قراءة المسح / أن يقرأ الكتاب بشكل سطحي جداً وسريع بصورة بحثية ليحدد الاختصاص الذي يريد التعمق فيه أكثر.

هذه الأنواع بشكل عام ..

أما يخص التنظيم القرائي والجدولة والتخصص، فأنا أعتبر هذا يعود لاهتمام الشخص وهدفه الأساس وشخصيته. وليس عبثاً أن أكرر أن للشخصية دور في التنظيم، فهناك من هو كثير الملل، ولا يحب الاستمرار في مجال معين أو طريقة واحدة، وهناك الروتيني من يرى أن القراءة لابد أن تكون مرسومة وفق نقاط معينة لا تحيد عنها. وهذا يقرره القارئ نفسه، أين يجد الإنجاز والدافع والفائدة بشكل أكبر.

توجيه أخير وهو ما أفعله من وقت لآخر-قد ينفعك- بحكم أني في محيط لا يقرأ، ألجأ لكتب المشوقات والمحفزات للعلم، وأقرأها «قراءة التسلية» لأني أملك الهدف ككل والدافع الشخصي ولكني بشر قد أتأثر بالمحيط أو أعتبر أني وصلت مرحلة النهم قياساً عليهم. لذلك أعود فأربط نفسي من وقت لآخر بنماذج قديمة لأرفع الهمة.

❋ ❋ ❋

اختيار الكتب

تحديد المقدار اليومي من القراءة .

اختيار الطريقة التي يقرأ بها الشخص .. كل هذا يعتمد على الإنسان ذاته، واحتياجه هو لا سواه .

كقراءة سريعة ولموضوع تمت القراءة فيه سابقاً أنهي كتاب ورقة في ثلاث ساعات .

ولكن لم أعد أقرأ بنفس السرعة، لذلك أقرأ يومياً ما لا يقل عن صفحة بتأني أكبر .

أنهي الكتاب البسيط في ثلاثة أيام أو يومين، والمعقد في خمسة أيام إلى اسبوع أو أكثر، اعتماداً على ظرفي.

* * *

❒ #لفتة

من الملابسات المفهومية، والتلاعب بالمصطلحات في هذا العصر، تشويه المفهوم الأخلاقي بشعار «ادعاء المثالية»، حتى ينفصم الشخص عن ماضيه وحاضره وذاته، ويرى الخُلق الحسن، والفكر الرفيع، تلوث نفاقي تلطخ به وهو لا يعلم.

مما سهل لبعض الشبهات العبور والتمكن، أنها أخف من تلك الظاهرة، فشبهة مصطلحية، قد يتم التغاضي عنها أو عدم الالتفات لها، مقابل تلك التي تخرم العقائد خرماً، وتفتك بالدين فتكاً.

نقدي هنا ليس للمصطلح بحد ذاته، إنما للعقول التي تخاف أن توصم بالمثالية، فتتخفف من الأخلاق، والحديث عنها، والتجمل بها، والتصريح، والفلسفة، فقط كي لا يساء الفهم وتركن زوراً في زاوية الكذب والمبالغة.

لا يوجد شي اسمه «مثالية»، في الواقع أنت إما أنك تصرح بمعتقداتك وتضعف عن الالتزام الكامل بها، أو تكرر ذكر ما تريده من نفسك وواقعك، أو «تنافق» ليرى الآخرون النموذج المميز ويكون في ذلك لفتاً للانتباه ورغبة في الذكر الحسن.

ادعاء المثالية حينما لا يكون هناك نموذج أخلاقي واضح، أو خط سير مرسوم، أو أعلام تاريخية كانت حاضرة بقوة، وسقف طموحاتها مازال باقياً في الأعلى.



قيادة الذات في المواقف والأزمات

والحمدلله لا أجد في حياتي ما يزعزعها .. حتى الأمور التي لو صادفت بنت أخرى ربما أتلفت أعصابها من شدة التفكير .. عندي لا أتعامل معها على أنها موجهة لي بشكل شخصي، بل أقدار وجب الاستعانة بالتوكل الشديد لتجاوزها .. .

هذا التثليج، ولا أسميه برود، لأن التثليج فيه مفعولية وليس حتمية، هو ما يجعل تفكيري مستقر وحياتي ثابتة. لذلك بإمكانك تغيير التضاريس المكانية، ولا تستطيع تغيير ما صدقت وآمنت به باقتناع.

الأمر فضل من الله محض وذكره من باب الشكر.

هذه الصفة خففت علي كثير من الضغوطات والكلمات ... إلخ وذلك لأن الأثر أنا من يتحكم فيه بشكل أكبر، لأني أنا لست المشكلة، أنا الشخص المنفعل بها والمحدد للانفعال بها.

سأضرب مثال: لنفرض أن شخص جاء وشتمني وحاول انتقاء كلمات مهينة أو فيها نوع من الإذلال. الشخص وما خرج منها مشكلتي الآن .

لكن ما حدث منه ليس أنا بالتحديد، ما حدث يتعلق بالموقف، والكلمات تتعلق بصاحبها. فلا يعني أنه حاول إهانتي أنه أهانني فعلا، فأنا لابد أن أكون خلف عازل يجعلني أحدد مستوى الانفعال ..

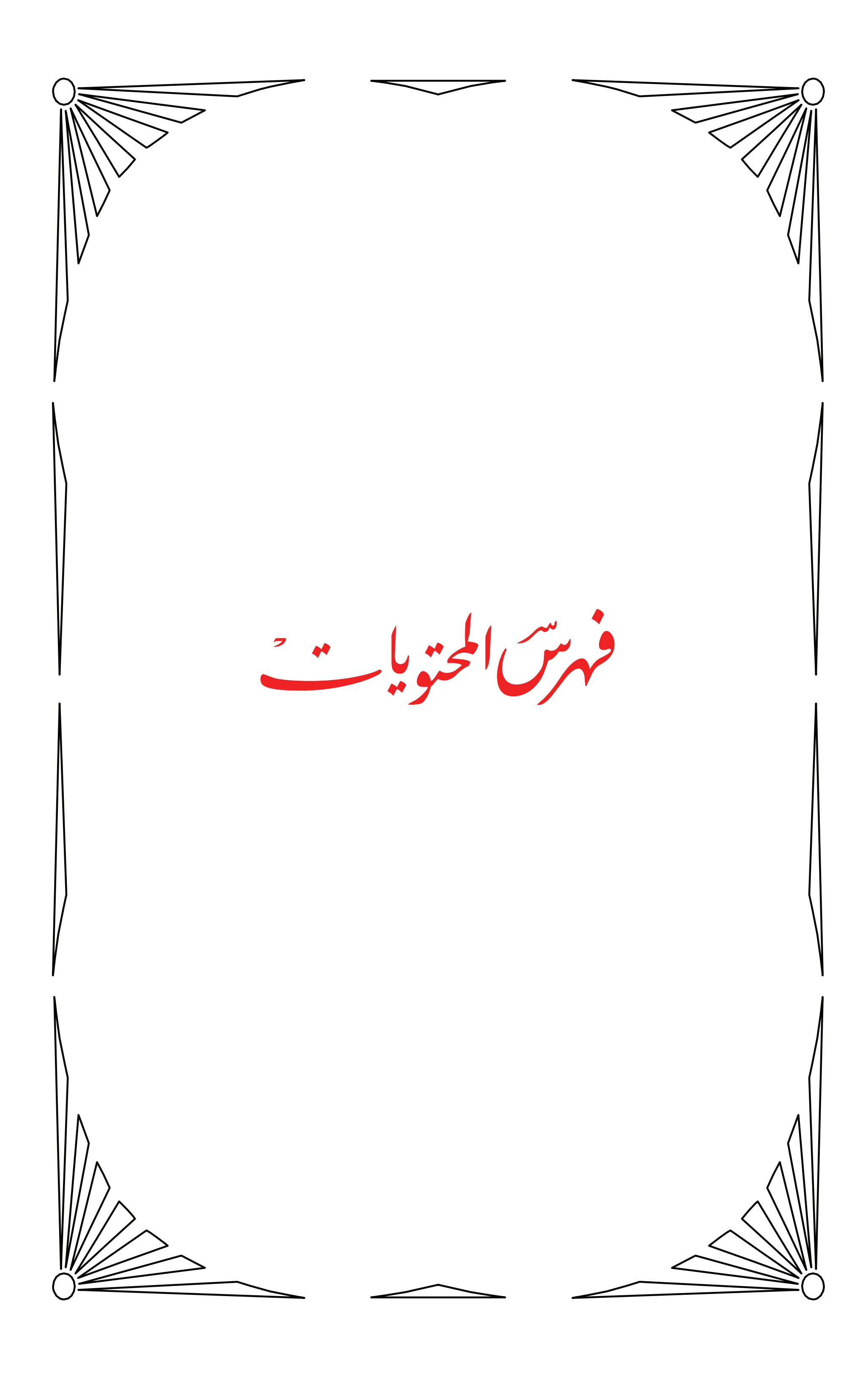
عندي صفة عجيبة؛ لا أظن إنسان يمتلكها ويهرم بسرعة بل لا أظن إنسان يمتلكها ويكون تعيس .. وطبعا ليست وليدة المران

والتدريب والكتب فقط، لا؛ صفة جبلية ساند زيادتها مثل هذه الأمور .. هذه الصفة هي «العزل الذاتي».

دائما ما أعزل بين نفسيتي والموقف أو الحدث، بحيث أملك مساحة لرؤيته من بعيد بشكل أبسط: لا أتعامل أني أنا والمشكلة شيء واحد.

أنا = شيء. والمشكلة = شيء.





فهرس المحتويات

فهرس المحتويات



تم الإخراج بشركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
- بدالة المطبوعات 24810010 - الكويت


مقالات
هناء عبد الله الماضي
رحمها الله تعالى
اعداد وعناية
مجموعة من زميلات هناء